حضارة اليمن

المؤلف

د. محمد علي

إعداد

د. منى سعد المشكلط



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

علي محمد .

حضارة اليمن | د.محمد علي.

- القاهرة. مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٦م، ١٩٦ ص؛ ٢٥سم.

١- تاريخ اليمن

أ- العنوان

٩٣٢

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٣٦٦٠

الترقيم الدولى :٩٧٨-٩٧٧-٦٥٦٥-٠٩-١

الطبعة الأولى: ٢٠١٦م



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ميدان حليم- خلف، بنك فيصل(الفرع الرئيسي) شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

ت: 27877574/ 0100104115/ 0100004046/ 0129961635

Email:tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة



﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يوسف: ١١١

كان أهل اليمن ذوي حضارة ومدنية عريقتين، ولليمن القديم دور حضاري، امتدت جذوره منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، وظهر نشاطه التاريخي خلال الألف الأولى قبل الميلاد وبداية العصر الميلادي من خلال ممالك سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان وأخيرا مملكة حمير (سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنت).

وقد عاصرت هذه الممالك بعض الدول أو دخلت في كيانات سياسية معها في بعض الفترات، وكان لها وجود سياسي وجغرافي ومراكز لحكمها، وتفاعلت مع بعضها البعض ومع دول الجوار بأنشطة حضارية مختلفة، نتج عن النشاط الحضاري لليمن القديم ظهور شواهد أثرية نقوش كتابية ونماذج فنية. فقد عمروا المدن وشيدوا القصور، وزينوها بالذهب والفضة، ونعموا بمباهج الحياة، ورفلوا بالثياب المترفة المصنوعة من الخز والحرير وغيرهما من فاخر الأقمشة، واقتنوا آنية الذهب والفضة والأثاث والرياش الفاخر – حسبما جاء في وصف المؤرخ "آغاثر دس" لحياتهم– وهذا يدل؛ ولا شك على أنهم كانوا على نصيب

كبير من الغنى والازدهار. وكان سبب غناهم عنايتهم بالزراعة والتجارة، تلك العناية التي اضطلعت بها دولهم العديدة.

ونظراً لأهمية هذه الحضارة العريقة بين حضارات العالم القديم فقد قدم المؤلف هذا الكتاب في شكل بانوراما من خلال نظرة عامة مختصرة لأسباب نشأتها ومظاهرها مع دراسة تاريخها السياسي. وقد راعى أن يكون العرض مبسطاً ليتناسب مع كافة مستويات القرّاء.

راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون نافعاً لكل من يقرأه.

ويهدي هذا المُؤَلَّف إلى أرواح شهداء ليبيا الأبرار ، وإلى روح أبيه الطاهرة، وإلى أبناء عمومته في ليبيا ومصر.

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة هود: ٤٩

صدق الله العظيم

المُؤلف

د. محمد علي

تمهيد

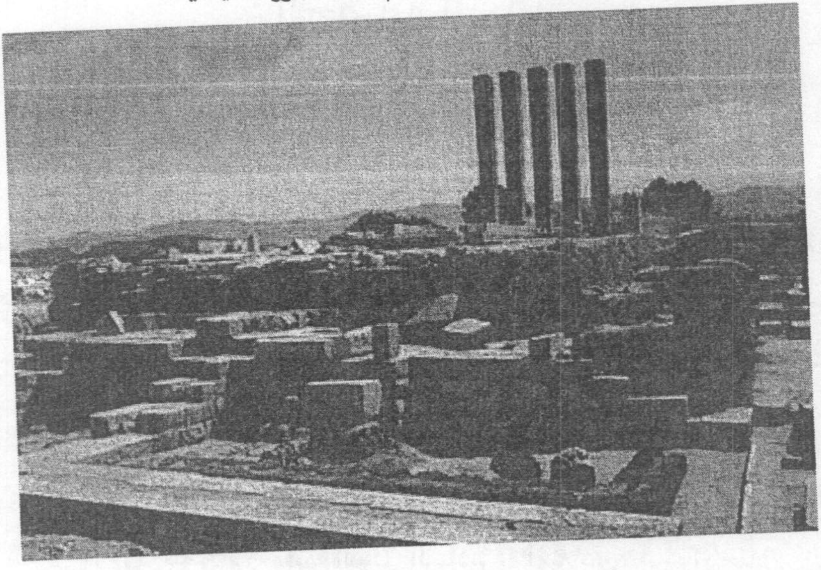
الحضارة اليمنيَّة

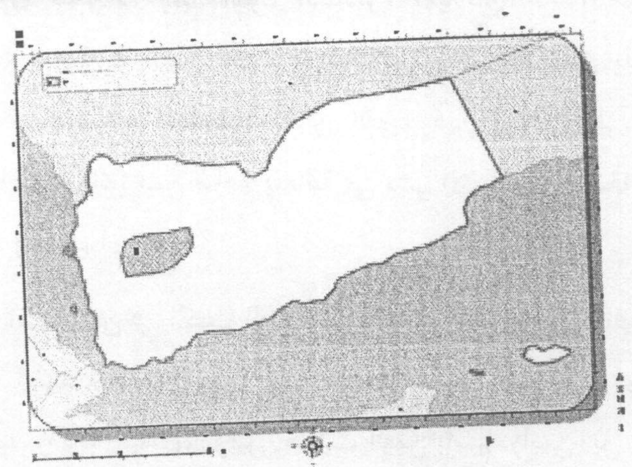
اليمن مهد الحضارات القديمة ومنبع الهجرات البشرية للقبائل العربية ومنذ فجر أول الأزمان أقام اليمنيون حضارة راقية في مدينة (مأرب) عاصمة سبأ وعلى وادي بيحان كانت مدينة (تمنع) عاصمة قتبان. وعلى وادي عرمة كانت (شبوة) عاصمة حضرموت وعلى وادي الجوف كان مدينة (قرنا) ووادي نباء وفيه نشأت دولة حمير «ذو ريدان».

تكلمت تلك الحضارات اليمنية وكتبت بخط واحد هو «المسند» وذلك في القرن الأول للميلاد. وفي القرن السادس الميلادي غزا الأحباش اليمن واحتلوها وضعفوا فوقعت اليمن تحت سيطرة الفرس ثم حضنتهم أيدي الرحمة والإخاء الدعوة المحمدية السمحاء للدين القويم دين الإسلام فهبت شعوب وقبائل اليمن للتلبية وكانوا ممن ساهم بفعالية في نشر الإسلام في أصقاع المعمورة وبرز منهم قادة وعلماء أجلاء.

تعدد اسم اليمن في كتب التاريخ فهي عند قدماء الجغرافيين "العربية السعيدة" وفي العهد القديم "التوراة" يذكر اليمن بمعناه الاشتقاقي أي الجنوب وملكة الجنوب (ملكة تيمنا)، وقيل سميت اليمن باسم (أيمن بن يعرب بن قحطان). وفي الموروث العربي وعند أهل اليمن أنفسهم أن اليمن اشتق من "اليمن" أي الخير والبركة وتتفق هذه مع التسمية القديمة "العربية السعيدة" . وقال

آخرون سمي اليمن يمناً لأنه على يمين الكعبة والعرب يتيامنون، والجهة اليمنى رمز الفأل الحسن ولا يزال بعض أهل اليمن يستعملون لفظة الشام بمعنى الشمال واليمن بمعنى الجنوب، وتسمى اليمن اليوم "الجمهورية اليمنية".





خريطة تاريخية لليمن عام ١٢٠٠ ق.م

* النظم المدنية لليمن القديم :

من جهة النظم المدنية عرف اليمنيون القدماء القوانين والتشريعات كما يظهر ذلك في تنظيمات سوق شمر الشهير، والتي تشهد على نضج شرعي وسياسي معاً وتدل على بنيان دولة متقدم وراقٍ وهو ما يتضافر مع صورة النظام السياسي الشوري الذي يقدمه القرآن على لسان ملكة سبأ بعد استقدامها من سليمان عليه السلام ليعرض صورة رائعة لمستوى التمدن الذي وصل إليه اليمنيون القدماء: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) " سورة النمل. ومع أن القوانين لم تكن لتشمل كل اليمن إلا أنه كان هناك مرجعية قانونية، وهي مجموعة القوانين والأعراف التي يصدرها الملوك والرؤساء يعودون إليها في مسائل الملكية وشئون التجارة والمنازعات الأخرى .

كما عرفوا العملة والأوزان والمكاييل وعرفوا الكتابة والنحت وحذقوا أسرار العمارة وفنونها فأنشأوا القصور ومجمعات القصور والأبراج المحافد منها : قصر غمدان، وسلحين، وناعط، ومدر؛ والتي شاهد بعضها المؤرخ والجغرافي اليمني أبو محمد الحسن الهمداني في القرن الرابع الهجري فأدهشته بجميل صنعها وجاد عليها لأجل ذلك بأدق الأوصاف وأجلها، وأنشأ أهل اليمن السدود وأنظمة الري المتطورة آنذاك؛ تقديراً منهم للزراعة وأهميتها وما سد مأرب إلا أشهرها. كما بسطوا المدرجات الزراعية على الجبال وحفروا الصخر وبنوا معابد فخمة لا زال بعضها إلى الآن ينفث حوله مهابة وجلالاً، وورثوا من كل ذلك خبرات فنية وفكرية وحربية اختزنتها ذاكرتهم وتناقلتها الأجيال وقد ظهرت تلك الخبرة بعدئذ في المهمات الكثيرة والجليلة التي ألقيت على عاتق أهل اليمن في ظل الإسلام ودولته.

وقد أظهرت دراسة علمية حديثة حول علاقات جنوب الجزيرة العربية بشمالها في القرنين الثالث والرابع للميلاد أن المؤثرات الحضارية لأهل اليمن قد وصلت إلى الكيانات القبلية في شمال الجزيرة أيام تبعية الأخيرة لنفوذ سبأ وحمير بعد حملاتهما العسكرية على تلك الكيانات القبلية الشمالية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما وُجِد من آثار في عاصمة كندة ومذحج والواقعة في وادي الدواسر، كما تظهر التأثيرات في التماثيل والأواني المنزلية التي كان لها علاقة بمثيلاتها في ممالك جنوب الجزيرة كتمثال الطفل المجنح الذي يشبه في ملامحه كثيراً من ملامح بعض التماثيل القتبانية.

عرب اليمن :

ينتسب عرب اليمن إلى يعرب بن قحطان ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم اقتبسوا اللغة من العرب العاربة وهي البائدة، وقد تشعبت قبائل قحطان وتعدد عشائرهم حتى زاحموا من كان هناك من العمالقة وانشأوا الدولة القحطانية على أنقاضها. أشهر أولاد قحطان هو يعرب ثم ابنه يشجب بن يعرب ثم بعده ابنه عبد شمس وهو سبأ الذي خلف عدة أولاد أشهرهم حمير وكهلان وأشهر بطون حمير قضاعة وبطون كهلان : الآزد وطي ومذحج وهمدان وكنده ومراد وجذام ولخم.

الفصل الأول

تاريخ اليمن

تاريخ اليمن القديم هو التاريخ الذي يتناول الحضارات الصيهدية نسبة لصحراء صيهد في بلاد اليمن من الألفية الثانية قبل الميلاد حتى وصول الإسلام في القرن السابع. دراسة هذا التاريخ مهمة لإنها ليست متعلقة باليمن فحسب بل بتاريخ شبه الجزيرة العربية بشكل عام فلم تقتصر على المواضع المذكورة آنفاً بسبب سيطرتهم على الطرق التجارية أهمها طريق البخور وطريق اللبان كون اليمنيين كانوا محتكرين لتجارة الذهب والطيب والأحجار الكريمة والمر . امتد نفوذ هذه الممالك حتى منطقة ديدان، وعلى السواحل الشرقية لأفريقيا وبالذات المناطق الشمالية لإثيوبيا في منطقة أكسوم وأثروا على سكان هذه المناطق الذين استعاروا نظام الكتابة اليمني القديم المعروف بخط المسند، وهناك اعتقاد عند الباحثين أن أهل يثرب القدماء أو من عُرف بالأنصار كانوا جزءاً من غرس سبئي أو معيني في الطريق التجارية لغرب الجزيرة العربية.

تطور الإنسان اليمني في إطار الخطوط العامة للتطور التاريخي للإنسانية عبر عصورها المختلفة وفي ظل الخصوصيات اليمنية ومعطيات الواقع المتمثلة في الموقع الجغرافي الهام لليمن والظروف الطبيعية والمناخية المتنوعة والسيطرة على طرق تجارة العالم القديم مما أبرز اليمن كأحد مراكز الحضارات الإنسانية القديمة.

وقد بلغت الحضارات اليمنية القديمة درجة كبيرة من الرقي والازدهار جعل اليونان والرومان يطلقون على موطن تلك الحضارات (العربية السعيدة) .

ويبرز التاريخ نشأة كيان سياسي كبير وحضارة راقية منذ القرن العاشر قبل الميلاد متمثلاً في دولة سبأ وحضارتها وما تلك الدول التي تذكر معها سوى تكوينات سياسية كانت تدور في الغالب في فلكها، ترتبط بها حيناً وتنفصل عنها حيناً آخر، أمثال دولة معين وقتبان وحضرموت وأوسان وتمثل حمير آخر تلك الدول والتي اندمجت آخر الأمر في سبأ لتكون دولة واحدة حمل ملوكها لقب ملوك سبأ وذي ريدان. وذلك بعد أن حكم الملك الحميري "أبا كرب أسعد" مع ابنه "حسان يهأمن" حكماً مشتركاً، مستعملين لقباً جديداً هو: "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعربهمو طودم وتهمتم" وذلك في حوالي السنة "٤٠٠" للميلاد.

وقد ذاعت شهرة سبأ في الآفاق وورد ذكرها في الكتب السماوية ففي التوراة وردت قصة زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السلام في حوالي القرن العاشر (ق.م) وهي تحمل هداياها من الطيب واللبان والتوابل والذي عكس التطور الاقتصادي والثراء المادي الذي وصلت إليه مملكة سبأ في ذلك العصر، وقد أكد القرآن الكريم في سورة النمل تلك الحضارة وذلك الثراء على لسان طائر الهدهد: (.... وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) (سورة النمل)، كما تدلنا أقدم النقوش السبئية على أن التقدم الحضاري بلغ في تلك الفترة شأناً عظيماً إذ استقرت عاصمة الدولة السبئية في مأرب وبني السد الكبير (سد مأرب) للتحكم في ري وادي أذنه، كما كشفت الحفريات في منطقة تمنع عاصمة قتبان عن شبكة كاملة من السدود تتصل بها

قنوات وصهاريج لتوفير مياه الري لرقعة واسعة من البلاد، وهو ما يؤكد تطور العلوم والفنون المعمارية، ويستدل من نقش صرواح الكبير أن المكرب السبئي (كرب أل وتر بن ذمار علي) تمكن في القرن الرابع (ق.م) من إقامة دولة مركزية انطوى تحت لوائها كل اليمن تقريباً.

وقرب نهاية القرن الأول (ق.م) انطوت مملكة معين في مملكة سبأ ومن بعدها مملكة قتبان (٤٠٠-٥٠ق.م) وأخيراً حضرموت التي استمرت من (٤٥٠ق.م) وحتى القرن الثاني الميلادي . ولم يأت القرن الثالث الميلادي إلا وقد وحد الحميريون السبئيون جنوب الجزيرة العربية في دولة قوية هي أكبر وحدة سياسية انشأوها وقد اندفعوا بعد ذلك شمالاً وشرقاً، حسب ما يذكره النقش الذي عثر عليه في عبدان المدون بأخبار حملتهم العسكرية في منتصف القرن الرابع الميلادي، وبلغوا مناطق اليمامة والبحرين وشرق الجزيرة العربية ومناطق الأزد في عمان وقبائل معد ونزار وغسان.

وقد تولى الحكم في مطلع القرن الخامس الميلادي أبو كرب بن أسعد بن الملك كرب يوهامن الذي اشتهر بـ (أسعد الكامل) لسعة نفوذ دولة حمير في عهده حيث اصبح ملكاً لسبأ وذي ريدان وحضرموت ويمان وعربهم طودا وتهامة غير أن هذه المملكة لم تلبث أن تعرضت لمتاعب جمة أبرزها ركود النشاط التجاري نتيجة اكتشاف الرومان طرق التجارة البحرية التي نافست طرق القوافل البرية كما ظهر الصراع السياسي والديني بين القوى العظمى في ذلك العصر (الرومان والفرس) وأدى الصراع الديني إلى الفرقة الداخلية بين اتباع الديانتين اليهودية والمسيحية وأخيراً، ترتب على انهيار سد مأرب عام (٥٧٥م) خراب أراضي الري اليانعة وسدد ضربة لازدهار البلاد.

اتخذ التنظيم السياسي للدول اليمنية القديمة شكل ملكيات متحدة وقوية على رأس الدولة ملك تطورات سلطته من سلطة دينية إلى أخرى دنيوية ففي مملكة سبأ وتحت حكم المكاربة كانت القبائل جماعات تظلها حماية آلهتها الخاصة، وكان مجلس من الشعب يساعد الحاكم في وظائفه التشريعية ولذلك تم التعبير عن ذلك من خلال المقه (الإله الرسمي) وكرب آل (الحاكم) وسبأ (الاتحاد القبلي) وفي ظل المجلس قائماً أول الأمر في عصر الملوك في حين قام موظفون قضائيون يتوارثون وظيفتهم ويتخذون لقب (كبير) بتنفيذ القانون في كل قبيلة، غير أن اتساع فتوحات سبأ في القرن الأول الميلادي أدى إلى ازدياد نفوذ هؤلاء الكبراء حتى اصبحت طبقة لها امتيازات خاصة وممتلكات واسعة واختفى مجلس الشعب وتضاءلت سلطة الملك نسبياً ونشأ شكل من أشكال النظام الإقطاعي.

أما في دولة معين وقتبان فقد كان للكهان نشاط أبرز وأظهر عما هو في سبأ، واشتهرت الدولة بقيام شخصين أو أكثر بأمور الحكم، كأن يشرك الملك معه ابنه الذي سيخلفه وفي مرحلة متأخرة بعض أبنائه وقد آخذت بهذا النظام دولة سبأ عند ضمها لقتبان وهو ما أدى إلى تعميم هذا النظام في كل ممالك اليمن، وقام الملوك بتوسيع نفوذهم وإضفاء ألقاب جديدة على أنفسهم وخاصة في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد. وأصبح ملوك سبأ يضيفون إلى لقبهم ملك ريدان وأقاموا عاصمة جديدة للدولة هي مدينة ظفار مع ظهور قبيلة حمير واحتلالها موقع الصدارة وانتشار اسمها في العالم القديم وخاصة في المصادر اليونانية والرومانية إلى جانب اسم السبئيين أو مكانه.

أما منذ عام ٥٢٥م فقد عاش اليمن فترة صراع مع الأحباش لمدة تصل إلى خمسين عاماً تبعها فترة السيطرة الفارسية على اليمن والتي أدت الى حالة من

الإنقسام السياسي والقبلي والديني. وقد أراد كسرى فارس الانتصار على الروم من خلال هزيمة القوات الحبشية المتركزة في اليمن. وكان قوام الحملة الفارسية التي جاءت مع سيف بن ذي يزن حوالي سبعة آلاف وخمسمائة رجل من رجال الجيش الأقوياء ضم إليهم ثمانمائة من عتاة المساجين.

وقد تحقق للحملة الفارسية الانتصار على القوات الحبشية بفضل إلتفاف بعض القبائل اليمنية حولهم خاصة قبيلة همدان. وبعد انتصارهم استقروا في اليمن كحامية فارسية بموجب الوثيقة الموقعة بينهم وبين الملك الحميري سيف بن ذي يزن وقد تزاوجوا في اليمن وكونوا طبقة جديدة عرفت بالأبناء. كما تحالفوا مع بعض القبائل في حروبهم الداخلية، وبالتالي شكلوا فئة قوية المراس تتغلغل في المجتمع وتدين بالولاء لحكومة فارس.

* مراحل التاريخ اليمني :

ينقسم التاريخ القديم لثلاث مراحل :

١- مرحلة مملكة سبأ.
٢- فترة الدول المستقلة وهي مملكة حضرموت ومملكة قتبان ومملكة معين.
٣- عصر مملكة حمير وهو آخر أدوار التاريخ القديم.

مرت البلاد بعدة أطر من ناحية الفكر الديني بداية بالوثنية وتعدد الآلهة إلى توحيدها من قبل الحميريين، وشهدت البلاد تواجداً يهودياً منذ القرن الثاني للميلاد، غلب مصادر تاريخ اليمن القديم هي كتابات خط المسند بدرجة أولى تليها الكتابات اليونانية. أما كتابات النسابة والإخباريين بعد الإسلام فلا يمكن الاعتماد عليها بشأن تاريخ البلاد القديم لعدم قدرتهم قراءة خط المسند وإتساع

الهوة الزمنية بينهم وبين مملكة سبأ ولكن كتاباتهم معقولة ماتعلق الأمر بالزمن الذي عاشوا فيه. إضافة إلى لجوء بعض مؤرخي السيرة النبوية مثل ابن إسحاق وغيره إلى وضع روايات وأبيات شعرية مختلقة على ملوك اليمن القديم لأسباب دينية وسياسية للإيحاء بأن اليمنيين القدماء كانوا يحجون إلى مكة، وما تواتر عن صراع بين عدنان وقحطان لأجل السيطرة على تلك المدينة، رغم عدم العثور على أي ذكر لمكة في أية كتابة قديمة مكتشفة حتى الآن على كل أراضي الجزيرة العربية.

وليس في اليمن فحسب ولا في كتابات اليونان الكلاسيكية فهناك غياب واضح لها في الكتابات القديمة رغم أن السبئيين كانوا يجيدون الكتابة منذ القرن العاشر قبل الميلاد على الأقل. عدا أن اليمنيين لم يعرفوا قحطان هذا كجد بل عرفوا المسمى كاسم محطة تجارية تابعة لهم في قرية الفاو فهم كانوا يعتقدون أنهم أبناء آلهتهم، وهو مايُضعف الإدعاءات الواردة في كتب التراث العربية بشأن التاريخ القديم لليمن والجزيرة العربية بشكل عام فلا توجد دلائل مادية أن كعبة مكة عنت لليمنيين أي شيء، فلا يعرف متى بنيت على وجه الدقة فلا ظهور لمكة إلا في القرن السادس الميلادي عقب سقوط مملكة حمير. كان لليمنيين القدماء نظام زراعي متطور وعرفوا ببناء السدود الصغيرة في كل واد وأشهر السدود اليمنية القديمة سد مأرب وازدهرت تجارتهم وكونوا محطات وممالك صغيرة منتشرة في أرجاء الجزيرة العربية مهمتها حماية القوافل من محاولات الأعراب لنهب وسلب محتوياتها، وأسسوا إحدى أهم ممالك العالم القديم المعروفة باسم ممالك القوافل وبلادهم باسم بلاد العرب السعيدة في كتابات المؤرخين الكلاسيكية.

◂ تاريخ البحث العلمي :

كان للنمساويين الصدارة في دراسة النصوص اليمنية القديمة وأشهر هؤلاء المستشرق "إدورد جلازر" الذي جمع خلال زياراته الثلاث إلى اليمن حوالي ١٠٣٢ نقشاً قديماً وبالتعاون مع صديقه الفرنسي "جوزيف هاليفي" الذي درس وحده ٨٠٠ نقش في القرن التاسع عشر ودخل اليمن وتجول بأرجائها كيهودي متسول من فلسطين ليقي نفسه تحرشات القبائل إذ كانت القبائل لا تتعرض لفقراء أهل الذمة بسوء.



إدورد جلازر

كانت هناك محاولات متواضعة من مستشرقين إيطاليين ودنماركيين في القرن السادس العشر إلا أنها لم تكن مثمرة. بعد الحرب العالمية الأولى، بدأ عدد من الباحثين المصريين والسوريين (كشيخ الآثريين) المصري "أحمد فخري"، وله

كتابان عن اليمن وتاريخها القديم، بزيارة اليمن والمشاركة في أعمال التنقيب والحفريات.

أما أول أمريكي يزور اليمن فكان الباحث "ويندل فيليبس" وعدد آخر من الباحثين مثل ألبرايت وألبيرت جامه. ثم كان كتاب المؤرخ العراقي الراحل جواد علي العبيدي المعنون المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام وفيه أبدى الدكتور جواد رأيه في كثير من المسائل وأطروحات المستشرقين فلم يكن متوافقاً معهم كلياً ولا مجرد ناقل بل تناول كتابتهم وكتابات المؤرخين العرب بالنقد والتمحيص كذلك، فهي أبحاث علمية تحتمل الخطأ والصواب. في عام ١٩٨٧ قام الباحث الألماني "ويرنر دوم" بزيارة اليمن وتأليف كتاب "اليمن، ثلاثة آلاف سنة من الفن والحضارة في العربية السعيدة (Yemen: 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix)"، تطرق فيها الكاتب لأبحاث حديثة حول تاريخ الفنون والتماثيل والمعتقدات الدينية "للعربية السعيدة". المكتشف من نصوص خط المسند يمثل نسبة ضئيلة للغاية من تاريخ سبأ واليمن بشكل عام، والدراسات قليلة وغير وافية ومعظم النقوش نُسخ من قبل سياح ومستشرقين دخلوا اليمن متنكرين خوفاً على حياتهم ولم تتوفر لهم فرصة لدراسة النصوص والمعابد بشكل دقيق بعيداً عن المنغصات، فضلاً أن كل المُكْتَشف الذي تم دراسته عثر عليه على ظاهر الأرض، وما تحتها يتجاوز ذلك بلا شك. فهذه معوقات لا تسمح بتكوين صورة دقيقة ومكتملة عن التطور السياسي للسبئيين وهو ما فتح بابا للجدال واختلاف الآراء والتفسيرات حول دلالات المُكتشف من النصوص. وللأسف فإن الأبحاث الآثارية الحديثة في اليمن تتعرض لمضايقات وعرقلة بسبب الاضطرابات.

كتابات النسابة وأهل الأخبار يجب أن تقرأ بحذر وتمحيص شديد لأن مجال الوضع والكذب فيها واسع؛ فعدد كبير من الإخباريين كان يؤلف كتاباً في "فضل" قبيلة ما ومآثرها إما تعصباً أو تكسباً بالأموال. ولاحظ الباحثين في العصر الحديث أن الموارد الإسلامية أو تلك التي دونت بعد الإسلام تحتوي شيئاً من الصحة عن التاريخ العربي قبل الإسلام ماتعلق الأمر بالقرن السادس الميلادي على أكثر تقدير مع ذلك لا يمكن الاعتماد على تلك المصادر لإنها لم تعتمد على سند مدون ولا نص مكتوب بل كانت روايات شفهية متواترة تعتمد على القيل والقال وهو حال كل كتابات المؤرخين المسلمين للأسف، فمن غير المنطقي من وجهة نظر بعض الباحثين، إدراج النسابة والإخباريين لحوارات طويلة بين شخصيتين تاريخيتين بدون الرجوع إلى مصدر أصلي مدون عن الحوار المزعوم؛ فذاكرة الإنسان مهما كانت لا تحفظ نصاً واحداً بمجرد الاستماع وإحتمالية الكذب والزيادة والوضع كبيرة في ظل ثقافة شفهية كهذه. لعل أبرز نتائج هذه الثقافة الأخبار عن الإنتصارات والمفاخر بين القبائل وكلها روايات نابعة من خصومات الافتعال والكذب فيها جلي، مثل مايسميه بعض الإخباريين انتصاف قبائل بدوية من ملوك حِميّر.

وقد كان المؤرخون المسلمون يعتمدون على الشعر لإثبات حوادث تاريخية فيزعمون أن ملكاً أو فارساً أنشد شعراً في موقعة ما وبذلك تكون الفكرة التي أرادوا إيصالها مثبتة تاريخياً في نظرهم ووصل بهم الأمر إلى نسب أبيات شعرية إلى آدم بل إبليس نفسه، وحتى إن نقلوا من مصادر مدونة فإنهم يقحمون آرائهم وينقلون عنها من منطلق الواعظ والناصح ولذلك اختلف المؤرخين

المسلمين عن اليونان والبيزنطيين كثيراً، فكتابات اليونان وإن عابتها توجهات سياسية إلا أنها أكثر موثوقية.

وعلى هذا فإن قصص الإخباريين والنسابة ضعيفة ماتعلق الأمر بالتاريخ العربي قبل الإسلام عموماً والتاريخ اليمني بشكل خاص لإن اليمنيين كانوا يدونون بخط المسند وذكروا في كتابات اليونان والبيزنطة ومع ذلك لم يكلف النسابة والإخباريين أنفسهم الرجوع لتلك المصادر باستثناء قليل منهم كان على إطلاع على كتابات السريان حول بعض التواريخ مثل قصة ذو نواس الحِميَّري. وقد تنبه مؤرخون مسلمون في عصور لاحقة لذلك وانتقدوا أساليب من سبقهم مثل ابن خلدون، ولكن من بين الإخباريين الذين بذلوا جهداً معقولاً في هذا الجانب كان المؤرخ والجغرافي اليمني أبو محمد الهمداني مؤلف صفة جزيرة العرب لإنه كان من القلائل الذين حاولوا قراءة نصوص المسند على الأقل وقد زار المواقع الأثرية بنفسه ودون مارآه وهو مجهود لم يفعله أحد من المؤرخين المسلمين، ولكنه مع ذلك وقع في أخطاء فادحة .

* الأصول :

ليس من الواضح ما إذا كانت هذه الحضارات القديمة منبثقة من حضارات بدائية قامت في العصر البرونزي (امتدادا للعصور الحجرية) في اليمن أم أنهم نازحين من فلسطين خلال العصر الحديدي. فالبعض يعتقد أن السبئيين وغيرهم كانوا امتداداً لحضارات بدائية قديمة جداً قامت في اليمن إلا أن الارتباط اللغوي للعرب الجنوبيين مع الكنعانيين بالذات يرجح نزوحهم إلى الجنوب على رأي علماء المدرسة الألمانية القديمة، وتبقى هذه مجرد نظرية، فسبب النزوح (إن حدث فعلاً) لا يزال غير معروف. ولكن في الفترة التي عثر فيها على كتابات مسندية قديمة

في اليمن، كان المصريون قد توغلوا في كنعان وأخضعوها لحكمهم، فيعتقد أن غزو المصريين كان سبب النزوح جنوباً واقتتالهم مع ممالك محلية صغيرة "ممالك . مدينة" (City States) وهيمنتهم عليها. وقد ورد نص مصري عن تلقي الإمبراطور المصري تحتمس الثالث هدايا من يمنيين في القرن الخامس العشر، وهذه الهدايا كانت بخوراً مما يدل على قدم سيطرة اليمنيين على مناطق إنتاج البخور ويضعف فرضية النزوح في العصر الحديدي .

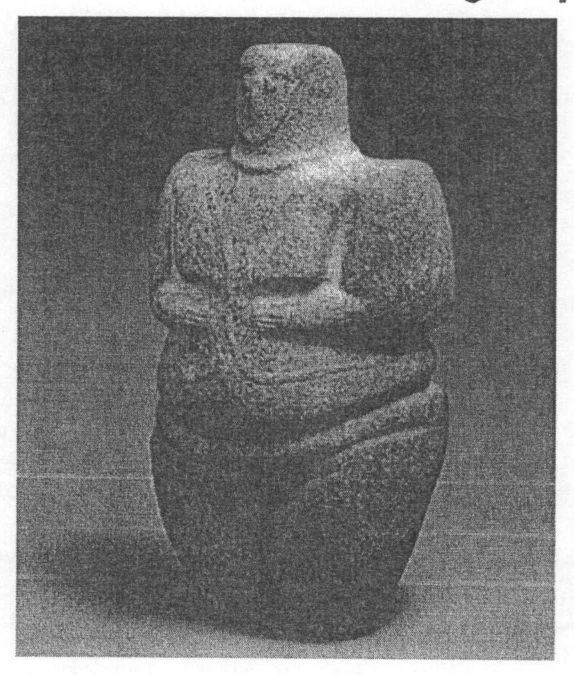
كشفت أبحاث قصيرة في عام ٢٠٠١ عن وجود حضارة زراعية تعود إلى الألفية الرابعة قبل الميلاد وهو ما يُفند النظرية المستندة على التوراة بشأن أصول السبئيين ، فالعامل اللغوي وما جاء في التوراة عن أعراب سبئيين قرب مناطق اليهود هو ما حمل باحثي المدرسة الألمانية القديمة على ترجيح نزوح العرب الجنوبيين من أقصى جنوب فلسطين. فالتوراة ذكرت ما يُفترض أنه نسب سبأ ثلاث مرات مختلفة فذكر سبأ من نسل الشخصية التوراتية إبراهيم من ولد اسمه "قيشان" كان شقيقاً لمدين الذي أنجب ديدان. وذكرت التوراة كذلك أن السبئيين كانوا يغيرون على أيوب ويسرقون بقره ويقتلون الأطفال وهي تعطي دلالة أن عدداً من السبئيين كان بدوياً ويغير على المزارعين في مواقع قريبة من اليهود. وذكرت التوراة أيضاً سبأ أخرى شقيقة لحضرموت ومن أبناء يقطان بن عابر وهو الإدعاء الذي تمسك به النسابة والإخباريون الذين ظهروا بعد الإسلام، وأنهم كانوا يسكنون "ميشع" ونزحو إلى "سفار" ويعتقد الباحثون أن المقصود بسفار عند اليهود هو ظفار يريم عاصمة الحميريين ، وذكروا سبأ من نسل كوش وهي إن أثبتت شيئاً فهو امتداد نفوذ السبئيين إلى عدة مناطق على شكل مستعمرات، وتعدد المناطق التي قدمت منها القوافل السبئية خلط الأمور على اليهود.

ذكر الباحثون في سياسة العرب الجنوبيين تكوين مستعمرات وتمهيد الطرق للقوافل، وبناء على ذلك فلا شك أن جماعة من السبئيين كانوا يسكنون على مقربة من أرض كنعان. وقد عثرت بعثة إسكتشاف أمريكية على آثار من النحاس والحديد وكتابات بخط المسند تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في موقع "تل الخليفة" بالأردن يرى الباحثون أن لها علاقة بالمعينيين في العلا.

هذا لا يعني اعتبار التوراة مرجعاً ولكن الوارد فيها قد يعطي لمحة لبعض التواريخ فكتاباتهم تشبه كتابات النسابة والإخباريين العرب تتعرض للأهواء والأمزجة والأحقاد وأغلبها بطابع دعائي كاذب. وقد عثر الأثريون على كتابات سبئية ومعينية في مختلف أرجاء شبه الجزيرة العربية في قرية "الفاو" بل في العراق كذلك في موقع "وركاء" على شاهد قبر قديم ولا يعرف على وجه الدقة ما إذا كان هؤلاء الذين دونوا بالمسند في العراق يمانيين أم من سكان البلاد الأصليين. واكتشفت كتابات معينية في ميناء "عصيون جابر" وهو حسب العهد القديم أحد الموانئ المهمة للملك سليمان وكتابات مشابهة في القطيف. ورد في نصوص سومرية كلمة "سبأ" في كتابة "لجش تلو" ويعتقد أن المقصود "أرض سبأ" وذلك منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد، وقال هومل أن كلمة "سابوم" الواردة في نصوص لملوك أور هي ذاتها سبأ المذكورة في العهد القديم والقرآن.

كان التبادل التجاري مبلغ علم العبرانيين فلا يوجد في كتبهم سوى أن السبئيين كانوا أثرياء وتجار بخور ولبان وأحجار كريمة، ويظهر أن الأمور اختلطت عليهم بسبب تعدد المواقع التي قدمت منها القوافل السبئية. المهم في هذه الكتابات اليهودية هو توصيفها لحال الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية. وقد وجدت كتابات تصف وضعاً مشابهاً في كتابات اليونانيين والرومان. كانت الكتابات

اليونانية في البداية مبالغاً فيها ويشوبها عنصر الأسطورة ولكنها تحسنت بعد الاتصال المباشر لليونانيين باليمنيين القدماء وزيادة أطماع اليونان السياسية كانت دافعاً لهم لدراسة الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية ودراسة مواطن ضعفه حتى أنهم خزنوا ما كتبوه عن اليمن القديم في خزانة مكتبة الإسكندرية واعتبروه من أسرار الدولة التي لا يطلع عليها العامة.



منحوتة لامرأة تعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد أو بدايات الثانية (القرن العشرين ق.م)

أما الوارد بشأن جرهم وإسماعيل فهي قصص متأثرة بتراث ديني والتأكد منها من ناحية الآثار يكاد يكون مستحيلاً خاصة أن معظم الأبحاث الأثرية لا يثبت وجود هذه الشخصيات؛ وإن وجدت فإنها قد لا تكون بنفس الصورة التي صورتها النصوص الدينية . ورد اسم قحطان (الجد الأكبر للقبائل اليمنية وسبأ وحمير وكل

هذه الممالك حسب معظم النسابة وكتب الإخباريين) ولكن في كتابات مسندية متأخرة للغاية عن القرن الثاني عشر أو التاسع قبل الميلاد ولم تكن بالصورة التي صورها الإخباريون، فذكر سبأ وحضرموت ومعين وحمير وقتبان أقدم من ذكر قحطان بمراحل وورد اسم قحطان كأرض وليس جداً ولا حتى جزء من ميثولوجيا دينية قديمة، فقد ذكر قحطان كاسم أرض لملك كندة، وقد تظهر الأيام والاكتشافات السر وراء أسطورة قحطان هذا، فرغم أن عدد النقوش والآثار المكتشفة يتجاوز العشرة الآف نقش إلا أن الباحثين يعتقدون أن ما تحت الأنقاض يتجاوز ذلك وإن لم يكن البحث عن قحطان هو هدف الأركيولوجيين الرئيسي من عمليات التنقيب التي لا زالت في بداياتها .

* تاريخ اليمن القديم :

وجدت شواهد لقبور ميغاليث تعود إلى العصر الحجري القديم، ولا زالت الدراسات بشأن تاريخ اليمن القديم في بداياتها فكثير من الأمور لا زالت غامضة وغير واضحة. بدأت تظهر علامات على تحضر في أواسط الألفية الثانية قبل الميلاد في منطقة صبر تحديداً تعود إلى العصر البرونزي وتسبق الممالك الخمس المعروفة. حيث وجدت أطلال لمدينة قديمة ولها أسواق ومباني صغيرة وحفر تقود إلى مخابئ لتخزين الأمتعة الثمينة ولا زالت الأبحاث جارية حول هذه الحضارة الصغيرة من قبل مختصين ألمان، لم تجر أبحاث حول الحضارات الأصلية التي إنبثقت عنها الممالك اليمنية الأربع.

ولمعرفة تاريخ اليمن القديم لابد للقارئ أن يلغي من ذهنه الحدود السياسية المعاصرة لشبه الجزيرة العربية ويتصورها وحدة جغرافية مترابطة، فلم تعرف شبه الجزيرة العربية لا عرب الجنوب ولا عرب الشمال ولا عرفت شمال

الجزيرة ولا جنوبها، ولم تورد النقوش ذكراً لقحطانية ولا لعدنانية، بل كانت كل شبه الجزيرة مسرحاً لأحداث تاريخية متنوعة؛ فقامت الممالك والحضارات واتسعت بذاتها أو نفوذها داخل شبه الجزيرة طالما توفرت لها القوة والنفوذ داخل شبه جزيرة العرب. أما التقسيم الشائع في الكتابات الحديثة لشبه الجزيرة العربية بين شمال وجنوب فينحدر من العصر الإسلامي، ومع ذلك وبسبب الانسجام القائم على التنوع الحيوي في منطقة جنوب شبه الجزيرة وبسبب تواصل حلقات تاريخها السياسي والحضاري فقد جعلت المصادر كل جنوب شبه الجزيرة قسماً واحداً بينما فصلت شمال الجزيرة إلى عدة أقسام ومع ذلك فلم تكن حدود الشمال والجنوب حتى في العصر الإسلامي محددة بدقة. إلا أن المؤرخ والجغرافي اليمني أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب (صفة جزيرة العرب) (توفي بعد سنة ٣٦٠هـ) قد جعل حدود جنوب شبه الجزيرة تبدأ من الكعبة بمكة جنوباً، وهو تقسيم ينحدر من العصر الإسلامي كما نرى. أما الإغريق قديماً فقد نظروا إلى ما سموه العربية السعيدة وهي صفة شاعت عن بلاد اليمن، ورأوا أنها تبدأ بعد عشرة كيلومترات من العقبة جنوباً.

ما نود عرضه هنا هو رسم إطار زمني لعصر ما يصطلح عليه بالتاريخ اليمني القديم أو فترة تاريخ الحضارة الراقية في اليمن القديم، وهي تمثل حيناً من الدهر برز فيها سكان بلاد اليمن من غسق التاريخ إلى ضحاه، ودلت على دورهم التاريخي لُقَىً أثرية مميزة وشواهد كتابية معلومة، ضمت حروفاً أبجدية خاصة: صوتاً ورسماً، وتومئ إلى حضارتهم قرائن خارجية ثابتة تدل على أن أمماً أخرى في ذلك الزمان تناقلت طرفاً من أخبارهم وتبادلت شيئاً من سبل معاشهم. ويمكن تقسيم الإطار الزمني لتاريخ اليمن القديم إلى عصرين رئيسين، ويستند هذا التقسيم إلى

معطيات تاريخية وجغرافية ليس هنا محل تفصيلها، ومع ذلك فإن العصرين يتداخلان ومن الصعب رسم حد فاصل بينها، فقد تزامنت فترات من العصرين، كما لم يكن الانتقال من الأول إلى الثاني انقطاعاً، وإنما امتداداً واستمراراً، والعصور التاريخية ليست مسارات زمنية مختلفة، وإنما هي في حقيقة الأمر مظاهر مختلفة لمسار زمني واحد. تاريخ اليمن القديم يتناول منطقة جنوب الجزيرة العربية من الألفية الثانية قبل الميلاد حتى العصور الوسطى (عند دخول الإسلام). قامت على أرض اليمن حضارات قديمة أشهرها سبأ وحمير ومملكة حضرموت وقتبان ومعين سقط آخرها في العام ٥٢٥ م، وعرفت اليمن أيام تلك الممالك باسم العربية السعيدة في كتابات اليونان الكلاسيكية.

شهد تاريخ اليمن القديم عدة أديان ومعتقدات بدأت الوثنية المقدسة للإله المقه (إيل مقه) وعثتر وسين ورحمن إلها أوحد للسماء والأرض وعرفت ديانتهم باسم "التوحيد الحميري" قبل أن يعتنق عدد من الملوك المسيحية واليهودية.

ما قبل التاريخ :

من خلال هذا الكتاب سنكتفي بالحديث عن تاريخ اليمن القديم أي قبل مرحلة العصور الوسطى (التي تبدأ بدخول الإسلام). وكمقدمة لهذه الفترة سوف نتناول دراسة الحقبة الزمنية التي تسبقها، وهي تنقسم إلى :

١- العصر الحجري القديم.

٢- العصر الحجري الحديث.

٣- العصر النحاسي.

٤- العصر البرونزي.

العصر الحجري القديم :

تعد اللقى الأثرية التي عثرت البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة في وادي جردان من أقدم الآثار في اليمن، حيث عثرت على موقعان يحتويان على أدوات ترجع إلى عصر (الاولدوي) وهو أقدم مرحلة من مراحل العصر الحجري، ويعود تاريخها إلى حوالي مليون سنة. كما عثرت على أول آثار لكهوف من العصر الحجري القديم، يتم العثور عليها في الجزيرة العربية. ويمثل موقع (جبل تلع) في محافظة لحج والمواقع المكتشفة في وادي الجيزي غرب الغيضة في محافظة المهرة نموذجاً للآثار التي تعود إلى العصر الآشولي الذي ينتمي إلى العصر الحجري القديم الأدنى.

ثم جاءت البعثة الفرنسية لتؤكد من خلال أعمال البحث التي قامت بها، بأن التلال المحيطة بمدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت تحتوي على آثار تدل على أن المنطقة سُكنت في العصر الحجري القديم، كما أكدت أعمال البحث التي قامت بها البعثة الإيطالية وجود العديد من المخلفات الحضارية التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأدنى والأوسط، والعصر الحجري الحديث، وذلك في منطقة وادي (يلا) قرب مأرب. وفي محافظة المهرة توجد العديد من الموقع منها وجدت بالقرب من قشن وبالقرب من ساحل الخليج العربي.

العصر الحجري الحديث :

تنتشر المواقع الأثرية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث في العديد من مناطق الأودية، فعلى سبيل المثال عُثر على بعض اللقى الأثرية من العصر الحجري الحديث (حوالي ٤٨٠٠ ± ٤٠٠ ق.م) في وادي (العطف) جنوب مدينة شبوة. وفي مدينة حريضة عثرت البعثة البريطانية على أدوات حجرية

من العصر الحجري الحديث وذلك في وادي عمد حول حريضة. وهناك أيضاً الرسوم الصخرية التي اكتشفت في عدة مناطق من محافظة صعدة وبالقرب من مدينة رداع في محافظة البيضاء، والتي تصور مجموعات بشرية وحيوانية وبعض الرموز الغامضة، بالإضافة إلى الكهف الأثري المكتشف حديثاً في محافظة الضالع. وفي محافظة المهرة وجدت معظم مواقع هذا العصر في منطقة ثمود وفي منطقة سناو، وفي حبروت.

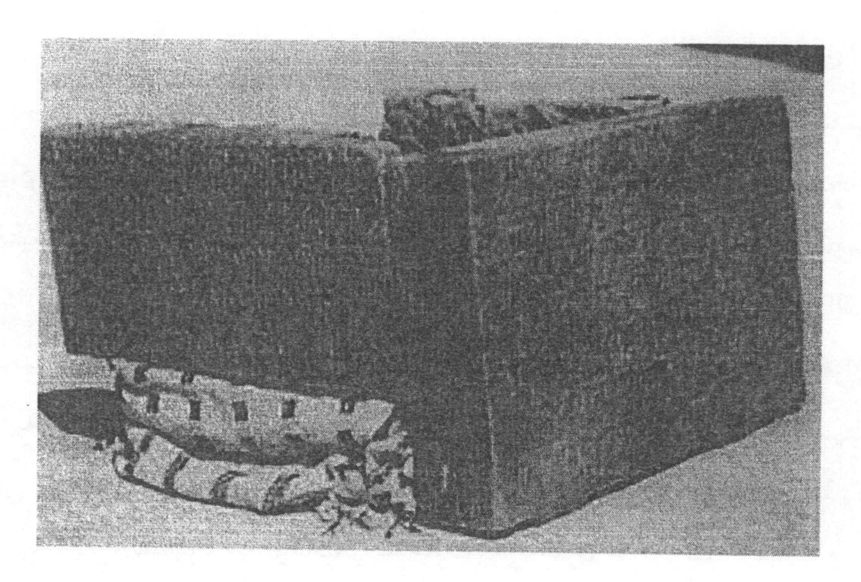
العصر النحاسي :

أثبتت أعمال البعثة الإيطالية وجود عصر نحاسي من خلال الآثار التي تم العثور عليها في منطقة العرقوب وضلاع الأعماس، وبني بخيت من آثار في محافظتي صنعاء وذمار. كذلك ما عثر عليه في منطقة بهائس، ومواقع العصر النحاسي عادة ما تكون متداخلة مع مواقع العصر البرونزي.

العصر البرونزي :

بالإضافة إلى عشرات المواقع من العصر البرونزي في مناطق خولان الطيال والحدأ. كما ساهمت البعثة الأمريكية التابعة لجامعة شيكاغو، في الكشف عن العديد من المواقع الأثرية من خلال عمليات المسح والتنقيب التي قامت بها في مناطق مختلفة من محافظتي إب وذمار، ومن أهم النتائج العثور على موقع (حمة القاع) على بعد (١٠كم) شرق مدينة معبر، الذي يمثل مدينة كاملة من العصر البرونزي، لم تتعرض للتدمير البشري. كما أن الفحص الذي قامت به هذه البعثة بواسطة الراديو كربون لعينة من بقايا التربة أُخذت من على عمق (٦أمتار) في سد أضرعة أظهر أن عمرها يبلغ حوالي (٤٩٧٠ ± ٨٠ ق.م.) وأهم مواقع عصر البرونز في محافظة المهرة توجد بالقرب من مدينة الغيضة، وهي عبارة

عن رسوم ومخربشات صخرية. إلى جانب ذلك اكتشفت عدة مواقع تعود إلى العصر البرونزي في العديد من المناطق الأخرى، منها (بدبدة) في خولان الطيال، وكذلك منطقة حضور همدان .وتشير تلك المواقع إلى انتشار ثقافة العصر البرونزي في مختلف مناطق جنوب الجزيرة العربية. وتنتشر في محافظة مأرب وخاصة في صرواح وجبل الرويك والثنية أعداد كبيرة من المقابر البرجية تعود إلى العصر البرونزي. وفي محافظة لحج يوجد موقع صبر، الذي يمثل مرحلة الانتقال من عصر البرونز إلى عصر الحديد، والذي يبدأ حوالي ١٠٠٠ ق. م ، وهو بداية العصر الكتابي.



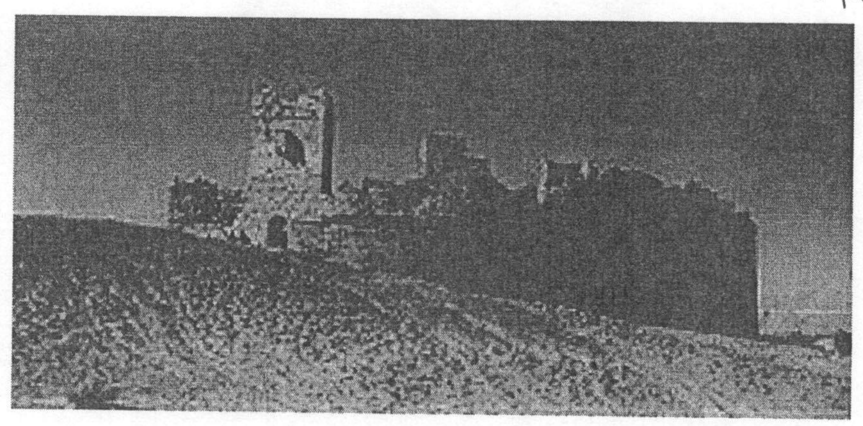
كتابة سبئية من العصر الوسيط، من كتابات كهذه أخذ الباحثون معرفتهم بتاريخ اليمن القديم

على أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، شهدت اليمن قيام ممالك مدنية وهناك إختلاف بين الباحثين حول أصول بناة هذه الممالك، يقترح بعضهم

استناداً على التشابه اللغوي أن السبئيين نزحوا من كنعان، ويستدلون كذلك بنصوص من التوراة مثل هجوم السبئيين على أيوب وقتلهم أطفاله ففي هذا دلالة أن السبئيين كانوا أعراباً قبل استقرارهم في مأرب من وجهة نظرهم، ولكن هذه استناجات قديمة من الباحثين الألمان في القرن التاسع عشر وهي مرفوضة حالياً. اليمن أحد أقدم المناطق المأهولة في العالم وهناك دلائل على حضارات بدائية تسبق المملكة السبئية ولكن القليل هو المعروف عن هذه الفترة وكيفية الإنتقال من العصر البرونزي إلى عصر ممالك القوافل نظراً لقلة الدراسات الأثرية عن اليمن والتي تتعرض لمضايقات وعرقلة مدفوعة بعدم الرغبة في إسكتشاف تاريخ اليمن والجزيرة العربية ككل قبل الإسلام.

حسب الضئيل الذي عثر عليه بظاهر الأرض، كانت الممالك أو الإتحادات القبلية الأربع الرئيسية تتاجر بالبخور والبهارات والمر والذهب. ويذكر العهد القديم قصة ملكة سبأ وزيارتها للملك سليمان وقدومها بقوافل محملة بالطيب والذهب، وتعتبر مأرب مهد الحضارة اليمنية القديمة. بدأ السبئيون بالتوسع شيئاً فشيئاً والإستيلاء على الإمارات الصغيرة التابعة للممالك الأخرى قرابة القرن التاسع قبل الميلاد. لا توجد أنهار في اليمن كتلك الموجودة بمصر والعراق وطبيعة الأرض جبلية وعرة فظهرت ممالك متعددة، متحاربة ومتصارعة للسيطرة على الموارد المحدودة أشهرها وأقواها كانت مملكة سبأ. وللتغلب على قسوة الطبيعة، بنى السبئيون سد رحاب (سد مأرب) في القرن الثامن قبل الميلاد وربما العاشر وكان سبباً رئيسياً لإزدهار وقوة المملكة، كان السد معجزة هندسية في تاريخ شبه الجزيرة العربية، يروي مايقارب ٩٨,٠٠٠ كم مربع، يدفع ١,٧٠٠ متر مكعب من السيول حاملة ٢٠٠٠ طن من المياه في الثانية. عُرفت هذه الواحة

البشرية الصنع بـ "أرض الجنتين". كان السبئيون يحكمون من كهنة يسمى أحدهم مكرب والمكرب كان أعلى طبقة إجتماعية في اليمن القديم، معنى كلمة مكرب غير واضح ولكنها بالتأكيد ليست ملك أو أمير. لقرون عديدة، سيطر السبئيون على التجارة الصادرة بين البحر الأبيض المتوسط والهند، وكان السبئيون يروجون الشائعات التي صدقها اليونانيون لفترة، من قبيل أن هناك ثعابين مجنحة لا تسمح لأحد سوى السبئيين بالاقتراب من مصادر انتاج البخور واللبان. اخترع أبناء سبأ احساساً بالهوية عن طريق الدين، فعبدوا إلههم إل مقه وأقنعوا أنفسهم أنهم أبنائه.



بقايا معبد إل مقه في صرواح

مابين (٧٠٠ – ٦٨٥ ق.م) ، قام المكرب كربئيل وتر الأول بتغيير لقبه من مكرب إلى ملك، وشن حملات واسعة وخلد انتصاراته ومعاركه في كتابة تركها بمدينة صرواح عاصمة السبئيين الدينية وجمع الممالك الأربع وكل الإمارات الصغيرة تحت حكمه عقب حملات عسكرية خلفت تسعة وثلاثين ألف قتيل وثلاث وسبعين ألف أسير. أقام السبئيون مستعمرات تجارية لهم في مواضع

متعددة من شبه الجزيرة العربية أبرزها مملكة كندة في نجد ومستعمرة في أكسوم بشمال إثيوبيا ونقلوا نظام كتاباتهم القديم إلى تلك المناطق. في القرن الرابع قبل الميلاد، انتقل المُلك في سبأ لأبناء همدان بقيادة الملك وهبئيل يحز. كان الهمدانيون سادة المرتفعات الشمالية الغربية وقد ظهروا في فترة مضطربة ومربكة في تاريخ مملكة سبأ واليمن القديم بشكل عام وحاولوا فرض تقديس إلههم تألب ريام على باقي القبائل .



شاهد قبر سبئي يظهر إمرأة تحمل بذور قمح وهو رمز للخصوبة في اليمن القديم

في القرن الثالث، تحالفت ممالك حضرموت ومَعيَّن وقتبان واستقلوا عن مملكة سبأ وتبادلت الممالك الأربع موازين القوى لفترة، فسيطرت مَعيَّن على الطريق التجارية وأقاموا مستعمرة لهم في ديدان وسيطرت مملكة قتبان على حضرموت عام ٢٣٠ ق.م. على أواخر القرن الثاني قبل الميلاد ضعفت مملكة سبأ، واقتصر سلطانهم على مأرب وصنعاء، واستعرت الفوضى بين مملكة سبأ

ومملكة حضرموت ومملكة قتبان، كلٌ يقاتل لأجل الصدارة فاستعادت مملكة سبأ هيمنتها على مملكة معين وأحرقت مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، وقضى ملك سبأ "إيلي شرح يحضب" جُل فترة حكمه يخمد التمردات وبحلول العام ٢٥ ق.م، كان السبئيون القوى المهيمنة على جنوب شبه الجزيرة العربية من جديد.

في العام ٢٥ ق.م ، أرسل الإمبراطور أغسطس قيصر حملة عسكرية بقيادة حاكم مصر الروماني أيليوس غالوس(جالوس). امتلك الرومان معلومات جغرافية وسياسية ضئيلة ومتناقضة عن اليمن فأُبيد الجيش الروماني من عشرة آلاف مقاتل أمام أسوار مأرب. وانسحب غالوس وصديقه سترابو إلى الإسكندرية وأُعدم دليلهم النبطي بتهمة الخيانة. ولم تُكتشف كتابة بخط المسند عن الحملة الرومانية بعد. عقب الحملة الرومانية، ادعت عدة فصائل حقها في الملك؛ همدان وحِميَّر تحديداً؛ فكان هناك ثلاث زعماء يلقبون أنفسهم بلقب ملك سبأ وذو ريدان. تمكن الحِميَّريين من السيطرة على صنعاء عام ١٠٠ بعد الميلاد لمدة ثمانين سنة حتى طردهم أقيال من حاشد عام ١٨٠، واستمرت المعارك القبلية الصغيرة بين الفريقين حتى تمكن الحِميَّريين بقيادة "شمَّر يهرعش" من القضاء على كل الإقطاعيات ودخلت البلاد مرحلة الحكم المطلق للحميريين وأتخذوا من ظفار يريم عاصمة لمملكتهم، وألغوا النظام الإتحادي الذي كان سائداً أيام دولة السبئيين، ذلك لإن النصوص المكتشفة أيام السبئيين، تظهر أن زعماء قبائل وإقطاعيات واسعة كانوا يشيرون لأنفسهم بملوك كذلك واقتصرت علاقتهم بمأرب على دفع الضرائب السنوية، فاختفت الألقاب الملكية لتقتصر على أذواء ريدان، فكان الحميريين أول من عين حكاماً للمقاطعات في تاريخ اليمن القديم سموهم جباة الملك.

إعتبار ظفار يريم عاصمة لم يقلل من أهمية مأرب عند الحميريين، بل استمروا بتقديم القرابين والأضحية في المعبد الرئيسي بمأرب ومرد ذلك كان رغبة الحِميَّريين باستمرارية التقاليد الموروثة وإضفاء شرعية لملكهم أمام السكان، وأتخذ الحميريين من العام ١١٥ق.م مبدأ لتقويمهم وقاموا بتوحيد آلهة الممالك وإعتبار رحمن إله الأرض والسماء والأوحد. شهدت البلاد مرحلة من الفوضى عقب وفاة شمَّر ذلك أن عدة بيوت حِميَّرية ادعت حقها في الملك، إلى أن استعاد ذمار علي يهبر السيطرة ليكون جد سلالة قوية من الحميريين هيمنت على اليمن وباقي شبه الجزيرة العربية لمايزيد عن ٢٥٠ سنة.

بدأ الروم بمحاولة نشر المسيحية في اليمن قرابة القرن الرابع الميلادي فأرسل الإمبراطور قنسطانطيوس الثاني بعثة بقيادة ثيوفيلوس الهندي لتنصير الحميريين ولكن وفقاً لفيلوستورغيوس فإن البعثة تعرضت لعرقلة من يهود محليين، وأكتشفت عدة كتابات بخط المسند والعبرية تشير إلى رحمن وإسرائيل وأقيالٍ يهود. ولكن وفقاً للبعثة المسيحية؛ فإنهم تمكنوا من تنصير نجران والمخا وظفار يريم وبناء ثلاث كنائس في هذه المدن. كان الملك شرحبيل يعفر الذي توفي عام ٤٦٥ آخر ملوك حميَّر من سلالة ذمار علي يهبر ليخلفه الملك شرحبيل يكف الذي يعتبر مؤسس سلالة جديدة من الحميريين.

بحلول العام ٥١٦ (القرن السادس) ، أصبحت مملكة حمير منقسمة على نفسها على طول الخطوط الدينية وصراع مرير بين فصائل عديدة مهد الطريق لتدخل من مملكة أكسوم المسيحية. إذ يتضح وقوع صراع ما على السلطة بدلالة إكتشاف كتابات لشخصين متحاربين كلاهما يلقب نفسه باللقب الملكي للحِميَّريين، كان الملك معد يكرب يعفر آخر ملوك حِميَّر الشرعيين وكان

مسيحياً وتعاون مع مملكة أكسوم ضد أعدائه من اليهود الحميريين، وشن حملة عسكرية بإيعاز من بيزنطة ضد المناذرة بمساعدة من قبائل عربية مسيحية مرتبطة ببيزنطة، كان المناذرة بجنوبي بلاد الرافدين متراساً للإمبراطورية الساسانية الفارسية والتي كانت غير متسامحة مع دين تبشيري كالمسيحية.

ظهر يوسف أسأر وكان أحد الأذواء اليهود الذين ظهروا في نفس الفترة المضطربة. بظهور يوسف كانت المملكة الحميرية قد سقطت على أرض الواقع. كان المسيحيون في اليمن قد ارتكبوا عمليات قمع ممنهجة ضد اليهود وأحرقوا العديد من المعابد اليهودية عبر البلاد. فانتقم يوسف لليهود بقدر كبير من القسوة. أشهر وقائعه كانت في نجران، مصادر الإخباريين بعد الإسلام ذكرته ولكنها مصادر بلا قيمة تاريخية تذكر، وشن حملات على الطول الساحل الغربي في تهامة حتى وصل باب المندب، ليعيق وصول الإمدادات للمسيحيين في اليمن من مملكة أكسوم على الضفة المقابلة، إذ كان المسيحيين في نجران طابوراً خامساً لمملكة أكسوم. قتل المسيحيين بتلك الصورة برر تدخل بيزنطة ودعمها لأكسوم وتمكن الأسطول البيزنطي من هزيمة يوسف أسأر أو "ذو النواس الحِميَّري" عام ٥٢٥ – ٥٢٧ للميلاد وعُين شميفع أشوع حاكماً على البلاد، وقاموا بإعادة إعمار كل الكنائس التي هدمها ذو النواس منها ثلاث كنائس جديدة في نجران وحدها، قُتل شميفع أشوع من قبل أبرهة بعد خمس سنوات وأعلن نفسه ملكاً مستقلاً على حِميَّر وأعاد استخدام اللقب الملكي للحميريين ونسجت حوله قصص وأساطير بعد الإسلام كعادة الإخباريين. شن أبرهة حملة واسعة على الحجاز، وفقا لكتابة بخط المسند دونها بنفسه وكتابات البيزنطيين، فإن الحملة كانت ناجحة بينما تذكر الأساطير العربية أن طيوراً خرجت من البحر هزمته؛ وهذا

يوافق قوله تعالى " .... وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ..." سورة الفيل

بقيت البلاد على ماهي عليه من الإضطراب حتى بعد عودة الحِميَّريين بقيادة شخصية شبه أسطورية تدعى سيف بن ذي يزن وفقاً لمصادر متأخرة فلم يعد لحِميَّر سلطان على أحد وبقيت القبائل مستقلة عن أي حكومة حتى الإسلام. ذكرت المصادر البيزنطية المعاصرة لتلك الفترة أن الإمبراطورية الفارسية استولت على عدن. معظم المناطق كان خاضعاً لزعماء محليين باستثناء عدن وصنعاء وتعتبر تلك الفترة نهاية الحضارة اليمنية القديمة، إذ لم يعثر الباحثون على كتابة واحدة أو شاهد بالمُسند عن هذه الفترة من تاريخ اليمن .

في الفترة ما بين ١٣٠٠ – ١٠٠٠ قبل الميلاد نشأت مملكة سبأ وكانت إتحاداً (اتحاد ضم عدداً كبيراً من القبائل) ويُعرف انتماء القبيلة في نصوص خط المسند بعبارات دلالية من قبيل "ولد إل مقه" (أبناء الإله إلمقه) أو "ولد عم" (أبناء الإله عم) و"سبأ وأشعبهمو" (سبأ وقبائلهم) وماشابهها من عبارات ساعدت الباحثين في تحديد انتماءات وأصول القبائل استطاع عدد من المكاربة من تشييد عدد من السدود الصغيرة لحفظ المياه والاستفادة من مياه الأمطار لري الأراضي واكتشف عدد من الرسومات الفنية والنقوش المصورة لحيوانات في الغالب تعود إلى هذه الفترة ونقوش تشير إلى بناء وتشييد لمعابد، معبد اوام تحديداً وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد.

استطاع اليمنيون تكوين علاقات تجارية مع الهند والآشوريين واشتهروا بكونهم تجار عطور وطيب وبخور وذهب وفضة وبهارات وكلها عناصر مهمة للعالم القديم مما زاد من ثراء اليمنيين ومكنهم من بناء السدود مما حدا بالكهنة أو

المكاربة تغيير ألقابهم إلى ملوك في فترات لاحقة. وتغيير الألقاب الملكية وإضفاء هالة من الفخامة عليها كان منتشراً بكثرة وتبدل اللقب ودخل أطواراً عديدة حسب أهواء الملوك والحكام، ورد في نص آشوري للملك سرجون الثاني تلقيه هدية من مكرب سبئي يدعى يثع أمر ووجد اسم المكرب في نقوش يمنية، ووجدت كتابة أخرى للملك سنحاريب وتشير إلى تلقيه هدية من مكرب يدعى كرب إيل أو كرب إيلو حسب اللفظ الآشوري، ويستبعد أن نفوذ الآشوريين وصل إلى اليمن وهدف إرسال الهدية كان مجرد تعبير عن الصداقة التي تجمع سبأ وآشور لارتباطات تجارية قديمة بينهما ومن باب التلطف للآشوريين إذ كان للسبئيين تجارة في أسواق العراق. ويعود تاريخ الكتابة إلى ٧١٥ ق.م ، ولم يورد الآشوريين اسمه كاملاً في النص مكتفين بكرب إيل واسمه الكامل كرب إيل بين لقبه الآشوريين بملك وهي دلالة على عدم معرفتهم بألقاب حكام العربية الجنوبية في تلك الفترة.

وقام عدد من المكاربة مثل ذمر علي بإنشاء عدد من السدود مثل سد رحبم وعملوا على إيصال المياه إلى مناطق عديدة في اليمن ثم المكرب يثع أمر بين الذي قام بتعلية سد رحبم وتقوية دعائمه فزاد مساحة الأراضي الزراعية وإزداد ثراء المزارعين في هذه الفترة وبالذات في مأرب التي أصبحت تناقف صرواح عاصمة سبأ في تلك الفترة حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، يظهر في هذه الفترة نقوش عن عدد من الحروب والإنتصارات لسبأ على معين وقتبان ونجران وكعادة النقوش فإنها لا تبدي أسباباً للإقتتال وتكتفي بذكر الموقع واسم الملك وعدد القتلى من الجانب المهزوم. وكان عدد القتلى في نجران هو الأعلى خلال حملة المكرب يثع أمر بين هذه إذ ورد في النص أن خمسة وأربعين ألف شخص قتلوا خلال إحراقه لمدنها وقراها.

في بدايات القرن السابع قبل الميلاد غير المكرب كرب إيل وتر لقبه من "مكرب سبأ" إلى ملك سبأ، يعتقد أن ملك مملكة أوسان بدأ بالهجوم واستطاع السيطرة على ممالك صغيرة تابعة لمملكة حضرموت وقتبان. توجه كرب إيل وتر إلى المناطق الساحلية الجنوبية الغربية لليمن للسيطرة على الممالك التي استولت عليها أوسان متجنباً صداماً مباشرا مع الملك. واستطاع إخضاع هذه الممالك وبلغ عدد القتلى ٣٠٠٠ وأسر ٨٠٠٠، عندها تحالفت حضرموت وقتبان مع سبأ ضد مملكة أوسان واستطاع هذا التحالف قمع مملكة أوسان ومنعها من أي محاولة للاستفراد بالطريق التجارية، وخضعت أوسان وأراضيها لسبأ دون حضرموت وقتبان، وترجمة أوسان أو "أوسن" كما وردت في نصوص المسند هي الأوس لإن النون في آخر الأعلام هي أداة التعريف بلغة العرب الجنوبيين القديمة، كانت سبأ قد بلغت أوجها حتى أواخر القرن الثاني أو بدايات الأول قبل الميلاد. كان كربئيل وتر ملكاً محارباً وقاسياً دأب على إحراق كل من يبدو فيه تهديداً لسلطة سبأ وكبدت حملاته العسكرية خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات والزرع وإن قام بأعمال إصلاحية مدونة في النقوش. دون هذا الملك كتابة طويلة يحكي فيها إنجازاته متفاخراً. وقد عرفت هذه الكتابة عند المتشرقين باسم "كتابة صرواح" استبق فيها الملك إنجازاته كاتبا:

" هذا ما أمر بتسطيره كربئيل وتر بن ذمار علي مكرب سبأ عندما صار ملكاً ، وذلك لإلهه المقه ولشعبه شعب سبأ "

تولى ابن كربئيل وتر الحُكم وأبنائه من بعده وهيمنت سبأ على جنوب الجزيرة العربية وبقي الملك في سلالة هذا الملك أمداً طويلاً من القرن السابع وحتى القرن الثالث قبل الميلاد إثر انقلاب قام به الملك وهبئيل يحز، ووردت

عدة نصوص في نفس الفترة عن تأديب قوات من حاشد لبدو تطاولوا على أربابهم ملوك سبأ كما يُقرأ من النص وتم استرداد أموال سلبها هؤلاء البدو وأُخذوا إلى معبد المقه بمأرب لينظر المعبد مصيرهم.

وشهد القرن السابع والسادس بالإضافة إلى الحروب والتحالفات، إصلاحات وتشييد لأبراج وقلاع وحصون وتحسين نظام الري وبناء عدد من السدود وإيصالها ببعضها البعض. وأستخدمت الأحجار الكريمة مثل البلق لبناء الأبراج (محفد). في تلك الفترة كان اليمانيون يمولون ممالك تابعة لهم لحماية الطريق التجارية من غزوات الأعراب على القوافل. فكانت مملكة كندة القديمة التي تعاقب على دعمها أكثر من ملك في صنعاء، ومأرب من يوفر الأمان للقوافل التجارية الخارجة من اليمن إلى العراق وفارس، وكانت مملكة ديدان تقوم بنفس الوظيفة ولكن للقوافل المتجهة نحو الشام ومصر ودول البحر الأبيض المتوسط وغيرها من الممالك المنتشرة على طول الطريق التجارية. لم تكن علاقة هذه الممالك في الصحراء جيدة دائما مع ممالك اليمن، فتظهر عدد من النصوص عن استغلال سلطتهم على الأعراب لشن هجمات على قوافل خارجة من اليمن أو عائدة إليه على حسب الظروف والمصالح .

* التمرد القتباني : (٣٣٠ - ١٠٠) ق.م

مملكة قتبان : هي أحد أقدم الممالك اليمنية ونظام حكمها بدأ مشابها لسبأ إلا أن المعلومات المتوفرة عنها قليلة وهناك اعتقاد أن الحميريين ورثة هذه المملكة القديمة. لم يعرف المؤرخون بعد الإسلام شيئا كثيراً عن قتبان وكعادتهم جعلوه شخصاً وساقوا له نسباً ينتهي إلى العرنج، والعرنج هذا هو اسم حمير الحقيقي على حد زعمهم. منازلهم كانت جنوب مواطن السبئيين وفي الأقسام

الغربية المطلة على السواحل في اليمن حتى باب المندب . المشكلة التي تواجه الباحثين في تحديد طبيعة المملكة القتبانية هو أن أغلب الكتابات والنقوش غير مؤرخة عكس أبنائهم الحميريين أو أنها مؤرخة بطرق لم يستطع الباحثين فهمها.



طفل يمتطي أسد – أحد المنحوتات القديمة لمملكة قتبان

صنعه القتبانيون في ٧٥-٧٠ ق.م.

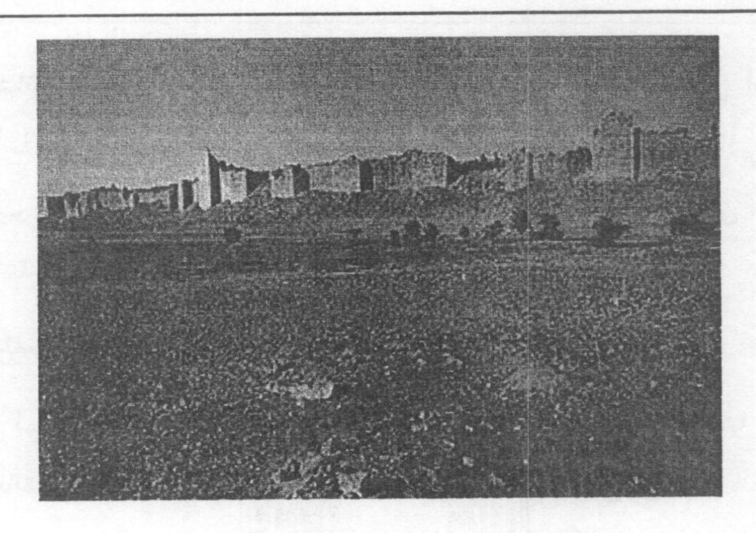
استطاعت قتبان في القرن الرابع قبل الميلاد من الاستقلال عن السبئيين وهزموا ملك سبأ "يثع أمر وتر الثالث" وسيطروا على طريق البخور وأصبحوا القوة الأكثر نفوذاً بين الممالك الأربعة. وكتابات قتبان عن القوانين أكثر بالقياس من تلك السبئية وقد وردت نصوص تتحدث عن أعمال تمهيد لطرق في الجبال منها نص يتحدث عن مشاركة كل ولد عم أي كل أبناء الإله عم ودهس (يافع) و"هكحد" وأردف هذه الأسماء بجملة وكل يمن وشامن أي كل الجنوب والشمال ساهموا في إنجاز هذا المشروع وكان المهندس المشرف على هذا العمل

رجل قتباني يدعى "أوس بن يصرع" وكان هدف هذه المشاريع التي أستعمل فيها الأسفلت هو تمهيد الطريق للجنود وغيرها من الأعمال والقوانين التي سنها القتبانيون خلال فترة نفوذهم على الممالك الأخرى التي تعكس وجود فن هندسي متقدم عند العرب الجنوبيين.

* العصر الذهبي لمَعْيَّن : (٣٣٠ - ١٠٠) ق.م

لم يعرف عنها المؤرخون والنسابة بعد الإسلام شيئاً يذكر إلا أنها ذكرت في كتابات اليونان وذكر سترابو أن اسم عاصمتهم "قرنا" (قرناو) وأن الحضارم يحدونهم من الشرق والسبئيين والقتبانيين من الجنوب وهي كلها تشير إلى محافظة الجوف حالياً وقد وصف سترابو هذه الممالك بالبلدان وأن عليها ملكاً وبها معابد وبيوت تشبه تلك عند المصريين. وجاء في كتابة بالجيزة تعود لأيام بطليموس الثاني عن وجود معيني في تلك المنطقة وكان وجوداً تجارياً إذ كانوا يزودون المعابد المصرية بالبخور.

اكتشف المسشرق جوزيف هاليفي كتابات كثيرة تتجاوز الألفين كتابة من تجوله كيهودي متسول في عاصمتهم القديمة "قرناو" وقد عثر على كتابات للمعينين في منطقة الجوف السعودية (ليست محافظة الجوف اليمنية) وكتابات في الجيزة ويعتقد عدد من الباحثين أنهم المقصودين بلفظة "معينيم" في التوراة. وليس هناك اتفاق بين الباحثين حول منشئها وسقوطها فباحثي المدرسة الألمانية القديمة يرون أنهم أصبحوا بدواً وأعراباً في القرن الأول قبل الميلاد مستشهدين بنصوص سبئية تشير إلى إنتصارات عليهم إلا أن كتابات اليونان في القرن الثاني للميلاد والتي تشير إلى المعينيين بأنهم "شعب عظيم" تعارض ذلك وتظهر أنهم بقوا على الحضارة فترة طويلة .

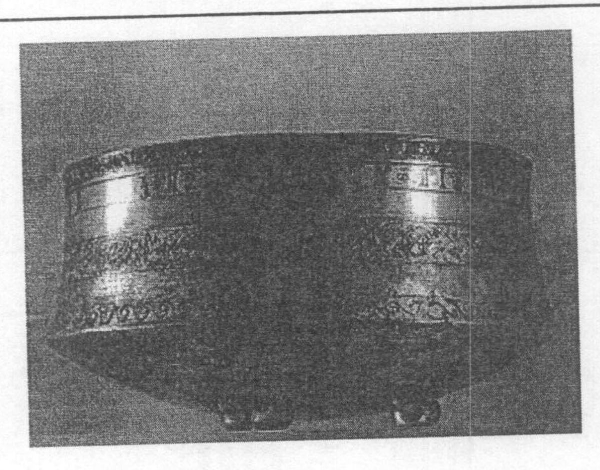


أسوار مدينة براقش عاصمة مملكة معين

يُعتقد أن أول ملك لمعين هو "إيل فع يثع" خلفه ملك هو "أبو كرب يشع" وعثر على اسمه في العلا في كتابة دونها رجل يدعى "أوس بن حيو" وكان أوس هذا كبير المنطقة حينها، وورود هذه الأسماء في منطقتي الجوف والعلا وفي توقيت واحد هي السبب وراء إيمان الباحثين أن مملكة ديدان والحجر كانت تابعة لملوك مملكة معين. وهذه الـ"يثع" و"يشع" و"وتر" التي تعقب أسماء الملوك العرب الجنوبيين هي ألقاب حقيقة وليست جزءاً من أسماء ولادتهم فكلمة "وتر" تعني "المتكبر" أو "المتعالي" وكلمة "يثع" تعني المنقذ وكلمة "بين" تعني الظاهر. ويقول جواد علي أن مملكة لحيان كانت مملكة تابعة لمعين واستقلت عقب ضعفهم في اليمن. كان ملوك معين يعينون حكاماً على المناطق الخاضعة لهم خارج اليمن ويسمونهم كبراء واكتشف عدد من أسماء هؤلاء " الكبراء " في منطقة العلا مهمتهم توفير الأمن للقوافل وجمع الضرائب والأتاوات. وكان أكبر آلهتهم الإله ود بعد الإله عثتر إلا أنه بقضاء السبئيين عليها استقلت العلا في القرن الأول قبل الميلاد على رأي بعض الباحثين.

* مملكة حضرموت : (٣٣٠ ق.م - ٢٧٥ م)

ليس هناك إتفاق بين الباحثين عن مبدأ قيام هذه المملكة قبل سقوطها بيد السبئيين وأقدم رحلة إستكشافية كانت في موضع يقال له "الحريضة" بحضرموت حيث عثر المنقبون على آثار لمعبد الإله سين يعود للقرن السابع أو الخامس قبل الميلاد، حضرموت إسم قبيلة مثل سبأ وكان عليهم مكرب قائم بشئونهم وأول كتابة حضرمية مكتشفة على رأي الباحثين هي كتابة الملك "يهرعش بن أبيشع" وتعود للقرن الخامس قبل الميلاد وتحكي بناء سور لحماية حضرموت من الحِميَّريين. سياستهم كانت قريبة من سياسة الممالك الأخرى وهي السيطرة على الأراضي الخصبة وعقد تحالفات مع القبائل الجبلية وتلك المطلة على السواحل. بنى الحضارم ميناء خور روري القديم المتواجد في ظفار ضمن سلطنة عمان حالياً، اكتشف نص يعود للعام ٢٠٠ بعد الميلاد يشير إلى ثائر إسمه "يدعئيل بن رب شمس"؛ خرج على السبئيين في شبوة وجمع جمع قبائل خولان وبنو كلب وقبيلة يام وأنتصروا إلا أن السبئيين أحرقوا المدينة بالكامل قبل إنسحابهم، وهذا النص هو أقدم النصوص الذي يشير إلى قبيلة يام وبنو كلب ولم تذكر نصوص المسند اليامبين من قبائل همدان كما هو وارد في كتب النسابة وأهل الأخبار بل يظهر أنهم من قبائل مملكة حضرموت، واقعة إنتصار "يدعئيل بن رب شمس" هذا كانت خلال الحرب الأهلية بين "ذي ريدان" (حِميَّر) وسبأ وكان الحضارم طرفاً فيها فلم يحتفل "يدعئيل بن رب شمس" بنشوة النصر طويلاً حتى سقطت حضرموت بيد شمر يهرعش مؤسس مملكة حمير .



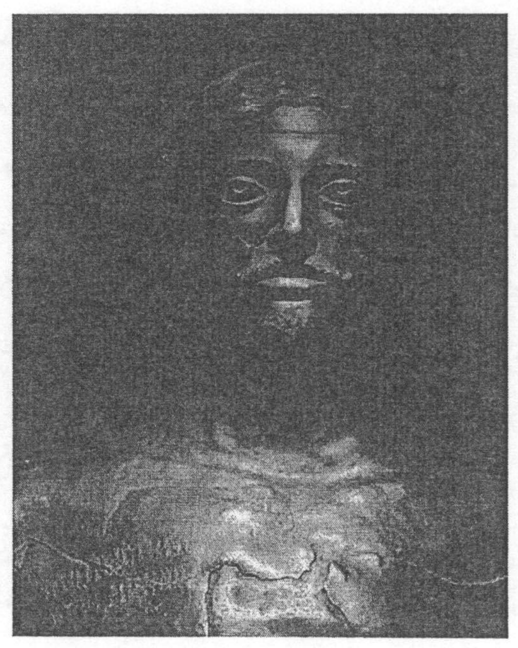
صحن حضرمي في القرن الميلادي الثاني

* السيطرة الحميرية :

كان الحِميّريون مملكة صغيرة تابعة لقتبان في غالب عصور ماقبل الميلاد. يظهر أن الحميريين عقدوا تحالفات مع عدد من القبائل منها قبيلة "ذياب" واستطاعوا السيطرة على عدد من الممالك الصغيرة في القرن الثاني قبل الميلاد ودخلوا مأرب أول مرة بعد غزوة أيليوس غالوس وسموا أنفسهم ملوك "سبأ وذي ريدان". إلا أن السبئيين استعادوا عرشهم وأبقوا على اللقب الملكي رغم أنهم لا يسيطرون على حمير حقيقة. غزا الحميريين مأرب للمرة الثانية في العام مائة بعد الميلاد واستطاعوا إسقاط سبأ وتربعوا على العرش لمدة أربعين سنة حتى استعاد العرش أسر من حاشد على مقاليد الحكم في سبأ وطردوا الحميريين من مأرب.

لكن خروج الأمور ونشوب الحرب الأهلية بدأ فعلياً عقب تآلب حضرموت وسبأ على مملكة قتبان وإحراقهم لعاصمتهم تمنع وجبل العود في أوائل القرن الأول قبل الميلاد وانقلاب "يريم أيمن" زعيم قبيلة همدان على الأسرة السبئية الحاكمة وكان الملك من قبيلة حاشد، وأُستعبدت الأسرة السبئية الحاكمة إذ

وصفهم الحاشدي بأنهم عبيده. كانت تلك بادرة استقلال القبائل اليمانيّة وتحزبها إلى حزبين قبيلة همدان المنقلبة على الحكام الشرعيين، والحِميَريين الذين أرادوا الانتقام من الهجوم على مملكة قتبان، ودخلت البلاد حرباً أهلية طويلة ولكن متقطعة تشوبها فترات سلم، وانضمت قبيلتا كندة ومذحج لحِميَّر ضد قبيلة همدان وأحلافهم، وانتزعت أسرة من بكيل الملك من حاشد في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وأبرز أقيالهم" إيلي شرح يحضب" وهو الذي بنى قصر غمدان. وكثر ذكر مدينة "صنعو" (صنعاء) كثيراً في هذه الفترة كون النصوص مدونة من أشخاص ينتمون لقبائل همدان حاشد وبكيل.



ذمار علي يهبر الثاني ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

انتهت الحرب الأهلية بإنتصار حاسم للحميريين بقيادة شمر يهرعش الثالث وكان على رأس السلطة في سبأ ملك يدعى رب شمس وعلى حضرموت

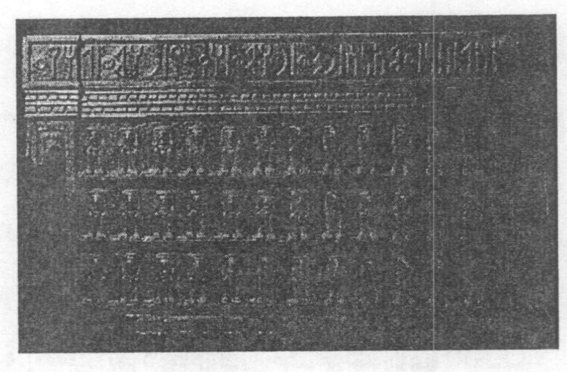
رجل يدعى "شرحئيل" . يعتقد أن شمر يهرعش استطاع إسقاط حضرموت في نفس العام إلا أن رأيا آخر يقول أن سقوط حضرموت كان عام ٣٠٠ بعد الميلاد. وشهد عهد شمر عدة ثورات من أشراف وأسر سبئية بل من قبائل حميرية أخرى استطاع قمعها، وتوسع شمر يهرعش فضم تهامة وعسير، وأرسل ضباطاً كان بعضهم من خولان لنجران حتى تلقب شمر بلقب "ملك سبأ وذو ريدن وحضرموت ويمنت" أي ملك سبأ وحمير وحضرموت واليمن فيكون حسب المتقدم من الاكتشافات والنقوش أول من قام بتوحيد ممالك اليمن القديم وإخضاعها تحت حكم مملكة واحدة، ولا توجد دلائل أنه أبقى على بعض الأقيال لتحكم أراضيها ذاتياً كما كان يفعل المكاربة والملوك في عصور مضت قبله .

قام الحميريين بترميم سد مأرب وأنهوا النزاعات وأخضعوا القبائل من جديد فنعمت اليمن بعصر من الاستقرار مكن الحميريين من مواصلة سياسة أسلافهم فقاموا ببناء القلاع والحصون وإمداد المرتفعات بالمياه. ورد نص يشير إلى "كهلن" (كهلان) دونه رجلان من هذا القسم معبرين فيه عن شكرهم للمقه لإنه رفع مكانتهم عند سيدهم شمر يهرعش. ولا يبدو أنهم حميريين بل كانوا ممن أخضعهم شمر يهرعش هذا، وفي النص دلالة على استتباب الأمور أخيراً بعد قرن ويزيد من الصراعات والنزاعات مع القبائل. يعتقد أن اسم "شمر" الوارد في نقش النمارة لصاحبه امرؤ القيس بن عمرو ملك مملكة الحيرة يشير إلى شمر يهرعش. فقد توغل ملك المناذرة هذا من أطراف العراق إلى نجد حتى وصل إلى نجران التي سماها صاحب النقش "مدينة شمر" وهي دلالة أن الملك الحميري لم يكن قد تجاوز نجران في هذه الفترة. وانتصر إمرؤ القيس ملك المناذرة .

شكل المناذرة خطرا على الحميريين وورد في النص المنذري أن قبيلة مذحج" هربت" ويبدو أن المناذرة استطاعوا هزيمة كندة كذلك وهو سبب وجودهم في جيش الحميريين الذي إسترد كل المواقع التي غزاها إمرؤ القيس بن عمرو هذا بل ضم مناطق لا يعتقد أنها كانت خاضعة لكندة قبل غزو "شمر يهرعش" وهي البحرين والقطيف والإحساء. لم يكن للحميريين ليغزوها لو لم تكن علاقتهم قوية بملوك كندة التي تشير إليهم النصوص بـ "كندت" و"آل ثور" الذين كانوا يتواجدون في قرية الفاو والأفلاج في نجد. وكانت كندة ومذحج تذكر بأعراب سبأ وكانوا من "ركبم" و"أفرسم" والركبان هم من يقاتل على ظهور الجمال والفارس هو من يقاتل على ظهور الجياد واستطاع هؤلاء الفرسان والركبان من مذحج وكندة إخماد تمرد قام في حضرموت كلف الحضارم خسائر فادحة. وهذه النصوص دلالة على توافق تام بين الحميريين وكندة. وتذكر كتب أهل الأخبار أن علاقة كندة بالمناذرة كانت علاقة شد وجذب فيظهر تزاوج وإنسجام تارة وإقتتال وخصومة في تارة أخرى. وتعلق كندة بالحميريين كان له أثر سئ عليها؛ فعلاقة المناذرة كانت جيدة مع الفرس ولم تستطع كندة الصمود أمام المناذرة بعد سقوط الحميريين عام ٥٢٥ – ٥٢٧ ميلادية.

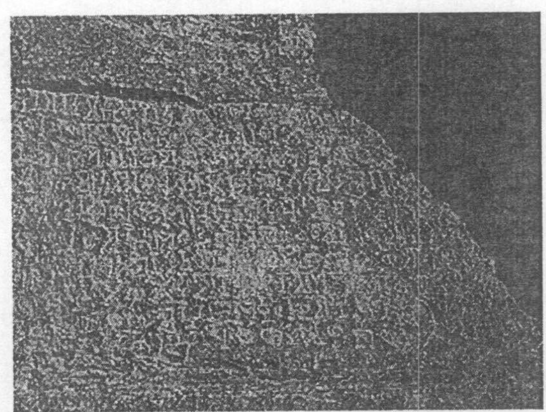
يعتقد أن شمر يهرعش توفي عام ٣٣٠ للميلاد، وورد اسم "شمر يهرعش" لثلاثة ملوك حميريين هناك إجماع أن شمر يهرعش الثالث حكم مع والده "ياسر يهنعم الثاني" ثم إنفرد بالحكم بعد موت والده. وشمر يهرعش وياسر يهنعم هم "شمر يرعش" و"ناشر النعم" في كتابات أهل الأخبار الذين "عربوا" أسمائهم واختلقوا الأساطير وراء هذه التسميات بل جعلوه معاصراً للملك سليمان وحاكما بعد بلقيس التي جعلوها حميرية، هذه الأخبار الموضوعة تثبت أن الإخباريين

واليمنيين منهم تحديداً كانوا على علم بماضي أجدادهم ولكنهم لم يستطيعوا قراءة رموز خط المسند واعتمدوا على قصص كبار السن المتوارثة والذاكرة الشعبية لتدوين هذا التاريخ وبالتأكيد أضافوا إضافات من عندهم نتيجة التعصب والتحزب القبلي.



جزء من تابوت عليه رسومات لأبو هول وأحد النقوش

أعلى الرسم يشير إلى "عميانس" أحد آلهة خولان

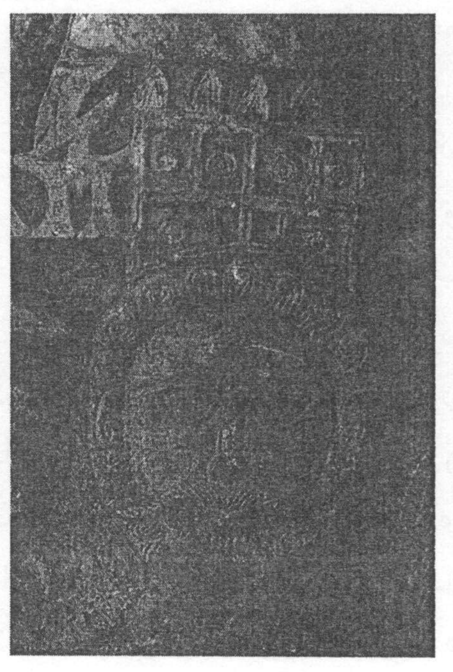


نقوش بخط المسند في "مأسل الجمح" في محافظة الدوادمي

تحكي إنتصاراً حققه "أب كرب أسعد" أو أسعد الكامل على المناذرة وذكر معه أقيال

مأرب وكندة و"علة" ومن أسموهم "صغار الناس"

خاض شمر حروباً في عسير ووادي بيشة ووادي ضمد وأنزل خسائر بتلك القبائل التي كانت متعاونة مع الأحباش الذين استغلوا حالة اقتتال حمير مع سبأ لينزلوا أرض الجزيرة العربية. فتذكر النصوص أن ضابطاً من خولان أرسل إلى هذه المناطق وتعقب من حاول الهرب عبر البحر الأحمر، وإحدى هذه القبائل قبائل عك الأزدية المعروفة، وسبي حوالي ٢٤٠٠ شخص وبيعوا في أسواق العبيد في مأرب في نص دونه ضابط من خولان يشكر فيه إلهه المقه أن مكنه من قطع رؤوس المتمردين وشفائه من جروح أصابت ساقه في هذه الحملة ولإنه "شوعن" (وتعني عاون بلغة الحميريين) سيده شمر يهرعش وختم النص بأن سأل الإله المقه أن يمن عليه بذرية ويرعاه ويحفظه في بقية الحروب التي سيقودها لأجل حمير.



مجسم حجري لملك حميري على جدران معبد في ظفار يريم التي أصبحت عاصمة لليمن بعد مأرب إثر سيطرة الحميريين

تولى الحكم بعد شمر عدد من الملوك واختلف الباحثون في ترتيبهم إلى أن ظهر ملك حميري يدعى "أب كرب أسعد" وهو أسعد الكامل في كتب الإخباريين الذين أضافوا في سيرته الشي الكثير. وبغض النظر عن صحة ما أضافوه إلا أن ورود اسمه عندهم رغم الفترة الزمنية الكبيرة بين عصره وعصرهم دليل على أهمية هذا الملك. وورد في مسند الإمام أبي حنيفة النعمان أنه أول من ضرب الدينار. تولى الحكم عام ٣٧٨ ميلادية، وهو الذي أضاف لقب عبارة "أعربهم طودم وتهامة" أي "أعرابهم في المرتفعات والتهائم" فأصبح اللقب الملكي عند الحميريين "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعربهم طودم وتهامة" وعثر على اسمه مدونا بخط المسند في موضع يقال له "مأسل الجمح" وهو في محافظة الدوادمي السعودية، اسمه موجود في حصن "مأسل الجمح" في المحافظة المذكورة أنفا وإضافة اسم الأعراب كان لشعور هذا الملك الحميري بأهميتهم وبالذات بني كندة الوارد اسمهم بجانب اسمه وقد بني الحصن ليكون موقعاً لقوات حميرية تحمي القوافل الخارجة من اليمن والعائدة إليه وهو موقع مهم يصل اليمن بنجد وشرق الجزيرة العربية، ونص النقش يقول : "أبكرب أسعد وبنهو حسن يهأمن ملكي سبأ وذي ريدن وحضرموت ويمنت وأعربهمو طودم وتهمت بن حسن ملك كرب يهامن ملك سبا وذي ريدن وحضرموت ويمنت". وترجمته :" أب أكرب أسعد وإبنه حسان يهأمن ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابهم في المرتفات والتهائهم إبنا حسان ملك كرب يهأمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن" وفي النص دلالة أن "أسعد الكامل". كان يحكم مناصفة هو وأخيه ابنا ملك سبأ حسان ملك كرب يهأمن وأشير إلى أنهما غزا هذه الأرض بجمع من مأرب وحضرموت و"مقتوى" (ضباط) وجمع من صغار الناس من قبيلتي علة من مذحج وسود وهي من نهد، وعاش هذا الملك فترة طويلة فهو تولى الحكم قرابة

٣٧٨ للميلاد إلى جانب والده حينها ويبدو أنه كان لايزال شاباً يافعاً وتوفي عام ٤٣٠ ميلادية أو بعدها بقليل فتكون مدة حكمه قرابة الخمسين عاما. وكان ملكاً قوياً ولذلك كثر ذكره ولم تنساه الذاكرة العربية فقد ذكر الطبري أنه نزل الأنبار ووصل الصين وهي مبالغة بلا شك ولكنها انعكاس للأثر الذي تركه ذلك الملك، وقالوا أنه من أوصى القبيلة الخرافية المدعوة جرهم ولاية الكعبة والاهتمام بها، وكل هذه الموضوعات هي للإيحاء بأن مكة ومقدسات قريش كانت مقدسة عند الحميريين كذلك.

توفي أبو كرب أسعد أو أسعد الكامل وتولى الحكم بعده ملوك اختلف الباحثون في ترتيبهم وذكرهم بعض أهل الأخبار. وصل إلى الحكم ملك حميري يدعى "شرحب إيليعفر" (شرحبيل يعفر) وورد نص في عهده يشير إلى تصدع كبير أصاب سد مأرب مما جعل الملك يستعين بعشرين ألف عامل لقص الأحجار من الجبال وبناء أبواب ومنافذ جديدة لخروج الماء وصرف معاشات للعمال الذين قاموا بهذا الفعل في شهر "ذو ثبتن" من عام ٥٢٥ في التقويم الحميري الموافقة لعام ٤٥٠ ميلادية. وكان لذلك أثر سئ على كثير من القبائل التي تركت مواطنها خوفاً من الموت، وللأسف لم يخبر النص عن أسماء هذه القبائل وفيه دليل على وجود أصل تأريخي للروايات العديدة التي يرويها الأخباريون عن تهدم سد مأرب وتفرق سبأ ولكن لايمكن الاعتماد على الكتابات كليا لما يشوبها من الخرافة والأساطير وإن كان بعضها مشوباً بقليل من الحقيقة على رأي إدورد جلازر .

ورد اسم ملك يدعى "عبد كلل" ولا شك أنه "عبد كلال" الموجود في كتابات الإخباريين ولايعرف أكان ملكاً بالفعل أم زعيم قبيلة ثارت على الحميريين وكان مسيحياً وعكس كتابات الإخباريين التي جعلت مدة حكمه تزيد عن الستين

سنة فحكمه أو تمرده لم يزد على خمس سنين على رأي فلبي، ويبدو أن المستشرق جون فيلبي أو عبدالله كما سمى نفسه كان يحاول الربط بين روايات الإخباريين و"عبد كلال" هذا فلايوجد نص صريح يشير إلى أنه كان مسيحياً أو "على دين عيسى" كما يروق لأهل الأخبار توصيف مسيحيي اليمن، ولايمكن الأخذ برواياتهم عن كونه ثائراً ومضطهداً لكونه مسيحي بسبب وجود المسيحية في اليمن آنذاك. ولفظة "كرشتس" ابن الرحمن اليماني كانت تزين أسماء الملوك في هذه الفترة، وورود اسم المسيح كإبن تفنيد لروايات أهل الأخبار أن المسيحيين في اليمن كانوا موحدين متبعين لمذهب التوحيد في الإسلام ولم يكونوا على مايعتبرونه هم "دين عيسى" .

استمر حكم الحميريين بشكل مطلق وتعاقب على الملك ملوك مثل "شرحبيل يكف" و"مرثد ألن" و"معد يكرب يعفر" وهناك اختلافات بين الباحثين في ترتيبهم وأعدادهم إلى أن الإجماع أن سقوط حمير كان في عهد الملك اليهودي الذي كلفت حملاته الكثير من الأرواح، الملك يوسف آزار أو ذو النواس الحميري كما عرف في كتب التراث والتاريخ العربية عام ٥٢٥ ميلادية.

◄ يوسف أسأر يثأر الحِميَّري والغزو الحبشي :

كانت الديانة اليهودية السائدة في اليمن في أيام الحميريين وبها القليل من الديانات الوثنية وكان للأحباش المسيحيين وجود وكانوا قد احتلوا ظفار عاصمة الحميريين، كان ملوك حمير والأشراف وأقيال القبائل كانوا يهوداً بلا شك. مثل النص الذي دونه شخص يدعى "شِهر" :"تبرك سم رحمن ذو سمين ويسرائيل وإلهمو رب يهود ذي حرض بدهمو شهرم" وترجمة النص :"تبارك اسم رحمن صاحب السماء إله إسرائيل رب يهود الذي ساعد عبده شِهر".

وورد نص أيضاً يشير إلى استقلال القبائل ونماء روح العصبية والتحزب القبلي التي لاتعرف مصلحة سوى مصلحة القبيلة. فورد عن حروب بين كندة ومذحج وأرحبو "ثعلبن" (وقد تكون ثعلبن هذه هي المقصود بها دوس ثعلبان الواردة في كتب الإخباريين)، ومضر في عهد ملك يدعى "معد يكرب يعفر" (يرجع الباحثون تاريخ النص المسندي إلى سنة ٥١٦ للميلاد). كذلك ورد اسم الملك "يوسف أسار يثأر" أو "يوسف آزار" شن يوسف حملات عسكرية على الأحباش وقتل منهم ١٢ ألف وأسر ١١ ألف وكل الوارد عنه تحامله على الغزاة الأحباش المسيحيين فقد كان ملكاً محارباً ولم يبدي شفقة أو تساهل اتجاه الغزاة الأحباش أعداء حِميّر. ورد اسم يوسف بلقب "الملك يوسف أسار يثأر ملك كل الشعوب" ساندته كبرى قبائل اليمن همدان ومذحج وكندة ومراد، استغل الأحباش الأكسوميين الحروب القلبية باليمن واحتلوا ظفار عاصمة الحميريين وأقاموا كنيسة بها وشن الملك يوسف أسار حملات عسكرية على مراكز الغزاة الأحباش واستطاع أن يجمع جمعاً من القبائل كانت فروعاً من كل من خولان وكندة ومذحج وهمدان وبضعة بيوت وأقيال من حمير وتحديداً من بيت "ذو يزأن" وربما منهم الملك / الأمير الأسطوري سيف بن ذي يزن المذكور بالقصص التراثية.

رأس زعماء بيوت حميرية رؤوس جيش يوسف ذكرت أسماء بعض منهم:

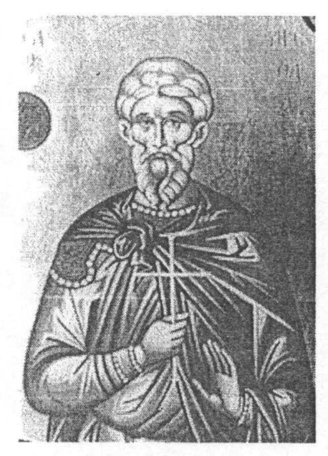
- "شرح إيل ذو يزأن" (شراحيل ذو يزأن) مما يعني أنه كان قيلا على بيت ذو يزن.
- "شرحب إيل (شرحبيل) يكمل".
- شرحبيل أسعد.
- "شميفع أشوع".
- معاوية بن والعة.
- شرح إيل (شراحيل) يقبل.
- نعمة بن مالك.
- شرحب إيل (شرحبيل) يكمل.
- تميم يزيد رئيس بيت "لحيعة ذي جدن".

شنت القَبائل الموالية ليوسف حملات على الأحباش وقبيلة الأشاعرة المناوئة له والمعاونة للأحباش في مشهد يوضح مدى تردي الأوضاع في اليمن وتنامي روح القبيلة التي لاتعرف إلا مصلحتها ولو على حساب استقلال وطنها من عنصر أجنبي غريب. حاول يوسف الحفاظ على استقلالية بلاده ووحدة قبائله وبلغ ذلك منه أنزل والقبائل التي تبعته خسائر ومجازر بالأحباش في المخا وظفار يريم ونجران حيث قتل ما يقارب ثلاثة عشر ألف منهم وهدم "قلسن" في ظفار وكلمة قلسن أو القليس تعني كنيسة بلسان الحميريين وسحق قبيلة الأشاعرة المعاونة للأحباش ثم توجه إلى نجران ورابط في باب المندب ولم يكتشف حتى اللحظة كتابة مسندية تشير إلى حريق باستثناء كتابات السريان والبيزنطة وهي كتابات وإن غلب عليها التعاطف مع الغزاة الأحباش المسيحيين إلا أنها لا تدعم الوارد في النقوش عن الملك يوسف أزار، فقد ذكر شمعون الأرشمي أنه كتب الوقائع استناداً على روايات شهود عيان رأوا الحميريين يجمعون النساء والأطفال والرهبان في كنيسة نجران وأحرقوا الكنيسة بمن فيها، النصان المكتشفان اللذان يشيران ليوسف لم يشيرا إلى مجازر في مأرب وحضرموت. ذكر النص نتائج معارك بين أهل اليمن والغزاة الأحباش في ظفار يريم والمخا ونجران المصادر التي تشير إلى مجازر في مأرب وحضرموت هي مصادر سريانية وبيزنطية. وقد يكون للوارد في كتب أهل الأخبار صحة لورود اسم "دوس ثعلبن" في عداد القبائل المعادية ليوسف، أمد الملك البيزنطي جستنيان الأول كما ورد في كتاب المؤرخ بروكوبيوس الغزاة الاحباش المسيحيين بأسطول دخل اليمن عن طريق ساحلها الغربي في عام (٥٢٧ – ٥٢٥)م. بعد وفاة يوسف أصبحت المناطق الغربية لجنوب شبه الجزيرة العربية يحكمها ملك حميري يدعى شميفع أشوع سمى نفسه ملك سبأ.

استقرت الأمور في السواحل الجنوبية الغربية للجزيرة واستقل زعماء القبائل بإقطاعياتهم ومخالفيهم ولا بوادر أنهم خضعوا لشميفع أشوع الحميري أو أعترفوا به ملكاً عليهم وكان أشوع وأنصاره متحصنين في حصن مارية القديم بذمار . قام الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول بتعيين "قيس" أو "كايسوس" على قبيلة معد الاسماعيلية. أراد البيزنطيين استغلال نفوذ حِميَّر على كندة والتي كانت هي بدورها مسيطرة على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة. ضعف حِميّر أدى إلى استقلالية القبائل ولكن لم تكن القبائل مستفيدة فقد ضعفت مملكة كندة كثيراً وتأثرت بهذا الضعف.



الملك جستنيان الأول



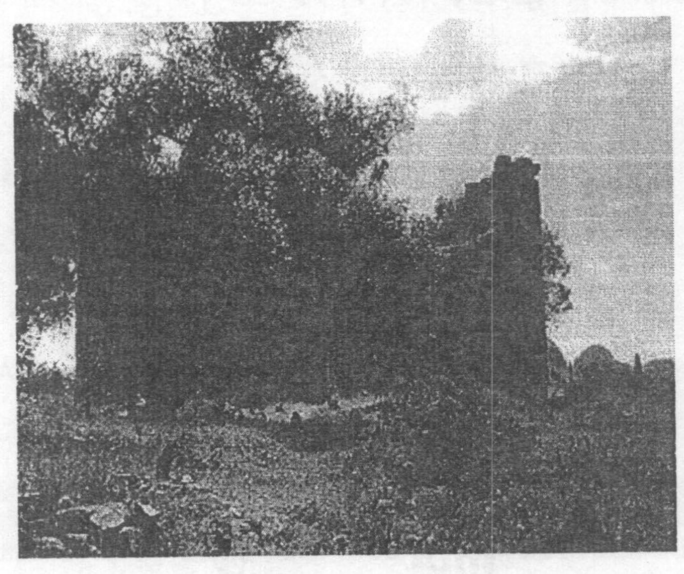
رسم افتراضي أرثوذكسي لأسقف نجران

ذكر المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس أن عدداً من الجيش الأكسومي :"آثر البقاء في أرض الحميريين لإنها جيدة جداً" – على حد تعبيره – ولم يريدوا مغادرة اليمن، أحد هؤلاء كان أبرهة الأشرم أو "أبراهموس" (إبراهيم) قائد الجيش الحبشي الذي أعلن نفسه ملكاً على اليمن "بسم كرشتس وروحن قدس" (بسم المسيح والروحِ القدس). شن أبرهة غزوة على قبيلة معد في أعالي نجد وأخذ

أبنائهم ونسائهم رهائن مقابل الولاء، وتمرت قبائل أخرى على الأحباش لتعلن تمردها فقاد رجلان اسمهما "بشر بن حصن" و"أبو الجبر بن عمرو" حملة على مكان اسمه "تربة" قرب الطائف وكان الرجلان من كندة، ودونت كتابة بخط المسند تذكر عدد القتلى والغنائم والأسرى والأطفال الذين أخذهم أبرهة من سكان الطائف مقابل الولاء. كانت القبائل منقسمة واستغل الأشرم الانقسام لصالحه وبالفعل فقد خرج زعيم من كندة يدعى "يزيد بن كبشت" في نصوص المسند (يزيد بن كبشة) ومعه ابن شميفع أشوع وأقيال من "مرثد بن بكل "(بكيل) و"ذو يزأن" (بيت ذو يزن) و"ذي معاهر" و"ذو خليل" لقتل أبرهة إلا أن أقيال حضرموت وهمدان و"ذو رعين" و"أشعرن" (الأشاعرة)، وعدد من القبائل قاتلوا سيد كندة. ولاحظ الباحثون غياب أي ظواهر ولاء للوطن واستعداد القبائل للوقوف بصف الغريب طالما اقتضت المصالح، فالقبائل لا تعرف وطناً ولا قومية إلا قومية القبيلة وبقيت تلك المشكلة عالقة إلى اليوم حول مفهوم القبائل في اليمن للوطن ومدى قدرتهم على الإيمان بالجنس أو القومية الوطنية الجامعة فوق القبيلة. استمر الإقتتال لفترة حتى وصل لأسماع المتقاتلين "أصوات البكاء" عن تصدع هو الثالث وقبل الأخير أصاب سد مأرب كما يقرأ من النص المسندي الذي يعود لعام٥٤٢ م، فتوصلوا لهدنة لإعادة ترميم السد وكان آخر ترميم يجرى عليه، نسبوا إلى أبرهة هذا قصة بعد الإسلام لم يرد عنها نص مدون بخط المسند ولا كتابات البيزنطيين ولا أي حضارة مجاورة عاصرت هذه الفترة وحاكوا حوله قصصاً وأساطير كثيرة كعادتهم إزاء أي شخصية تاريخية أثرت عليهم، وقد وردت له قصة عن محاولته لهدم الكعبة في مكة ولكنها بائت بالفشل، ومعد التي ورد ذكرها وإن تحول إلى جد مزعوم في كتابات أهل الأخبار، هو حلف لقبائل عديدة يجمع شملها هذا الإسم.

قام بعض العرب فقاموا بتدنيس القليس (الكنيسة) ورميها بالقاذورات، مما دفع بابرهه الحبشي إلى غزو مكة عام (٥٧٠). وقد سير ابرهه الحبشي جيش ضخم يتقدمة افيال لهدم الكعبة ويذكر المؤرخين انهم تعرضوا لعقاب رباني وتم ابادتهم. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ . بعد هلاك ابرهه وجيشه الحبشي تحرر اليمنيين من الأحباش، لا توجد نقوش أو كتابة تشير إلى الحقبة الفارسية المفترضة في اليمن فتاريخ البلاد يكاد يكون مجهولاً خلال هذه الفترة سوى ماتوارد عن كتابات بيزنطية بسيطة عن عن وجود الفرس في عدن، ودخل اليمن عصراً من الانحطاط قبيل الإسلام مما مكن مكة بأن تصبح مركزاً تجارياً مهما بل ربما الأهم في الجزيرة العربية لبعدها عن مراكز الصراع. حكم الحميريين كاذواء فلا سلطة حقيقية تذكر لهم خلال هذه الفترة إلا على قبائلهم ويقول صاحب المفصل : "أستطيع أن أقول إن وجود الفرس في اليمن وحكمهم البلاد كان خرافة، وربما وجودهم كان اقتصر على عدن وكان تجارياً، كان الحكم الواقعي للأقيال أمراء القبائل. ولا عبرة لما نقرأه في الموارد الإسلامية من استيلاء الفرس على اليمن، لأن هذه الموارد تناقض نفسها حين تذكر أسماء الأقيال الذين كانوا يحكمون مقاطعات واسعة من اليمن في الحقبة الفارسية، وكان منهم من لقب نفسه بلقب ملك، وكان له القول والفعل في أرضه، ولا وجود لسلطان فارسي عليه"، وتمت المبالغة في تصوير حكم أكسوم وفارس لليمن لتصوير الإسلام على أنه جالب الحرية والاستقلال للعرب فكما يقرأ من التاريخ لمتناقض في كتابات أهل الأخبار، قبيلة واحدة من قبائل اليمن (مذحج) استطاعت حكم اليمن دون عناء بقيادة الأسود العنسي، استفرد أحد الساتراب بالحكم في العام ٥٩٨ ميلادية. ودخل أحد هؤلاء إلى الإسلام

حتى طردهم الأسود العنسي وأعلن نفسه ملكاً ونبياً على اليمن وقتله مسلمون يمنيون وفقاً لمصادر متأخرة عن هذه الأحداث.



بقايا معبد المقه في شمال إثيوبيا قرب أكسوم التي بناها السبئيين القادمين من اليمن في القرن الثامن ق.م وهو أقدم شاهد على حضارة قديمة في تلك البلاد

* ممالك صغيرة :

كان النظام في العربية الجنوبية شبه فيدرالي إذ كانت القوة في يد أربع ممالك رئيسية (قبل حمير) وهي سبأ وحضرموت وقتبان ومعين ويندرج تحت هذه الممالك ممالك صغيرة يشار إليها بألفاظ تدل على تبعيتهم لإله المملكة الكبرى. من هذه الممالك مملكة سمعي وهي مملكة صغيرة وأساس وأصل قبائل همدان وكانت تحت اللواء السبئي طيلة وجودها. ومملكة هرم وإنابة ونشق ورعين والمعافر ونشأن؛ وهي ليست ممالك مؤثرة بل صغيرة وإن جمع بعض من طقوسها التعبدية وآلهتها. وكان هناك ممالك أخرى أكبر من المذكورة آنفا وأكثر أهمية مثل

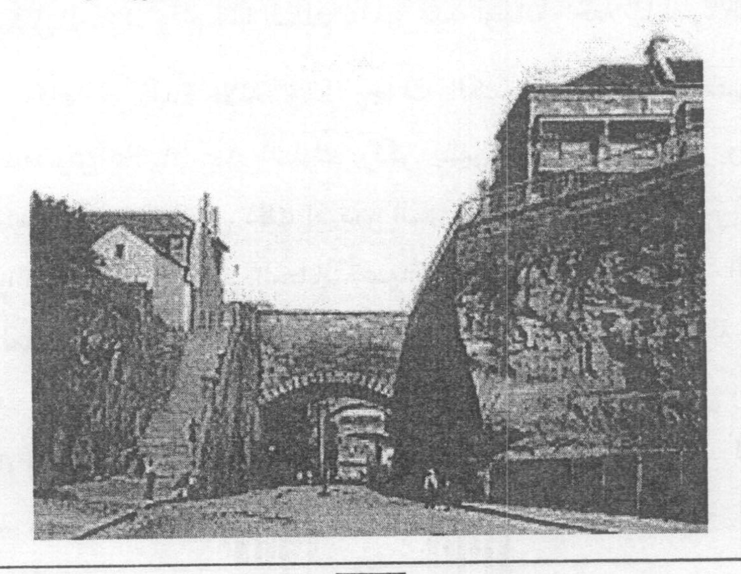
ممالك كندة وديدان ونجران وأهمية هذه الممالك تكمن في تأمين الطريق التجارية وربط اليمن بالأسواق التجارية في العراق وفارس واليونان ومصر وروما وغيرها من المحطات التجارية المهمة.

* مملكة أوسان :

عرفت هذه المملكة باسم "أوسن" (الأوس) حسب كتابات خط المسند، تواجدت جنوب مملكة قتبان دمرها كرب إيل وتر وبقيت مملكة صغيرة تابعة في غالب تاريخها، كانت تتبع مملكة حمير ولكنها انفصلت عنها في ظروف غامضة، حيث جمعت حولها الأحلاف والقبائل وكونت كيان سياسي مستقل، وساعدها في ذلك ازدهارها الاقتصادي بسبب قربها من خليج معين. استمرت هذه الدولة في ازدهارها حتى اتسعت مطامع مملكة سبأ في أواخر عهود المكربين، وقام بين الدولتين مناوشات تناوبت الإنتصارات بين الطرفين، حتى عهد الحاكم السبئي الملك "كرب إيل وتر" أول من تلقب بلقب "ملك دولة سبأ" في حوالي القرن السابع قبل الميلاد، وقام هذا الملك بتدمير مدن أوسان واحتلالها لفترة طويلة.

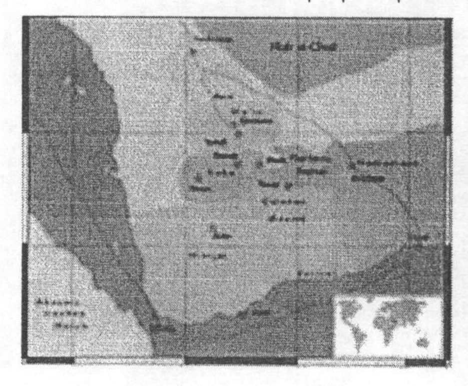
وكانوا من أبناء الإله ود، وجدت الكثير من التماثيل المصنوعة من الذهب منقوش تحتها أسماء الملوك، ولكن يظهر أنها تعرضت لكسر وقد يكون لحملة سبأ عليها سبب في ذلك إذ دمر السبئيون قصرهم الملكي وأمر كرب إيل وتر بإزالة كل النقوش وتدمير الكتابات عنها كما ورد في "كتابة صرواح" التي دونها هذا الملك في القرن السابع قبل الميلاد، ويبدو أنهم كانوا مملكة قوية في بداياتهم إذ جاء في كتابات اليونان أنهم كانوا يسيطرون على ساحل زنجبار في أفريقيا، ولم يكونوا ليتجاوزوا الساحل الغربي لليمن لشرق أفريقيا لو لم يكونوا مملكة قوية ولها سيطرة محكمة على مناطق واسعة من العربية الجنوبية. إلا أن

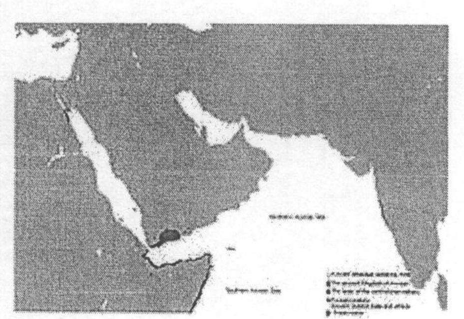
أطماعها في التوسع انتهت بعد قضاء السبئيين عليها. لا تعرف حتى الآن البدايات الأولى لظهور المملكة، ومن خلال النقوش الأوسانية القليلة التي تم العثور عليها يمكن القول أن حكام أوسان اتخذوا لقب مكرب ثم لقب ملك، ووفق أحدث الدراسات العلمية فقد كانت أوسان موجودة منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وحققت ازدهاراً ملحوظاً في القرن الثامن قبل الميلاد، مما دفع ملوكها إلى توسيع نطاق سيطرتهم على حساب جيرانهم في قتبان وحضرموت، وفي القرن السابع قبل الميلاد تعرضت لهجوم كاسح من القوات السبئية بقيادة المكرب - الملك كرب إل وتر مكرب سبأ، حيث قتل ملك أوسان (مرتع) وتم تدمير معابدها والقصر الملكي (مسور) ووزعت أراضيها بين مملكة سبأ وحلفائها القتبانيين والحضارم، وخضع الجزء الأكبر من أراضيها لسيطرة القتبانيين. وفي ظروف غامضة ظهرت مملكة أوسان من جديد في القرن الثاني ق.م تقريباً، وخلال تلك الفترة حكم خمسة من الملوك فقط، تم العثور على تماثيل لبعضهم، ثم اختفت من جديد في بداية القرن الأول قبل الميلاد تقريباً دون معرفة ملابسات ظهورها واختفائها.



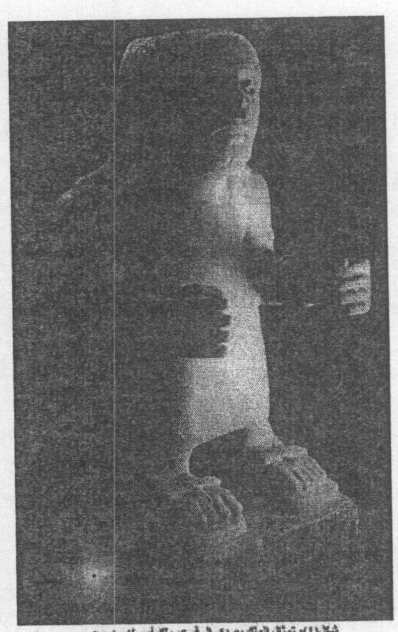
* الحضارة والتجارة والمجتمع :

كانت هجر يهر مركزاً لحضارة كبيرة وغنية بشكل مدهش متأثرة بـ الحضارة الهلينية، بمعابد وقصور محاطة بالمساكن المبنية من الطين المحروق، وموقع محتمل لسوق كبير، ومكان لاستراحة القوافل المسافرة. وأحرز الملوك الأوسانيون امتيازات كبيرة، وسلطة دينية على شعبهم، كما أنهم تأثروا بالنموذج اليوناني في الهيئة. و امتد نفوذ أوسان إلى إفريقيا والهند حيث كان الساحل الإفريقي يسمى بالساحل الأوساني، وكانت أوسان من أكثر ممالك العرب الجنوبيون نفوذاً حيث أن مملكة اوسان الإمبراطورية الغير عسكرية سيطرت على طول سواحل غرب الهند وشرق أفريقيا وكانت علاقات مملكة اوسان السياسية والتجارية في الخارج أكثر منها في الداخل ووصلت تجارتها مع الإغريق في البهارات والأعشاب وتجارة الطين المحروق الذي كان الإغريق يستخدمونه في بناء الآلهة وقد احتفظ الاوسانيين بأسرار رياح البحر الأحمر في الإبحار إلى شبة جزيرة سيناء التي كانت ملتقى طرق التجارة بين الإغريق، كان الأوسانيين يطمحون لسيطرة على سيناء وبناء قصر ملكي جديد في وادي العريش ،على الرغم أنهم لم يكونوا أهل حرب.

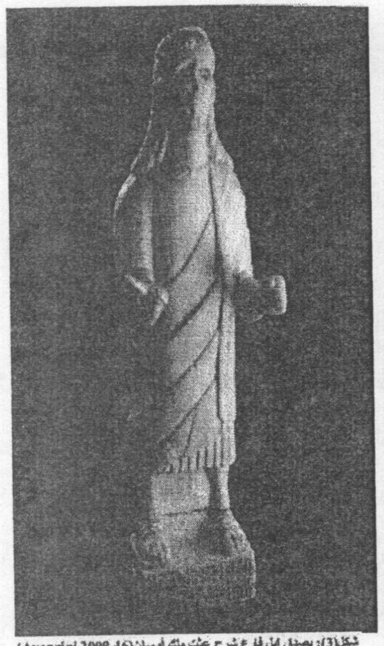




منطقة قتبان اوسان في القرن ١ ميلادي



شكل(1): تمثال الملك يصدق إل فرعم ملك أوسان بن معد إل.(Avanzini,2009,46)



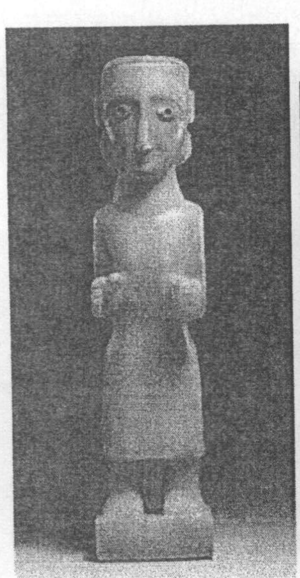
شكل(3): يصدق إيل فارع شرح عشت ملك أوسان(Avanzini,2009,46)

من التماثيل والآثار القليلة لتلك المملكة



شكل(2): تمثال الملك معد إيل سلحين بن يصدق إيل ملك أوسان (Avanzini,2009,46)





ملوك أوسان :

- زيدم سيلن أبن معدال
- معد ال سلحن أبن يصدق ال
- يصدق ال فرعم شرح عت

أبن معد ال سلحن.

كان حكمه في النصف الأول

من القرن الخامس قبل الميلاد

حتى حوالي السنة "٤٥٠" ق.م

- يصدق آل فرعم أبن بن معد ال
- معد ايل سلحان بن ذي يدم
- عم يثع غيلن لحى
- يصدق ايل فرعم زغمهن الشرح
- زيحمن بن الشرح
- الشرح ابن يصدق ايل
- مرتوم

الدمار :

لم يكون شعب أوسان شعباً مؤمناً بالقوة والحرب مما جعل دمار مدينة هجر يهر في القرن الأول قبل الميلاد من قبل الملك السبئي سهلاً ولم يتبقى أحد من بنى أوسان في المملكة المدمرة إلا من هربوا إلى عدن والحبشة طبقاً للنصوص السبأية التي تتحدث عن النصر بصيغ تقر بأهميته للسبئيين.

* مملكة دمت :

هي مملكة صغيرة قامت في شمال إثيوبيا في القرن الثامن قبل الميلاد والكتابات عنها قليلة للغاية ودونت بخط المسند وهي أقدم الممالك بشواهد أركيولوجية في إثيوبيا، لايعرف الكثير عن هذه المملكة وهناك اعتقاد أنها مملكة قامت من قبل السكان الأصليين لتلك المناطق بتأثير سبئي والبعض يعتقد أن مؤسسيها كانوا سبئيين قدموا من اليمن واختلطوا بسكان تلك المناطق وباختلاف الآراء إلا أن التأثير السبئي واضح، بالكاد يمكن الكتابة عنها وعن تاريخها أي

شي. وليس من المعروف ما إذا كانت هذه المملكة مرحلة سابقة لمملكة أكسوم أم أنها إحدى الممالك الصغيرة التي سيطر عليها هؤلاء الأكسوميين فتاريخ إثيوبيا شبه مظلم قبل مملكة أكسوم التي قامت في القرن الأول للميلاد ولايوجد لها ذكر قبل ذلك، فالتاريخ الإثيوبي بدأ بقدوم السبئيين وإحتكاكهم بالكوشيين فهناك اعتقاد أن سكان المناطق الشمالية لإثيوبيا هم نتاج هذا التزاوج ويظهر اختلاف ملامح بعض المجموعات الإثنية وطباعها عن مناطق أخرى في أفريقيا وإثيوبيا جلياً.

* مملكة جبان :

هي مملكة تابعة لقتبان وصل ذكرها عند اليونانيين ويبدو أنهم كانوا أشراف وتجار كبار في المملكة القتبانية، إذ ذكر اليونان أنهم كانوا محتكرين لتجارة اللبان وتبعد مدينتهم "نجية" حوالي ١٤٨ ميل عن غزة.

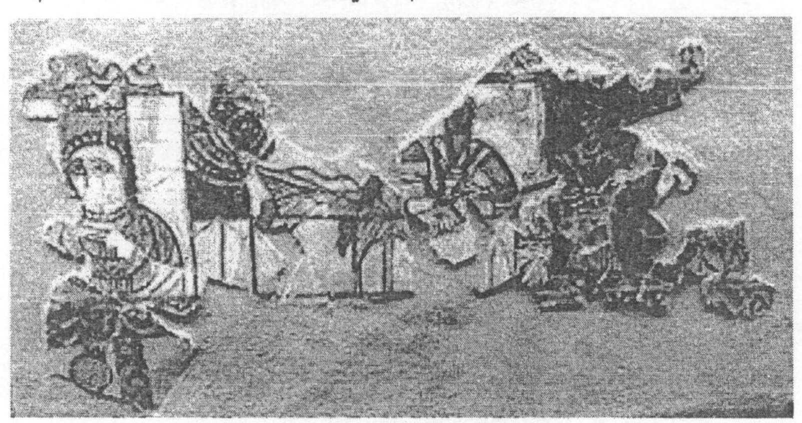
* مملكة نجران :

على الرغم من كثرة ذكر نجران في نصوص عربية جنوبية مختلفة فإن علم الباحثين عنها قليل للغاية. كانت مطمعاً للسبئيين والحميريين وتعرضت للغزو والإحراق مراراً من باب إخضاعها وهي دلالة على أهمية موقعها كمحطة للقوافل. وذكرها ملك المناذرة باسم "مدينة شمر" ويقصد شمر يهرعش، وورد في نص اتجاه قوات منها نحو "نباطو" (مملكة الأنباط) وانتهت بإنتصار هذه القوات، للأسف لايعرف الكثير عنها رغم كثرة ذكرها في نصوص سبئية وقد تقود الاكتشافات في منطقة نجران لاكتشاف تاريخ هذه المنطقة وكل مايوجد في كتابات الإخباريين عنها أن قصة الأصحاب الأخدود وقعت بها، وأن سكانها من المسيحيين خرجوا يريدون مباهلة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في عام الوفود.

* مملكة كندة :

لم يقم بني كندة مملكة في اليمن بل قامت في البداية في قرية الفاو. وهناك نص يشير إلى وجودها في القرن الثاني قبل الميلاد وعرفت في كتب التراث العربي بلقب "كندة الملوك"، ويظهر أن أهل الأخبار كانوا على دراية بتسمية "آل ثور" المشيرة إليهم في نصوص المسند فصيروا "ثور" هذا جداً للقبيلة كلها، والغالب أنهم أسرة أو فرع منهم لغياب التسمية (آل ثور) للقسم الموجود في اليمن،كانت مستعمرة سبئية جنوب نجد هدفها إقامة حاجز بين مملكة سبأ والبدو.

بلغوا أوجهم أيام مملكة حمير فضموا البحرين والقطيف والإحساء وضعفوا كثيراً بعد مقتل الحارث بن عمرو الكندي فاضطروا لمحالفة بيزنطة وبقيت لهم مشيخة على دومة الجندل حتى آخر أيام النبي محمد عليه الصلاة والسلام.



جزء من لوحة جدارية ممزقة تظهر رجلا في أقصى اليسار مقلداً بالتاج

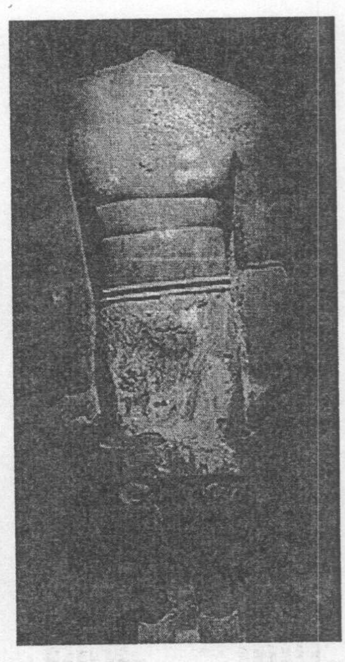
في القرن الأول/الثاني بعد الميلاد قرية الفاو عاصمة مملكة كندة

* مملكة هرم :

مملكة صغيرة نشأت في شمالي محافظة الجوف في مدينة "كمنهو" (كمنه حالياً) كانت تابعة لمملكة أوسان حتى غدت من أتباع سبأ بعد حملة كرب إيل وتر.

* مملكة نشق :

مملكة صغيرة قامت في محافظة البيضاء حالياً، وكانت تابعة لمعين دمرها السبئيون هي ونشأن وأستوطنوا فيها ولايعرف الكثير عن هذه الممالك الصغيرة لقلة الأبحاث حولها.



مجسم لرجل في مملكة ديدان يعود إلى القرن الرابع ق.م

ويبدو أنه محاكاة للفراعنة المصريين القريبين منهم

* مملكة ديدان :

هي مملكة تابعة لمملكة معين من القرن الخامس حتى بدايات الأول قبل الميلاد، قامت في الأجزاء الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية وأغلب الظن أنها مرحلة سابقة لمملكة لحيان حيث يعتقد بعض الباحثين أن اللحيانيين كانوا من سكان العربية الجنوبية لورود نص يشير إلى قيل لحياني في اليمن اسمه "أب يدع ذو لحيان" واستوطنوا ديدان جنوب أراضي الأنباط فلما ضعفت حكومة المعينيين في اليمن استولى اللحيانيون على المملكة وأسموها على اسم قبيلتهم، وليس بين الباحثين اتفاق على أصولهم تحديداً ويرى جواد علي أن المعينيين كونوا مستعمرات في أعالي الحجاز منذ القرن الخامس قبل الميلاد ووصفهم باللحيانيين أيام قوة المعينيين، وهدف هذه المستعمرات هو تأمين الطريق التجارية من اليمن إلى الشام ، ووفقاً، لورنر كاسكل:

" الجدير بالذكر هو أن العهد القديم لديه الكثير ليقوله بشأن السبئيين وواضح أنه صامت بشأن المعينيين ولكننا نجد ذكراً لديدان وظهر في سلسلة الأنساب الموضوعة في العهد القديم كأخ لسبأ (تكوين ٧:١٠) وهو ماله تفسير واحد، عندما يتحدث العهد القديم عن الديدانيين فإن المقصود هو معين والسبب في ذلك الاستخدام واضح، وذلك لأن قوافل مملكة معين العربية الجنوبية كانت تتوقف في ديدان ولا تجاوزها، فيقوم مواطنيهم في تلك المستعمرة بنقل البضائع إلى محطات أخرى؛هدف هذه المستعمرة هو تقصير مشقة السفر على المعينيين "

أغلب بضاعتهم القادمة جنوب شبه الجزيرة العربية كانت موجهة لمصر واليونان ويعتقد كاسكل أن اللحيانيين استولوا عليها في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد قرابة ١٥٠ ق.م فقد كان المعينيون يسيطرون على أعالي الحجاز من القرن الخامس قبل الميلاد بمساعدة من الأنباط بدلالة أن أول ملوكهم كان نبطياً ثم عادت للحيان مستغلين ضعف مملكة معين وحروبها مع مملكة سبأ، ويرى جواد علي أن اللحيانيين من سكان العربية الجنوبية واستولى الحميريين على أراضيهم هناك أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وقد عدهم بلينيوس الأكبر في جملة الشعوب العربية الجنوبية كذلك.

*****

الفصل الثاني

الحضارة اليمينة

تشير الأبحاث العلمية والآثار الموجودة إلى أن أرض اليمن قد استوطنت وعمرت بشكل متواصل منذ عصور عديدة مضت يعرفها علماء الآثار والإنسان. وتعرض متاحف الآثار الموجودة في اليمن الأدوات التي كان يستخدمها أولئك السكان قبل عشرات الآلاف من السنين والتي تعود إلى حقبة العصور الحجرية.

وقد وصلت الحضارة اليمنية إلى مراحل متقدمة من التطور والازدهار الأمر الذي دعا قدماء الإغريق والرومان إلى إطلاق اسم (العربية السعيدة) عليها وقد كان هذا التطور والازدهار مرتبطاً بالنشاط التجاري الممتد على طول الطرق التجارية القديمة التي تعود إلى الألفية الأولى قبل الميلاد حيث ظهرت العديد من الكيانات السياسية على طول الوادي الشرقي الذي يطل على محطات هذه الطرق حيث كانت تعبر من خلالها القوافل محملة بقطع البخور الشهيرة واللبان والتوابل والعطور، ومن الحضارات اليمنية الشهيرة التي ظهرت آنذاك حضارة سبأ واوسان وحمير. تثبت الدراسات التي قام بها علماء الآثار والإنسان على العديد من المواقع الأثرية – وعلى الأدوات المماثلة والتي كانت يستخدمها الإنسان القديم في أماكن أخرى – بأن الاكتشافات الأثرية التي تم نبشها والتي تعود إلى حقبة العصور الحجرية في اليمن كانت تنتمي إلى نفس الحقبة الزمنية، كشعوب شمال شبة الجزيرة العربية. ينطبق هذا التشابه أيضاً على حقبة العصر البرونزي.حيث أنه

خلال هذه الفترة المزدهرة امتازت الحضارات الموجودة في اليمن آنذاك بعلاقاتها الجيدة وصلاتها المستمرة مع عواصم حضارات الشرق القديمة، وكان لكليهما تأثير متبادل على بعضهما البعض.

لقد أسهمت هذه الحضارات اليمنية القديمة وبشكل متواضع في عملية تحصيل العلم والمعرفة وفي إحراز ثقافات الجنس البشري القديمة هذه للتقدم .

برع اليمنيون القدماء في فن العمارة – والذي يتجلى للمشاهد في المعابد وأسوار حصون المدن وأطلال المدن القديمة وقلاعها وطرقها، كما أنهم أحرزوا تقدماً ملحوظاً وكان لهم السبق في تشيد أنظمة الري والسدود، فسد مأرب العظيم شاهد ذو أهمية بالغة على هذه الحنكة والرقي الذي بلغة اليمنيون القدماء – هذا بالإضافة إلى قنوات المياه والصهاريج والآبار المحصنة.

كذلك برعوا في الفنون؛ فن النحت والرسم، يجد المرء أن جدران المعابد تحتفظ بالكثير من النقوش القيمة، كما أن ردهات المتاحف في اليمن ومتاحف العواصم في العالم تعرض العديد من التماثيل والمشغولات الفنية والملبوسات الفضية والنحاسية بالإضافة إلى الأواني الذهبية.

فيما يتعلق بالديانة والعبادة ، فلا نظير لمعابد اليمنين القدماء إطلاقاً، بل إن كل معبد منها اتسم بطابعه الخاص المتميز – الأمر الذي يقود إلى الاعتقاد بأن هذه المعابد كانت بيوتاً تؤدى فيها طقوس دينية معينة ويتوافد عليها الحجاج بشكل منتظم.

كذلك انهمك اليمنيون القدماء، عقب فترة استيطانهم وتطورهم، في أعمال وأنشطة تعدت الإقليم الجنوبي المستوطن من قبل الأعراب، ومن ضمن

هذه الأنشطة الشحن على السفن التجارية، وهكذا انتهى بهم الأمر إلى إقامة دولة مستقلة كمملكة "اكسوم" فيما يعرف الآن بـ إثيوبيا. هذا بالإضافة إلى استيطانهم في الأجزاء الشمالية والشرقية لشبة الجزيرة العربية. حيث قام الحميريون اليمنيون بحملات عسكرية بلغت أقاصي الحيرة والمدائن.

أدرك الفرس والرومان أنه إن تمكن أي منهما في إحكام السيطرة على طرق التجارة القديمة فان هناك ثروات هائلة في انتظارهم في اليمن والتي ستملأ خزائنهم. فقد قامت الإمبراطورية الرومانية بإرسال حملة عسكرية في محاولة منها لغزو اليمن، إلا أنها توجت بفشل ذريع على أبواب أسوار مأرب الخارجية في العام ٢٤ ق.م. وبعد أكثر من خمسة قرون – قام إمبراطور بيزنطة – في أعقاب ذروة الحرب الدائرة بين المسيحيون واليهود والتي اتخذها عذراً كافياً، بدعم وتمويل حملة أبرهة – ، حاكم إثيوبيا التي كانت قد اعتنقت المسيحية. قام أبرهة بغزو أرض العرب السعيدة عقابا لذي نواس – آخر الملوك الحميرين – الذي أصدر أوامره بقتل مسيحيو نجران، قبل حوالي ١٠٠ عام من مولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام. أدى هذا إلى سيطرة الاستعمار الإثيوبي لفترة دامت أكثر من خمسين عام، قام الإثيوبيون خلالها بتدمير قلاع ملوك حمير ونصبهم التذكارية.

انتهى استعمار أبرهة بوفاته حين حاول دخول مكة ولم تنصع الأفيال التي جلبها معه لأوامر أسيادها باقتحام مكة وتدمير الكعبة بعد وصولة الحدود الخارجية لمكة وبيت الله الحرام.

بعد ذلك ، حكم إمبراطور الفرس اليمن بعد ارسالة أبناء خصروص لإنقاذ الملك اليمني سيف بن ذي يزن و(القليس)، وهي كنيسة كبيرة شيدها أبرهة على

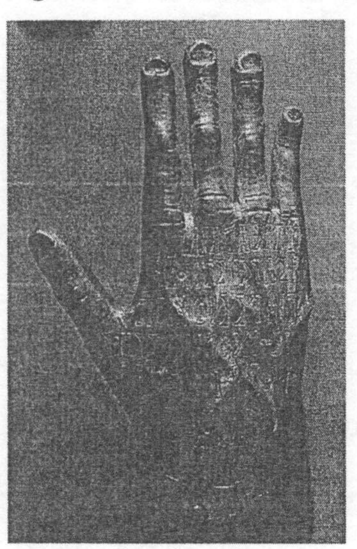
أمل أن يحج إليها العبَاد ويطوفون حولها ويقرعون أجراسها، لكنة لم يجد إلا مجموعة من عبدة النار.

دخلت اليمن فترتها التاريخية الوسطى مع بداية الدعوة إلى الإسلام في القرن السابع بعد الميلاد، والذي كان فعلا بمثابة المنقذ لليمن من الصراعات على السلطة وانعكاساتها السلبية على اليمن. اعتنق اليمنيون الإسلام طوعاً وكانوا ضمن القادة الفاتحين في ظل حكم الدولة الإسلامية الجديدة والتي برزت بشكل سريع بعد موت النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

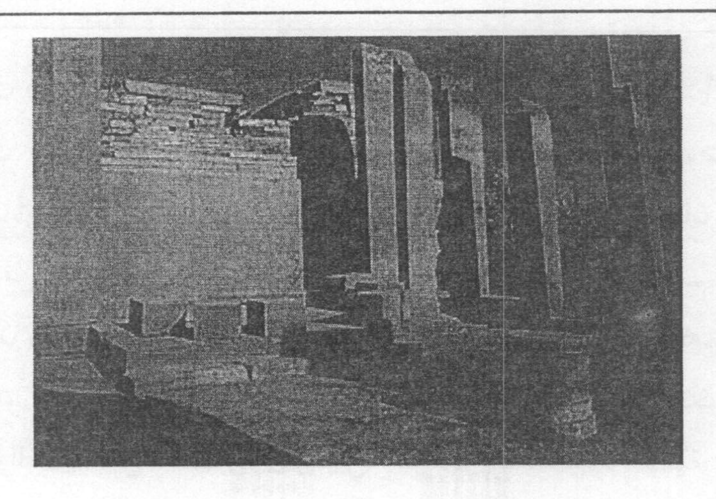
* الدين :

لا زالت معارف الباحثين بشأن البانثيون اليمني القديم ضئيلة إلا أن طبيعته النجمية أو الكوكبية أمر لا جدال فيه. يقول المستشرق الإنجليزي ألفريد فيليكس لندن بيستون أن "الآثار القليلة المكتشفة للحضارات العربية الجنوبية تدل على حضارة متقدمة للغاية في زمنها بينما المعطيات عن مراحلها الأولى تكاد تكون شبه معدومة حالياً فلا ينبغي للباحثين التسرع في إطلاق الأحكام والنظريات أهمهما نظرية ثالوث الشمس والقمر وإبنتهما كوكب الزهرة، فلا يمكن تأكيد نظرية ما بشأن معتقدات السبئيين القديمة مالم يقف الباحثون على مراحلهم الأولى فكل النظريات الحالية هي احتمالات ومحاولة فهم الدين اليماني القديم من خلال مقارنته بحضارات الشرق الأدنى". من وجهة نظر إسلامية؛ فإن السبئيين اعتنقوا دين الملك سليمان بعد الزيارة الشهيرة التي قامت بها ملكة سبأ أو "بلقيس" كما عرفتها كتب التراث العربية، الإله إيلكان أكبر آلهة السبئيين وهو إله قدسه العبرانيون بدلالة ظهوره في أسمائهم وهناك اعتقاد عند باحثين مسلمين أن السبئيين بقيوا على دين سليمان لفترة ثم عادوا للوثنية ولكن لا آثار مُكتشفة حتى

الآن تثبت ذلك بصورة قطعية. كان المجتمع اليمني القديم مجتمعاً متديناً ويستدل على ذلك اعتبار الكهنة أعلى طبقة اجتماعية في البلاد والضرائب المفروضة للإلهة وكثرة المذابح والنقوش المصورة لـ و"علان" و"ثيران" وهي حيوانات كان اليمنيون يكثرون من التضحية بها. قدس اليمنيون عثتر والمقه وسين وود وعم. وكانت العقائد إن صحت تسميتها تتمحور حول ثالوث الشمس والقمر وإبنتهما كوكب الزهرة وهو افتراض مشكوك فيه من قبل بعض الباحثين، ولكن لايمكن إغفال العلاقة والتشابه بين معتقدات اليمنيين القدماء والكنعانيين. الآلهة الرئيسية كانت عثتر ومن ثم المقه وعم وود وسين تليها آلهة القبائل الخاصة كتألب ريام الهمداني و"كهلان" أو كاهل إله مملكة كندة ومذحج، قدست سبأ المقه وقدست حضرموت سين وكان عم إله قتبان وود إله مملكة معين.



تألب ريام.الدعاء موجه من شخص قبيلة همدان دعاء منقوش على يد من البرونز موجه لإله يدعى "وهب تألب بن حسام ذي سمعي" شاكراً إلهه على نجاته في معركة ضد الحميريين أو مملكة حمير وهي عاصمة ظفار يريم كذلك استنبط علماء الآثار بسبب ذكر



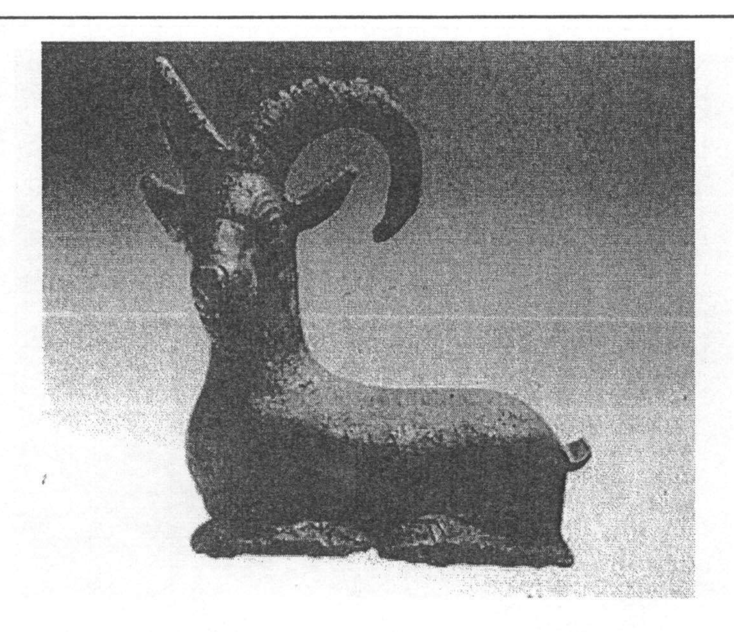
مذبح الإله عثتر أكبر ألهة العرب الجنوبيين باختلاف القبائل

عثتر هو النسخة الذكرية من الإلهة عشتار كما يعتقد البعض ولكن أبحاث جديدة تظهر ميثولوجيا مختلفة قليلاً فترجح أن عثتر كان أنثى كما تشير إليه النصوص اليمنية "أم عثتر" وإنقسم إلى قسمين، إله ذكر وإلهه أنثى كانوا أب وأم البشرية جمعاء. عثتر هو أكبر آلهة اليمن ووالد الآلهة كلها والشعب اليمني القديم باختلاف قبائلهم، ورغم اختلاف الباحثين في تحديد فترة نشوء سبأ هناك دلائل على قيام المملكة قبل القرن التاسع سماها بعض الباحثين بالفترة "المهجورة Archaic"؛ وهي الفترة في القرن الثاني عشر والثالث عشر قبل الميلاد؛ فقد وجدت كتابات تشير إلى عثتر كالإله الرئيسي لقبيلة سبأ ويعتقد أن دخول المقه في المعتقدات السبئية هو نتيجة لدخول قبيلة "فيشان" (قبيلة الملك كرب إيل وتر) في سبأ فأصبحت سبأ تجمعاً عشائرياً كبيراً يضم عدداً كبيراً من القبائل، وأنعكس هذا على ديانتهم فكثرت آلهة سبأ كنتيجة لهذا التحالف، وكان للثور أوالعجل قدسية خاصة في اليمن القديم وغيره من حضارات الشرق الأدنى لتشابه قرونه مع القمر.

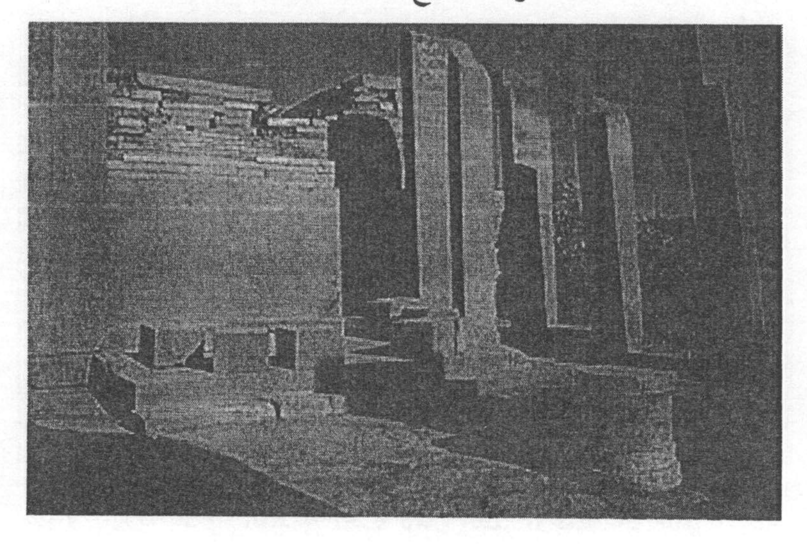
المعينيون كانوا يصفون إلههم الأكبر ووالدهم ود بلفظة "كهلن" وكلمة "الكهل" وتعني القدير بلغتهم والأب تعبيراً عن عطفه عليهم، وكانوا يؤمنون أنه ضحى بحياته من أجلهم ولذلك كثرت عبارات الرحمة والعطف والحكمة اتجاهه فأسموه "صدوق" (الصادق)، و"لعزز" (العزيز)، و"حكمن" (الحكم)، و"حرمن" (المحرم)، و"رضى" (الرضي)، و"رحمن" (الرحمن)؛ وكانوا يسمون أنفسهم "هود" أي أبناء، ود وقدس المعينيين الإله منضح وهو مسؤول عن السقيا والماء، والإله بلو وهو إله المصائب والبلاوي، والإله رفوا وهو إله حماية الحدود، والإله حلفن وهو إله القسم والتعهدات فيقسم به عند عقد الاتفاقيات والمعاهدات والعقود التجارية. أما سبأ فإلهها الأكبر المقه؛ واختلف الباحثون حول معنى اسمه فالألف واللام أول اسمه ليست أداة للتعريف فأداة التعريف عن العرب الجنوبيين كانت الحرف نون في آخر الكلمة. وأغلب الظن أنها "إيل مقه "وإيل هو الإله الكنعاني القديم واسمه "إيل عليون" وتعني إيل العلي، وكان يظهر في أسماء اليمنيين بكثرة مثل وهب إيل وشرح إيل وهي شراحيل وشرحبيل (شرحب إيل) وكربئيل والتي تعني القريب من إيل، و"إيل شرح" وتعني "نصر إيل" أو "إيل المتلألئ". ومن المؤكد أن الإسرائيليين قدسوه كما يظهر من أسمائهم مثل صامويل وهي صامو إيل وميكائيل وجبرائيل ووماشابهها من الأسماء. وكلمة مقه تعني "قوي" فيكون معنى الإله اليمني "إيل مقه" هو "إيل القوي"، "إيل الحافظ"، وربط بعض الباحثين بين اسمه ومدينة مكة مفسرين كلمة "مقه" السبئية بمعنى معبد فيكون معنى اسمه رب أو إله المعبد، وقد كان السبئيون واليمنيين بشكل عام يقلبون القاف كافاً كما في كلمة مكرب السبئية والتي تعني "مقرب"، تزداد عدد الآلهة بازدياد عدد القبائل. انضمت الإلهة "هبس" وهي زوجة عثتر إلى مجمع الآلهة السبئي مبكراً في القرن السابع قبل الميلاد، وكانت مسؤولة عن الأرض اليابسة والجافة، أما المقه فهو إله

الدولة ورمزها وبني له أربعة وثلاثين معبد أشهرهم معبد أوام وبرأن. وسين هو إله القمر عند الحضارم كما هو في آشور وبابل وتشير الرموز إليه بهلال ونقطة فوقه كما وجد في عدد من المباخر القديمة، اسمه وفق المتخصصين في اللغات السامية هو "ياسين" لا يزال اليمنيون إلى اليوم يستدعونه عند وقوع مكروه أو دفعه عنهم بعبارة "ياسين عليك" دون أن يقصدو الإله القديم نفسه بالضبط إنما ظل مكبوتاً في لاوعيهم، والياء هي صيغة النداء والترجي عند اليمنيين القدماء لكل الإلهة فقد جاء ورد اسم إل مقه بصيغة "يلمقه" كذلك. ويرجح عدد من الباحثين أنه المقصود في سورة يس، والحلف بالنجوم الكواكب في القرآن ورد أكثر من مرة وتحدث عنه المفسرون.

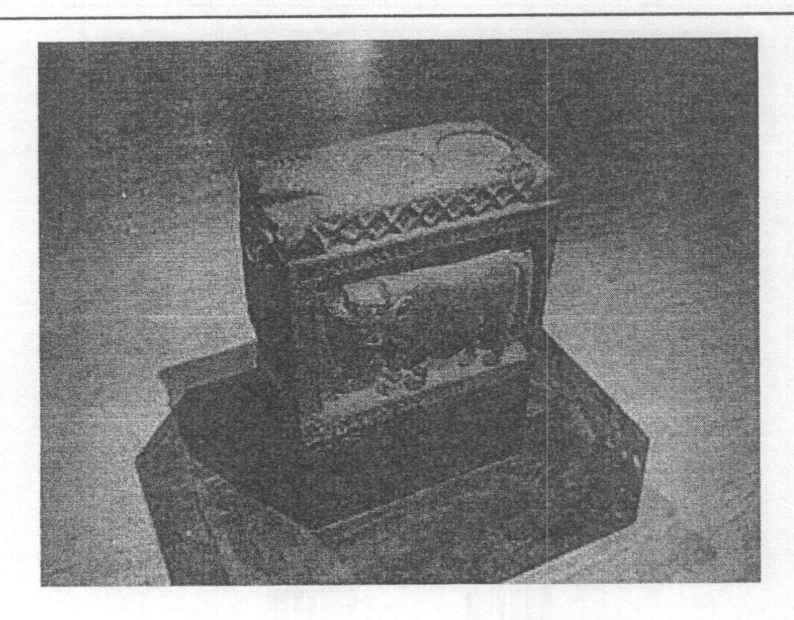
كان لبعض الآلهة مواسم صيد مثل موسم "صيد عثتر" ويعتبر هذا الموسم طقساً تعبدياً؛ يمثل الأسطورة أن: الإله عثتر حاول قتل الإله بعل ولايزال اليمنيون إلى العصر الحالي لديهم موسم صيد (مقناص) مخصص لصيد الوعول ويرمز الوعل للإله عثتر، والهدف من صيده جمع قرونه والمشاركة في طقس قديم لايعرف اليمنيون مغزاه ومعناه جيداً سوى أنه متوارث عن أبائهم، والوعل ليس تجسيداً لعثتر بل لإن الوعول كانت حيواناته المفضلة، وأسطورة قتل بعل ليست يمنية. بينما هناك أسطورة يمنية تقول أن: عفريتاً في الصحراء كان يطلب من الناس أن يقدموا بناتهم أضحية فقتله بطل أسطوري وكان هذا البطل عثتر، ومنهم من قال أن العفريت كان الإله إيل الذي توقف اليمنيون عن عبادته ولم يبقى يظهر إلا في أسمائهم. وقد تراجعت أهمية الآلهة تدريجياً حتى وحد الحميريين الآلهة واعتبروا رحمن إلهاً أوحد وقدسوه وحده إلى أن دخلت اليهودية والمسيحية إلى اليمن فجعلوا رحمن هذا والد المسيح .



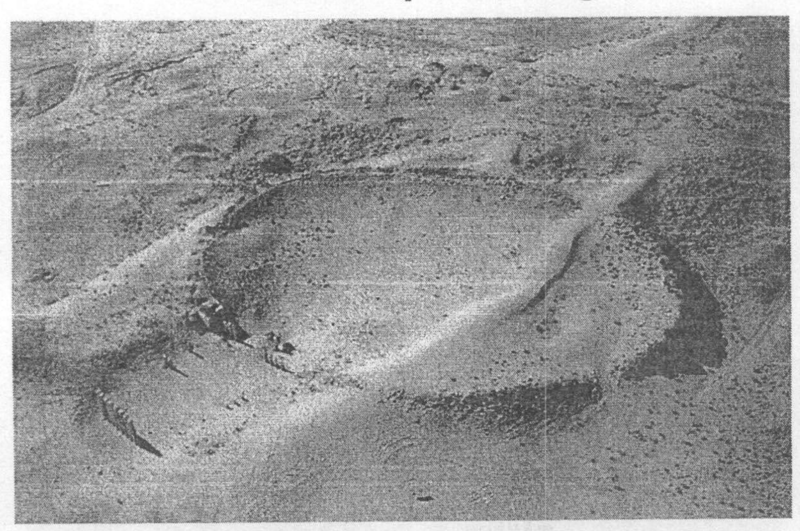
عثر والجدي أو الوعل هي إشارة رمزية تشير إلى النجم أو الكوكبة المعروفة باسم الجدي وجعله صانع التمثال مبتسما.



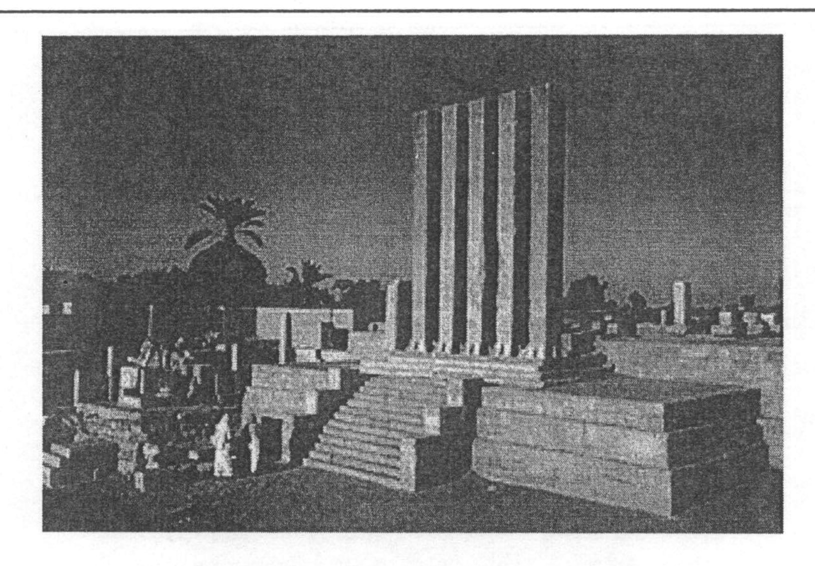
مذبح الإله عثر



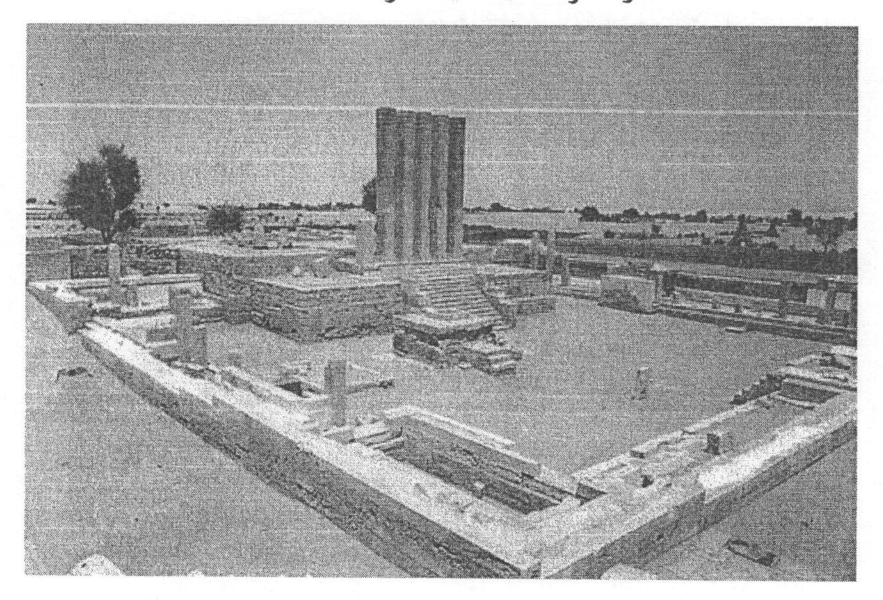
مذبح إلمقه معروض في متحف إسطنبول للآثار



صورة جوية لمعبد اوام المطمور تحت الرمال وتظهر الأعمدة على ظاهر الأرض

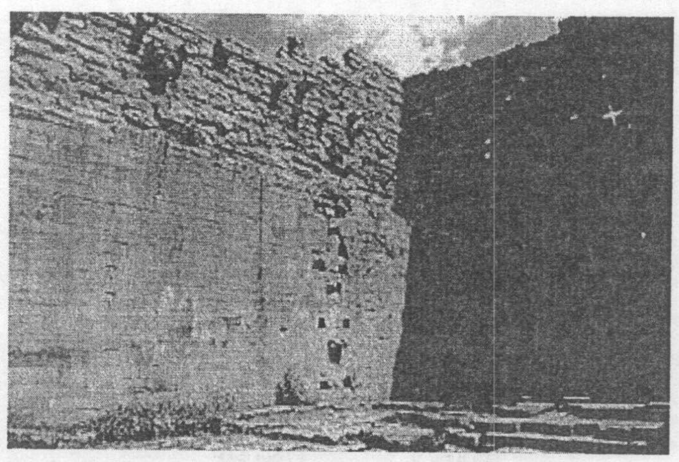


عرش بلقيس "محرم بلقيس" والحقيقة أن لا علاقة لبليقس بالحرم إنما التصقت به التسمية عند العامة – واسمه معبد برأن (برعان) في مأرب .بني في القرن الثامن ق.م. واستمرت العبادة فيه لنحو ١٠٠٠ سنة.





تمثال من البرونز عُثر عليه في معبد المقه مقدم من رجل يدعى "معد يكرب" يعود للقرن السادس ق.م



معبد الإله إل مقه السبئي من الداخل في شمال إثيوبيا

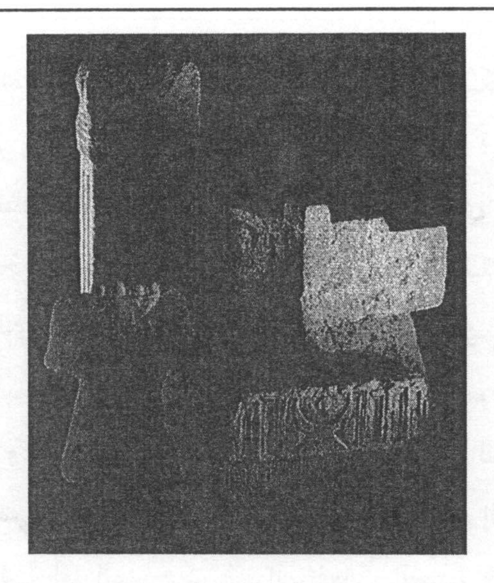


تمثال عثر عليه في قرية الفاو عاصمة مملكة كندة والقرص على الرأس هي إشارة للشمس والوعل الصغير تعد إشارة رمزية للإله عثتر

وقد مرت هذه الإعتقادات التوحيدية بعدة أطوار فقد كان ذو سماوي أو "ذو سموى" بلغة المسند يذكر مقروناً بعدد من الأصنام بداية حتى أصبح إله الأرض والسماء الأوحد، ثم ترسخ التوحيد وأهملت الآلهة الأخرى، وتم تقديم الإله رحمن وحده في صيغ التعبد غير مقرون بآلهة أخرى ولا حتى أقوام أخرين كالمسيح أو رب اليهود وهو مايقلل من فرضية أن التوحيد دخل اليمن بتأثير من اليهود والمسيحيين، حيث أن خصائصها لم توجد في أديان أخرى. إذ عرف الباحثون ديانة الرحمن هذا باسم "التوحيد الحميري" (Himyarite Monotheism).

استطاع الأركيولوجيين معرفة لمحة بسيطة عن معتقدات اليمنيين عن حياة بعد الموت، فقد وجدت عدة مقابر لجثث محنطة موضوعة داخل أكياس من الجلد مع ترك الرأس خارجاً دون تغطيته في مشهد يشبه الولادة، فاعتبر اليمنيون الموت مرحلة لحياة أو ولادة من جديد.

يطلق على المعابد في اليمن لفظة "حرم" و"محرم" وكان يحرم دخولها بملابس متسخة وتمنع النساء من دخولها خلال فترة الحيض، ويظهر أنه كان لليمنيين طقوس تعبدية تدعى "طوف" (طواف) حول الحرم لها علاقة بالطهارة الروحية يعقبه اعتراف بالذنوب للكهنة وتقديم القرابين التي غالباً ماتكون من حيوانات مفضلة للآلهة وهي الوعلان والغنم والخراف والثيران وتقديم القرابين عادة مايكون لغفران الذنوب أو لشكر الآلهة أملا في زيادة عطاياها، واكتشفت عدة حالات تضحية بالبشر وعادة مايكونون من الغرباء عن المملكة الذين يقعون في الأسر.



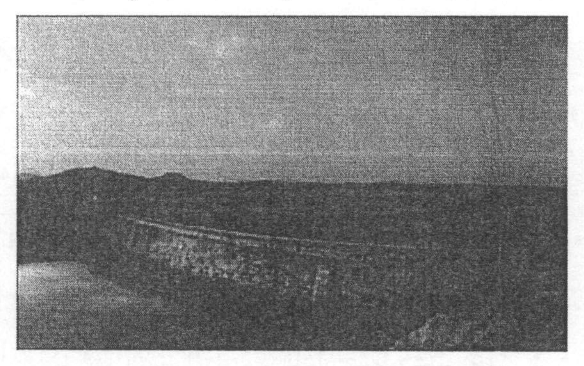
مباخر يمنية قديمة والهلال والنقطة أعلاه تشير إلى الإله سين

* الاقتصاد :

الزراعة والتجارة وبالذات البخور والعطور والطيب لما لها من أهمية عند الشعوب القديمة لمعتقدات متعلقة بطرد الأرواح الشريرة من المنازل والمعابد وماشابهها من الطقوس التعبدية في العالم القديم، وقد استطاع الباحثون الإسهاب في هذا الجانب من تاريخهم أكثر من جوانب أخرى للنصوص المكتشفة المتعلقة بالزراعة وتنظيمها من قوانين كانت تكتب على صخور كبيرة توضع على مدخل السوق إن كانت متعلقة بتجارة أو تحفظ في المعابد ماتعلق الأمر بالضرائب والمزروعات. وقد كانت الزراعة والتجارة عماد الاقتصاد اليمني وكان اليمنيون أكثر من بقية سكان الجزيرة العربية ميلاً وتعلقاً بالزراعة حتى إن الباحثين يعتبرون اللهجات العربية الجنوبية تمتلك ألفاظاً زراعية أكثر بطبيعة الحال من المناطق الصحرواية في وسط الجزيرة أو الصخرية في شمالها ولم يعثر على شي يفيد بتقدم

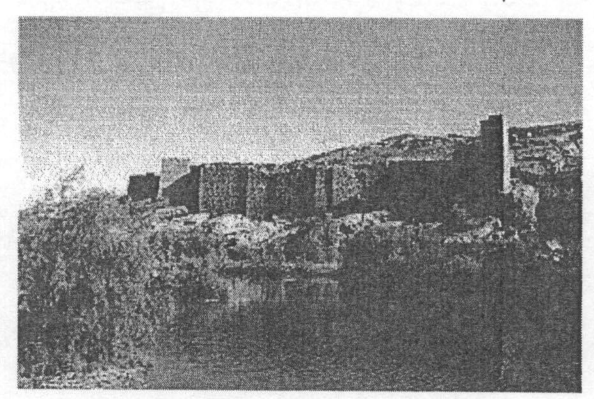
نظام زراعي في المناطق الشرقية للجزيرة العربية رغم أن سكانها مزارعين. وكان لنظام الري وحصر مياه الأمطار أثر كبير في تطور الزراعة في اليمن فقد أبتكر اليمنيون القدماء نظام ري قل نظيره في العالم وأستطاعوا ري الكثير من الأراضي الجدبة وشبه الصحراوية حتى أوصلوا الماء للمرتفعات الجبلية كما يذكر في نقش "كتابة صرواح" الذي خلده ملك سبأ كرب إيل وتر. وكان لهم مصطلحات زراعية مثل "أنخل" ويقصد بها الأرض التي يكثر بها النخل و"موفرن" وتعني الأرض الخصبة الوفراء، وكلمات أخرى مثل "وثن" وهي الحد الفاصل الذي يفصل الممتلكات والأراضي الزراعية من الأحجار، ولايزال اليمنيون إلى اليوم يسمون أي تجمع لحجارة "وثن" أما المدرجات في المرتفعات الجبلية فقد سماها اليمنيون القدماء "جربة" وهي مشاهدة في اليمن وعسير إلى اليوم، وقد اهتم اليمنيون بالزراعة وتظهر الآثار تقدماً في هذا الجانب على أماكن زراعية أخرى في شبه الجزيرة، فبنوا السدود الصغيرة في كل واد وحوطوا المدرجات الجبلية بصخور ومجاري لحصر مياه الأمطار وتوجيهها الجهة التي يريدون عن طريق قنوات من عصور قديمة تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، ولاتوجد أنهار في اليمن فبدأ اليمنيون بالزراعة متأخراً مقارنة بحضارات أخرى في الشرق الأدنى، ووجدت بعض آثار لنظم زراعية تعود ٥٢٠٠ سنة، وإذا إنحبس المطر؛ صلى اليمنيون لآلهتهم طلباً للسقيا، وكان لديهم سقيتان، "سقي خرف ودثا" أي (سقي الخريف والربيع).
وإن أنعمت عليهم الآلهة قدموا لها القرابين شكراً وتقديراً لأفضالها عليهم، ويقال للمطر "ذنم" في اليمن وهو عماد الحياة الاقتصادية فبدونه جدبت أرضهم لعدم وجود أنهار في البلاد كما تقدم وهو سبب الرئيسي للجوءهم للوسائل الصناعية واستخدام أياديهم وعقولهم لحفظ المياه. فحفروا الصهاريج المعروفة باسم "نقب" في حضرموت وتراوحت أعماقها من ثلاثة إلى أربعة أمتار وتوصل بمجاري تحت

الأرض يبلغ طولها عدة كيلومترات لإيصال المياه إلى المزارع والسكن، وبرع اليمنيون في بناء السدود أو "عرمن" (العرم) كما تذكر في اللغة القديمة.



إعادة تصميم لما كان عليه سد مأرب القديم

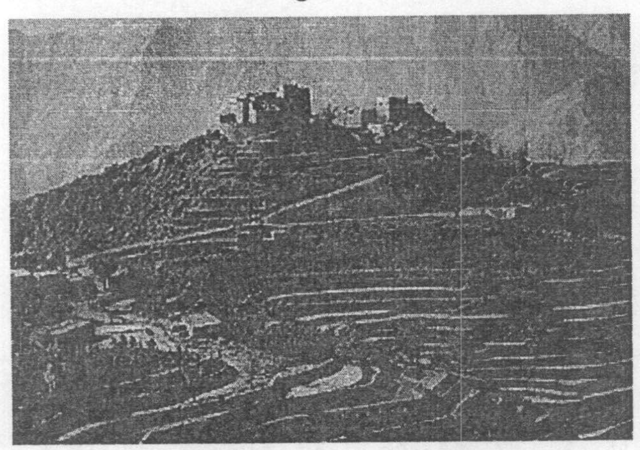
من تصميم جامعة كالغيري والمؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان



بقايا سد مأرب القديم

وكان الملوك يدفعون الأجور للعمال أو "الآدم" وفي حالات عديدة كانوا يستعملون العبيد في حالات الطوارئ، فيعتقد أن سد مأرب بني في القرن الثامن قبل الميلاد، ومر هذا السد بأطوار عديدة وتعرض للتصدع عدة مرات آخرها في العام ٥٧٥ للميلاد، ولم يكن بالإمكان إعادة ترميمه حينها لتردي الأوضاع في

اليمن قبيل الإسلام ووجود القوى الأجنبية في البلاد (الفرس) فانهار السد وجدبت الأراضي التي كان يرويها وأصبحت صحراء قاحلة جدباء. أقام المهندسون اليمنيون في القرن الثامن قبل الميلاد سداً قوياً في الجهة التي تخرج منها السيول إلى المجاري عرف باسم "رحبم" وكان طوله قرابة ٥٧٧ متراً، وكان هذا السد هو حجر الأساس لسد مأرب الكبير الذي أقتطعت حجارته من الجبال ونحتت بإتقان وتم إيصالها ببعض باستخدام قطع من قضبان إسطوانية مصنوعة من الرصاص والنحاس يبلغ طول الواحد منها ١٦ سنتمتراً، وقطرها حوالي الثلاثة سنتمترات ونصف. وذلك بصب المعدن في ثقب الحجر، فإذا جمد وصار على شكل مسمار يوضع الحجر المطابق الذي صمم ليكون فوقه في موضعه بإدخال المسمار في الثقب المعمول في الجهة السفلى من ذلك الحجر، وبذلك يرتبط الحجران بعضهما ببعض برباط قوي محكم. وقد اتخذت هذه الطريقة لشد أزر السد، وليكون في إمكانه الوقوف أمام ضغط الماء وخطر وقوع الزلازل.



حصر الأمطار وإيصال المياه للمرتفعات الجبلية، نظام سبئي قديم وأقدم نقش يشير إليه يعود للقرن السابع للميلاد في كتابة صرواح التي خلدها الملك كربئيل وتر

وقد بنيت الكثير من السدود المشابهة والمتصلة ببعضها البعض وقل مثيل هذه السدود في العالم القديم باستثناء اليمن، فقد تغلب اليمنيون على تضاريس بلادهم وسخروا الطبيعة لخدمتهم.

أما التجارة، فقد نشأ سوق العطور والبخور منذ الألفية الأولى قبل الميلاد على الأقل في منطقة الشرق الأدنى وشمال أفريقيا. وأهمية البخور تكمن في المعتقدات السائدة حينها عن الجن والأشباح والعفاريت إذ كانت مرتبطة بطقوس دينية عند كثير من الشعوب. ولم تكن هذه المحاصيل تزرع إلا في شرق أفريقيا واليمن والهند وهو سبب اهتمام اليمنيين بسواحل أفريقيا كونها مصدر المحصول الأكثر طلباً في العالم القديم. حتى أن الملكة المصرية حتشبسوت حاولت زرع هذه المحاصيل في مصر فلم تستطع، وهناك خلاف بين الباحثين في تحديد مكان بلاد البنط المذكورة في نص دونته هذه الملكة المصرية ويبدو أنها الأرضين الواقعة غرب اليمن وشرق أفريقيا، ويسمى التاجر "مكر" في اللغة القديمة في مقابل "تمكرو" بلغة الآشوريين.

وذكر اليونان قوافل اليمنيين وكيف أنهم كانوا أثري سكان الجزيرة العربية وكانت ثرواتهم مطمع الكثير حتى ذكر في العهد القديم أن السبئيين سيقدمون بالذهب معظمين لملك اليهود المنتظر ، وبغض النظر عن صحة القصة، هي دلالة على اتصال تجاري بين السبئيين واليهود أو العبرانيين فكل الوارد عنهم في كتب اليهود من هذا القبيل وكان السبئيون يشترون العبيد والجواري منهم، ويستدل على ثراء السبئيين نصوص آشورية تشير إلى تلقي ملوك آشور هدايا من الذهب والفضة، قد تكون هدايا أو قد تكون ضريبة تدفعها الحكومات للسماح لتجارها بالإتجار في الأرض المعنية، وكان اليمنيون يسمون آشور "آشر" و"عبر نهرن"، وقد أشير في

التوراة إلى قوافل سبأ، وهي قوافل كانت تسير من العربية الجنوبية مخترقة العربية الغربية إلى فلسطين، فتبيع ما تحمله من سلع هناك. وقد كان السبئيون يسيطرون على العربية الغربية، حتى بلغت حدود مملكتهم أرض فلسطين ويُعتقد أن أهل يثرب كانوا أحد المستوطنات اليمنية التي أنشأها السبئيون على طول الطريق التجارية المحاذية للبحر الأحمر .

وكان لليمنيين تجارة مع مصر القديمة بلا شك حتى إن بعض اليمنيين وأغلب الظن أنهم من "معن مصرن" (مملكة معين المصرية) عمل برتبة "أويب" وأنتخبه كهنة المعبد المصري كاهناً وذلك بالطبع ليضمنوا حصولهم على البخور والمر بأسعار معقولة من اليمنيين وتهرباً من دفع الضرائب واسم هذا الكاهن الغير مصري "زيد إيل" .

رغم ورود كتابات عن سيطرة اليمنيين على سواحل في أفريقيا فإن الوارد عن التجارة البحرية قليل مقارنة بالبرية. كان لحضرموت ارتباط مع الهند وموانئ أهمها ميناء قنا الذي يبعد عن مدينة المكلا قرابة ١٢٠ كيلومتر. ولايمكن للحضارمة أن يصلوا للهند لو لم يكن لهم دراية وخبرة في صنع السفن، ولكن السفن العربية لم تكن بمستوى الرومانية التي بنيت لظنون عند الرومان أن اليمنيين كانوا يملكون أسطولاً بحرياً قوياً كما قال مرافق أيليوس غالوس سترابو فقد كان أغسطس قيصر يعتقد لما رآه من هيئة التجار والقوافل أن السبئيين أهل قتال فأراد السيطرة عليهم فإما يكونوا أصدقاء أو يكونوا خاضعين ولايضطر الرومان لدفع مبالغ طائلة لقاء البضائع كون السبئيون كانوا متحكمين في أسعارها.

تصف نصوص خط المسند التاجر بلفظة "مكر"، والتجار أدنى طبقة حسب السلم الاجتماعي اليمني القديم من الملوك والأقيال رغم أن هؤلاء الأقيال

والملوك كانوا تجاراً كذلك ولم يفهم الباحثون ما إذا كان هناك طبقات بين التجار في المجتمع القديم. كانوا يتاجرون بما تنتجه الأرض من بخور ولبان ومر وكانوا محتكرين لتجارتها في العالم القديم وكانت سبباً لغزو أغسطس قيصر العربية السعيدة بعد عقدة "صداقة" حسب مفاهيم الرومان مع الأنباط؛ وهذا ما قاله سترابو أن: "الإمبراطور أراد السبئيين أن يصبحوا أصدقاءاً لروما وهي ليست صداقة بالمعنى المعروف بل المقصود منها تبعية وخضوع لشروط الرومان والمتاجرة بالبضائع العربية الجنوبية بأرخص الأسعار"، لم يتم حلم الرومان وفنى غالب جيش أيليوس غالوس ووضع الرومان باللائمة على العطش وقلة المياه رغم وفرة المياه الناتجة من السدود وعلى دليلهم النبطي. وللباحثين في العصر الحديث عدة اعتراضات سترابو، فسترابوا جغرافي ولكنه سياسي كذلك، ويأمل الباحثون اكتشاف كتابات بخط المسند تشير إلى هذه الحملة للوقوف على سبب إخفاقها فالنصوص المكتشفة تمثل جزءاً بسيطاً من تاريخ البلاد وعُثر على أغلبه من سياح لا بعثات إسكتشافية منظمة لمعرفة الجانب الآخر من الحكاية خاصة أن الرومان غيروا أسلوبهم في التعامل مع "العربية السعيدة" عقب هذه الحملة وبدأوا بدعم مملكة أكسوم على الضفة المقابلة لليمن بعد حملة رومانية أخرى أخفقت كذلك بقيادة ابن سيبتيموس سيفيروس رغم أنه نجح في ضم في العربية الصخرية أقصى الشمال الغربي دومة الجندل تحديداً.

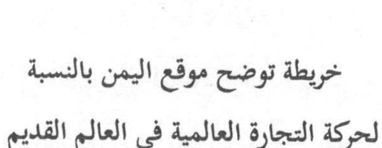
كان السبئيون وكل اليمنيين القدماء يتاجرون بما تنتجه أرضهم ويشترونه من الهند وكانت لهم سيطرة على سواحل أفريقيا كونها أحد مصادر اللبان والبخور كذلك وقد ذكر اليونان أن سيطرتهم كانت تمتد حتى تنزانيا. وردت في العهد القديم عدة نصوص تلمح إلى قوافل السبئيين وتجارتهم منها أنهم سيأتون بالذهب

معظمين لمسيح اليهود المنتظر وهذه النصوص توافق الوارد عنهم في كتب الرومان واليونانيين ماشأنه أنهم تجار بخور وطيب وذهب وأحجار كريمة وعن تواجد سبئي في تيماء وعن سياراتهم (قوافلهم) هذه النصوص عن تواجد سبئي في شمال غرب الجزيرة العربية تؤيدها نصوص آشورية ولكنها كانت مستعمرات تجارية لا أكثر فكل هذه النصوص تشير أنهم كانوا يتاجرون بالطيب والبخور وكلها مزروعات كانوا يأتون بها من اليمن حيث موطنهم فأرض الحجر وتيماء ليست بأراض زراعية، فيُحتمل أن ملكة سبأ الوارد ذكرها في العهد القديم والقرآن الكريم والملك سليمان من ناحية أثرية؛ كانت ملكة على إحدى هذه المستعمرات. الكتاب المقدس لم يذكر طبيعة الأرض التي قدمت منها ولكن القرآن الكريم ذكر أن مسكن سبأ "جنتان عن يمين وشمال" وهي دلالة أنها أرض زراعية واليمن وجنوب الجزيرة بشكل عام أكثر خصوبة من سواها من الأقاليم، ويرجح عدد من الناقدين أن القصة مختلقة بالكامل من كتبة التوراة لإيجاد شاهد أجنبي ثري على ثروة سليمان وحكمته وعظمته، وقد بلغت مملكة سبأ مبلغاً أعظم من أي أثر مكتشف لمملكة قد أقامها العبرانيون أو اليهود ليتعجب أي سبئي من بلاط سليمان عليه السلام أو حاشيته، لم يأخذ إدورد جلازر برأي هومل بشأن ملكة سبأ. وآمن الأثري الأمريكي الراحل ويندل فيليبس أن التنقيب في مأرب وماحولها سيؤدي للعثور عليها إلا أن مهمته التي قام بها في خمسينات القرن العشرين توقفت بسبب تهديدات بالقتل وعاد فيليبس إلى بلاده وتوفي بعدها بفترة قصيرة وبقيت جمعيته التي أسسها المعروفة باسم الجمعية الأمريكية لدراسة الإنسان The American Foundation For The Study of Man تؤدي عملها إلى اليوم.



لوحة من المرمر تظهر مشهداً لثلاثة أشخاص
أحدهم يحمل آلة موسيقية تشبه العود
وفي الأسفل قافلة سبئية على ظهور الجمال





خريطة توضح موقع اليمن بالنسبة
لحركة التجارة العالمية في العالم القديم

وقد أدرك العبرانيون ذلك بوصفهم السبئيين بأنهم أمة بعيدة خلال تهديد يهوه لأهل صور لبنان ببيعهم كعبيد إلى السبئيين "الأمة البعيدة" وهو مايستنبط من خلاله أن مراكز السبئيين الرئيسية لم تكن قريبة منهم وماكان القريب إلا فرعاً أو مستعمرة ودلالة أن السبئيين كانوا من شراة العبيد والرقيق، وهذه نصوص تدل على تجارة السبئيين وإن كان لا ينبغي لها أن تؤخذ حرفياً لما يفسدها من التوجهات الدينية والسياسية المختلفة. أشار اليونان إلى تجار السبئيين وأنهم كانوا يتاجرون بالطيب وله نفس اللفظة في نصوص خط المسند، والذهب والفضة

ويصدرونها لأسواق العراق أو "عبر نهرن" (عبر النهر) كما كان يسميها السبئيين بالإضافة للمر أو "أمرر" في النصوص القديمة والصبر وهذه كلها كانت تنتج في اليمن وشرق أفريقيا. أما المسك والعود فقد كان السبئيون وكل العرب الجنوبيين يستوردونه من الهند إذا كان تجار مملكة حضرموت أكثر اتصالاً بالهند منهم ولهم سيطرة على ظفار، ولا شك أن السبئيين كانوا يشترونه منهم ومن ثم يتاجرون به والعلاقة الاقتصادية بين الممالك الأربعة في اليمن القديم لا تزال غير واضحة إلا أنه في فترات السلم كان هناك تعاون اقتصادي من نوع ما، وقد سار السبئيون وقبلهم المعينيين وفق سياسة توسع تجارية فكانوا يسيطرون على غرب الجزيرة العربية من خلال مستعمرات ومهدوا الطرق للقوافل ووضعوا حراسات على هذه المواضع لحراستها من الأعراب وغالبهم كانوا قطاع طرق، ولا شك أن أهل يثرب كانوا إحدى هذه الأغراس التي غرسها السبئيون على الطريق التجارية وهذا للقوافل المتجهة للشام ومن ثم إلى مصر. أما للقوافل المتجهة نحو العراق فقد مهدوا الطريق من نجران مروراً بنجد حيث مملكة كندة القديمة لحماية القوافل المتجهة للعراق وفارس.

كان هناك صناعات مثل الدباغة والخياطة والحدادة والنجارة؛ فالسبئيون كانوا أهل حاضرة وليسوا أعراباً ولكن لاتوجد دلائل أنهم صدروا مصنوعاتهم للخارج باستثناء الجزيرة العربية حيث ورد في كتب التراث عن جودة السيوف اليمانية وأن بردة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ونعاله كانت من اليمن. ويُطلق على الذهب لفظة "ذهبن" وعلى الفضة "صرفن" في نصوص خط المسند ورغم كتابات اليونان التي وصفت آنية الأكل والشرب عند اليمنين بأنها ذهب وفضة، الغالب أنها مبالغة منهم فقد أُستخدم الرصاص لصنع الأكواب والصحون ونوع من

السيوف كذلك بالإضافة للتجارة والزراعة، فإن موانئ اليمن وبالذات ميناء المخا وعدن كانا من أهم الموانئ في العالم ومصدر دخل مرتفع من الضرائب التي يفرضها السبئيون على السفن وفرصة للتجار للتواصل مع العالم الخارجي وتبادل المنتوجات معهم.



لا زال عدد من الصهاريج القديمة يستخدم في أرياف اليمن وهذا أحدها ويعود للقرن الأول قبل الميلاد ويقع في قرية ثلا في محافظة عمران

* اللغـة :

كان السبئيون يتحدثون باللغة السبئية وهي فرع أو لهجة من العربية الجنوبية القديمة وهي لغة سامية. الأبحاث القديمة في القرن التاسع عشر جعلتها من ضمن اللغات السامية الجنوبية، إلا أن أبحاثاً حديثة تجعلها فرعاً ثالثاً من السامية الوسطى، والمسألة لا زالت موضع نقاش بين المختصين فالتصنيفات الداخلية للغات السامية صعبة عموماً.

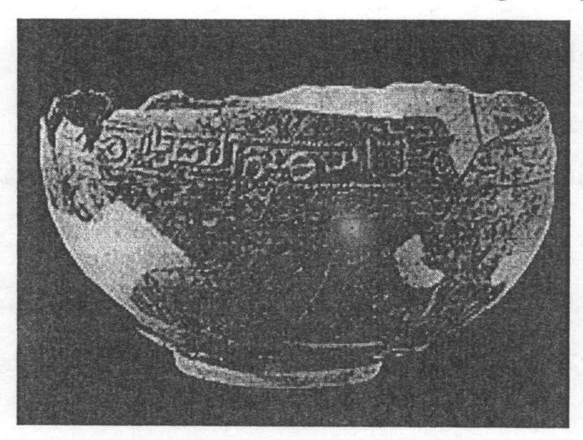
العربية الجنوبية القديمة كانت اللغة المستخدمة في اليمن مع اختلافات بسيطة بين لهجات القبائل فقسمها الباحثون لأربع لغات هي لهجات حقيقة

وهي لغة سبئية ولغة قتبانية ولغة معينية واللغة الحضرمية. أما الحميرية فلا تنتمي لهذا التصنيف. مرت اللغة بعدة أطوار فاللغة المكتشفة على النقوش في القرن التاسع والثامن قبل الميلاد تختلف عن تلك التي كتبت بعد الميلاد فاللغة تتطور ولا تبقى بشكل واحد ودخلت عليها كلمات عبرية وآرامية في فترة ما بعد الميلاد كنتيجة طبيعية للإحتكاك.

كانت اللغة تدون باستخدام نظام كتابة متعلق ولكنه ليس متطوراً عن الأبجدية الفينقية القديمة، فهو يزيد بسبعة حروف عن الفينيقية ودون في نفس الفترة تقريباً (الألف قبل الميلاد) فلم ينبت المسند عن القلم الفينيقي ولكنه نبت من نفس الأصل وهو الأبجدية السينائية الأولية لذلك يعد أحد أقدم الأبجديات في العالم وهو خط الكتابة العربي الأصلي. ولم يطور سكان المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية نظام كتابة خاص بهم فأستعاروه وعند انتشار المسيحية في جزيرة العرب استعاروا أبجدية السريان لإنها أسهل وأبقى اليمنيون على المسند. يعتقد أن استخدام خط المسند بدأ في القرن العاشر قبل الميلاد وتوقف في القرن السادس بعد الميلاد أي أنه كان نظام كتابة مستخدم في اليمن لمدة تزيد عن الألف وخمسمئة سنة من تاريخ البلاد، توقف استخدام القلم (على مايعتقد) قرابة ستين سنة قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والمؤكد أن دخول اليمنيين في الإسلام ساهم في ذلك إذ استبدلت بالأبجدية التي دون بها القرآن الكريم وهي أبجدية نبطية والخط "العربي" اليوم لا يشبه ما كان مدوناً في بدايات الإسلام.

المميز في اللغة العربية الجنوبية القديمة هو تقديمها لأداة التعريف "نون" في آخر الكلمة هو مالم يوجد في أي لغة سامية أخرى، أما مايميز اللهجة السبئية عن باقي اللهجات العربية الجنوبية القديمة هو استخدامها للحرف "هاء" كأفعال

سببية فيقول السبئيون "هحدث" بمعنى "سأفعل" بينما العرب الجنوبيين الآخرين يستعملون الحرف سين.



إناء بكتابة عربية في عصر الدولة الأموية

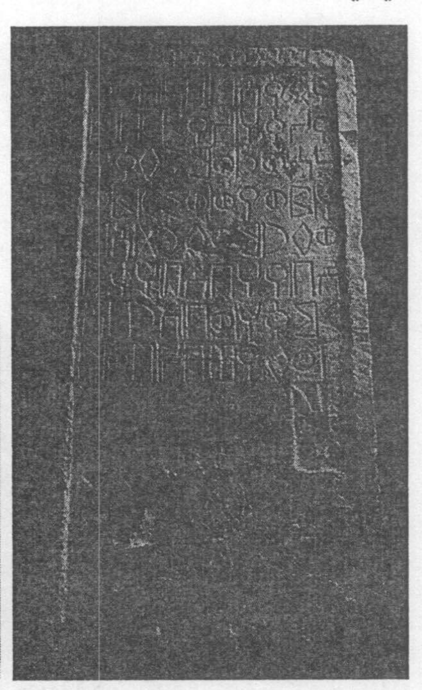
يوضح اختلاف القلم القرآني قديما عما هو عليه اليوم

أما للتدوين فقد كان السبئيون يخلدون ذكراهم بكتابة شواهد باستخدام خط المسند أو "متسندن . م ت س ن د ن " كما كانوا يطلقون عليها. وهي كتابات تتعلق بتقديم القرابين أو لتخليد انتصار وبناء منزل وماشابهها من الأنشطة. أما للمعاملات اليومية فقد استخدموا الزبور أو "زبرن".

الأبجدية العربية الجنوبية القديمة تتكون من تسعة وعشرين حرف ودونت في أوائل الألفية الأولى وهو مايجعلها من أقدم الأبجديات في العالم وعدّها اللغويون أبجدية شقيقة للفينيقية ولم تُقتبس أو تتطور عنها وهي فرع من أبجدية سينائية أولية حسب بعض النظريات.

توقف استخدام النص لم يعني توقف استخدام اللغة فقد تطورت اللغة ويمكن ملاحظة ذلك على لهجات اليمنيين الحالية بل إنه من المؤكد أنه كان

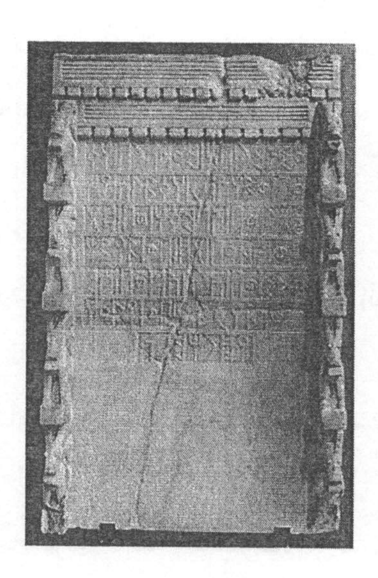
لليمنيين لهجة قبيل الإسلام ويستدل على ذلك كتاب النبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى وائل بن حجر، بل ورد أن بعض أهل اليمن كانوا ينطقون الجيم مصرية في صدر الإسلام ويستبدل الكاف آخر الكلمة فيجعلها شين فيقول "لبيش" يقصد "لبيك ، وبعضهم يقلب أداة التعريف الألف واللام أول الكلمة بألف وميم فيقول "أمبارِح" يقصد البارحة و"أمبر" يقصد "البر"، ويقلب الجيم ياء فيقول "المسيد" ويقصد "المسجد "، ومنها ماورد أن الحارث بن هانئ بن أبي شمر الكندي استلحم (وتعني كثر عليه القتال) يوم ساباط فنادى "ياحكر، ياحكر" يريد بها حجر بن عدي الكندي لمساعدته وكلاهما يمنيان وهي دلالة قدم اللهجات اليمنية.



كتابة سبئية من الفترة المهجورة



كتابة سبئية



رسالة منقوشة على لوح من المرمر تعود لمملكة سبأ، موجهة إلى إلهة القمر، المقه، وتذكر خمسة آلهة أخر، وملكين وحاكمين من جنوب جزيرة العرب. من القرن السابع ق.م.، متحف اللوفر.

كتابة قتبانية

- قسم العلماء اللغة القديمة إلى أربعة أقسام إضافة إلى عدة تفرعات هي:
  - سبئية : من القرن العاشر إلى القرن الأول قبل الميلاد.
  - سبئية وسطى : القرن الأول إلى القرن الرابع بعد الميلاد.
  - هرمية : لغة مملكة هرم وهي ضمن السبئية.
  - سبئية وسطى : المتحدثة وسط اليمن.
  - سبئية جنوبية : لغة ردمان.
  - شبه سبئية (سبئية لاحقة وسبئية زائفة): المتحدثة في نجران وقرية الفاو.

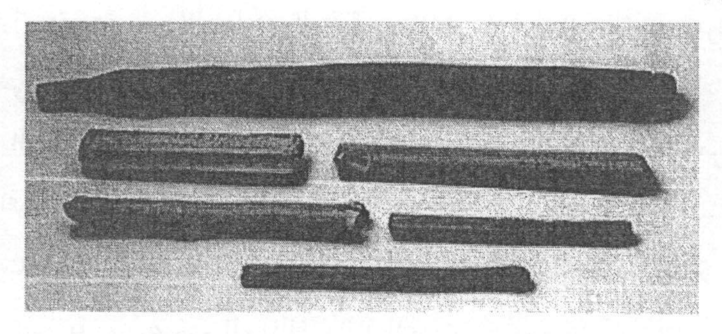
- سبئية متأخرة : من القرن الرابع الميلادي إلى السادس.
- معينية : لغة الجوف والدولة المعينية (من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني للميلاد). النقوش خارج معين توجد في ديدان، ومدائن صالح، وفي مصر، وجزيرة دلوس اليونانية.
- قتبانية : لغة مملكة قتبان من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الثاني للميلاد.
- أوسانية : لغة مملكة أوسان، استعمال قليل جداً (حوالي ٢٥ نقشاً أثرياً، من القرن الثامن إلى القرن الأول قبل الميلاد) لا يختلف شكلها عن القتبانية.
- حضرمية : لغة حضرموت، توجد نصوص اللغة في جزيرة دلوس أيضاً. من القرن الخامس إلى الرابع قبل الميلاد.

أغلب الكتابات المكتشفة وجدت منقوشة على ألواح أو على صخور ولم يعثر على كتابة ورقية بالحبر إلا أن هناك آثاراً تاريخية تشير إلى استعمال الحبر في اليمن ولكن الورق والحبر أدوات سهلة العطب ولاتعيش كالنقش على الأحجار إن لم تولى رعاية خاصة وهناك أمل عند الباحثين أن يتم اكتشافها بزيادة أعمال التنقيب. أغلبها نصوص دينية وتعبدية أو تخليد إنجازات ملك وبناء معبد أو منزل ولم يعثر على كثير من النصوص الأدبية بعد. وكانت القوانين تكتب على صخور كبيرة ليراها العامة.

◄ الزبور :

كان هناك نوع آخر من الكتابة موجود في اليمن يسمى الزبور ولم يكن اليمنيين أميين بل تظهر الآثار قدرة الأعراب من أهل اليمن على القراءة والكتابة، قال المؤرخون العرب أن المقصود بالزبور هو سفر المزامير وأن اليمنيون

كانوا يسمونه زبوراً فغلب على السفر هذه التسمية. الزبور كان الأدعية والصلوات التي يكتبها عوام الناس من اليمنيين يومياً على أسعف النخل أو المصاحف وخلال رحلاتهم التجارية. وتختلف الزبر عن المساند في أنها لاتكتب على ألواح أو صخور كبيرة أي أنها ليست شواهد وليست دينية بالضرورة فقد يكون بعضها يحتوي على أدعية وبعضها إيصالاً أو فاتورة. وكان ماعرف بالجاهليين العرب يعرفون ذلك عن اليمنيين فذكر الزبور باسم زبر كما أن أطفال الحميريين كانوا يستطيعون القراءة والكتابة، فالزبور المذكور في القرآن الكريم لا علاقة له بهذا الزبور فالقرآن الكريم ذكر أنه أنزل على داوود عليه السلام بينما كتابات الزبور عند الحميريين مختلفة وليست متعلقة بداوود بالضرورة، ولكنه وارد فعدد من الحميريين كان يهودياً.



زُبُر مكتشفة في اليمن

* نظام الحكم والمجتمع :

◄ نظام الحكم :

لم يكن للسلطات القديمة نظام متبع، وكان لكل رئيس سلطة محصورة لا يتجاوزها، وإن اضطرته الأحوال إلى الغزو أو الإغارة عاد إلى مقر سلطة، ويدعى هؤلاء الرؤساء بالأذواء أو الأقيال.

• **معنى الأذواء** : هم الرؤساء في اليمن وكانوا يسكنون المحافد وهي عبارة عن قصور مجتمعه يقيم في احدها شيخ أو وجيه أو أمير.

• **معنى الأقيال** : هو أمير يدير شئون عدة محافد واختصاصه أوسع من سلطة الأذواء.

• أشهر المحافد أو القصور : غمدان – صرواح ظفار – شبام – ريام – براقش – عمران...

• أشهر المخاليف : شبوه – مأرب – المعافر – ذي رعين – جيشان – رداع – ذمار – حراز – هوزن.....

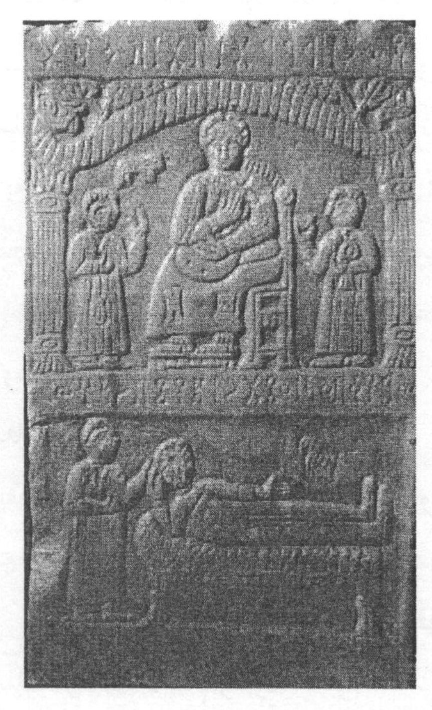
كان نظام الحكم عشائرياً بدأ بالكهنة أو المكاربة ثم إلى الملوك ويعد كربئيل وتر مؤسس المملكة الحقيقي والذي ادعى أن الآلهة أمرته بشن غزواته والتي سيطر من خلالها على مصادر اللبان والبخور ووصل إلى ظفار وثبت نفوذه في الضفة المقابلة في إثيوبيا فإزداد ثراء مملكته وكل ذلك بإيعاز من الآلهة بالطبع، وأقيم نظام يمكن تسميته بفدرالية فقد أوغل كربئيل في القسوة ضد أعدائه ووضع رؤساء على الأراضي التي استولى عليها من مملكة أوسان، لم يكن هؤلاء الرؤساء سبئيين بل من صميم الممالك والإقطاعيات التي دمرها. كما أنه رد أراضي حضرموت وقتبان لملوكها زاعماً أن إلهه المقه أمره بوهبها إلى الإلهين سين وعم وهم أكبر ألهة الحضارم والقتبانيين. في نفس الوقت، أقدم كربئيل على هدم أسوار هذه المدن الممنوحة لهم بينما حرص على تقوية تحصينات مأرب والجوف والإقطاعيات التي سجلها باسم سبأ وباسم قبيلته فيشان. والسبب في ذلك هو ضمان سيطرته على حضرموت وقتبان فلا يقومون بتقوية حصونهم ومن ثم مهاجمته. الملاحظ في طريقة الحكم هو العقلية القبلية الإقطاعية وهو أمر كان

موجوداً في كثير من المجتمعات القديمة وإن كان كربئيل وتر استثنائاً لمن أتى بعده من الملوك. فقد عمد كربئيل على إضعاف زعماء القبائل المنافسة بكل الأشكال واستخدم الإرهاب والقسوة المفرطة لتحقيق ذلك إلا أن أبنائه كانوا أكثر مرونة منه وأسسوا المجالس المحلية المكونة من "ثمينتن" (ثمانية) في كل مقاطعة مهمتها اقتراح القانون وتقديمه للملك نفسه وفي حال الموافقة يدرج اسم الملك وأسماء أعضاء المجلس الذين يكونون من أقيال القبائل عادة في نص القانون. نصوص خط المسند لا تعطي تفصيلاً واضحاً لنظام الحكم والقوانين ولكن استنبط من بعض الكتابات المكتشفة عدداً من الأحكام والشرائع وكلها تدرج اسم الملك وأسماء زعماء القبائل الموافقين على القانون مما يدل على وجود نظام تشريعي من نوع ما لم يقف الباحثون على ماهيته بعد. وهناك إشارات عديدة لضرائب يدفعها ملاك الأراضي والتجار للدولة وهي من أهم الدلائل على الحضارة، فالمجتمعات التي لا تدفع الضرائب لا يمكنها بناء أي حضارة فالضرائب أحد اللبان الأساسية لأي مجتمع متحضر. اليونان كتبوا عن ذلك ولكن لا يمكن الاعتماد على كتابتهم كلياً، فهي أشبه بقصص السياح والتجار ولم تكن بتمحيص وتدقيق وقد تتعرض للمبالغات أو الأخطاء، إلا أن سترابو ذكر أن هناك قانوناً صارماً يمنع تغيير المهن وأن كل عائلة أو طبقة ملزمة بوظيفة ما، فالمزراع لا يمكن أن يكون تاجراً على سبيل المثال ويسري هذا القانون على أبنائه وفقا لسترابو، ولا شك أن النظام كان ملكياً وقد يشرك الملك أبنائه أو إخوته في الحكم ولا يجد حرجاً في تدوينهم لكتابات يصفون فيها أنفسهم بملوك أو مكارب سبأ ولكنهم كانوا يحسبون حساباً لأقيال القبائل فتركوا لهم تسيير شئون مقاطعتهم بل وردت نصوص تظهر ضعفاً من بعض الملوك اتجاههم.

وكانت الدولة تضم قبائل عديدة وتُعرف القبيلة في نصوص خط المسند باسم "شعب" فذُكرت ألفاظ من قبيل "سبأ وأشعب وهمو" وتعني سبأ وقبائلهم، وكان المجتمع طبقياً بامتياز فهناك الكهنة وهم غالب الملوك، ثم موظفي الدولة المقربين منهم كالمسؤول عن الضرائب في المعبد ويشاركهم المنزلة زعماء القبائل ويشار للزعماء أو المشايخ أو "أبعل" أو "أسود" وكلها صيغ جمع لمصطلحات قيل وبعل وسيد، ثم بقية الشعب ويقال لهم "جوم"، والجيم تنطق مصرية في لغة السبئيين. وأدنى طبقة كانوا العبيد ويشار لهم بلفظة "آدم" أو "عبد". وكان الملك محصوراً في أسر معينة ولا عبرة لما ورد في كتب النسابة وأهل الأخبار أن الملوك في اليمن كانوا لا يتجاوزون مخاليفهم وقد قصدوا بذلك الأذواء وهم من عظم شأنهم في عصور متأخرة قبيل الإسلام على حساب مركز الدولة، أما الأصل في نظام الحكم فقد كان الملكية التي تورث للأبناء أو الإخوة يليهم هؤلاء المشايخ والأذواء بشكل عام.

◄ المجتمع :

عاش الشعب اليمني القديم في قرى زراعية ومدن صغيرة تحيط بها جدران دفاعية. وقد اكتشف علماء الآثار الفرنسيون أن المنازل المتعدد الطوابق تشبه المنازل التي ينظر إليها في اليمن اليوم. في أوقات مختلفة عبر التاريخ القديم، قد تشكل القبائل تحالفات قوية وتطيح بالأسر الحاكمة وتم تشكيل اتحاد كونفدرالي سبأ، قتبان، مملكة معين، وحضرموت. كان السبئيون يستعملون تقويماً شمسياً للزراعة، إذ كانوا يزرعون ويحصدون في شهور معينة ويدفعون الضرائب للدولة في مواسم ثابتة وأسماء الشهور لديهم كانت متصلة بحالة الجو واستعملوا تقويماً قمرياً للأمور التجارية.



منحوتة سبئية لامرأة اسمها "غليلات" على شاهد قبرها وفيه دعاء للإله عثتر بتدمير كل من يحاول تخريب الصورة. وفي الشاهد مايساعد على فهم طبيعة المجتمع من العبيد والخدم حولها والكراسي التي كان يستخدمها السبئيون وتصميمها ويظهر من هيئتها أنها كانت امرأة ثرية كما يظهر من الخدم حولها في كلا الصورتين

التباين الطبقي هو الأكثر وضوحا في اليمن في العصور القديمة وإلى اليوم من مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية وذلك لعوامل عديدة أهمها نمط الاستقرار الذي يعيشه أغلب قبائل اليمن مقابل البداوة والترحال في مناطق أخرى، ووجود نظم وحكومات في العربية الجنوبية وعمل أهلها بالتجارة من عصور قديمة؛ هذا لا يعني عدم وجود الطبقية عند أهل البادية (الذين يشكلون جزءاً معقولاً من قبائل اليمن) بل هي موجودة ولكنها ليست بنفس التباين والوضوح، فقد كان المكرب أعلى طبقة اجتماعية في البلاد ولم يحكم منفرداً لوجود مكاربة

آخرين لاينظرون لأنفسهم بدرجة أقل. وكما يتضح من نقوش خط المسند، فقد يتشارك في حكم المملكة أكثر من مكرب تصل إلى ثلاثة مكاربة في وقت واحد. يليهم طبقة اسمها "أبعل" و"أسود" وأدق ترجمة لها هي أرباب وسادة ومفردها "بعل" وهم سادة المجتمع وصفوته وأشرافه ووجهاء أقوامهم وأستخدمت لذكر بيوت من همدان قبل تولي أسر منها الحكم في سبأ، وأستخدمت لوصف زعماء كندة وخولان كذلك وهي ليست مقتصرة على قبيلة بعينها بل تعني الزعماء الذين يتزعمون أكثر من قبيلة ولديهم أراضي وإقطاعيات واسعة. يشاركهم هذه المنزلة الأقيال وهم ملاك إقطاعيون ممن يمتلك أراض كثيرة ولها نفس معنى أبعل بالضبط، وطبقة اسمها الأذواء وهم أشراف وسادة ولكنهم ليسوا ملوكاً فنجد عبارات مثل "ذو يزن" ومعناها رئيس أو صاحب بيت يزن فهو شريف ولكنه ليس بدرجة المكرب أو الملك، وطبقة الأقرام ومفردها "قرم" وتعني شجاع. وقد لاتكون طبقة بقدر ماهي لفظة تعظيم إذ كان اليمنيون يحرصون على ذكر علية القوم بلفظة تعظيم في نقوشهم. ووجود سادة وأقيال و"أبعل" سيقابله طبقات معدمة محرومة بلا شك كنتيجة طبيعية، ويقال لهذه الفئات بلغة المسند "قطن" و"آدم" و"صغرم". كان هناك طبقة الجنود والمقاتلين ويشار إليهم في النصوص بلفظة "أسدم" والميم في آخر الأعلام هي أداة التنكير في العربية الجنوبية والنون في آخرها وهي مقابل ال التعريف. إلا أن اليونان اعتبروهم أعلى طبقة. تليهم طبقة أخرى وهم شذاذ القبائل والمرتزقة وكان يستعملهم الملوك والإقطاعيون إلى جانب طبقة المحاربين. وكانت هناك طبقة من المزارعين ويقال لهؤلاء "قسدن" وجمعهم "قسود" وهم مزارعون يعملون لقاء أجر للأقيال والأذواء ومفروض عليهم الخدمة العسكرية والقتال عند وقوع الحرب. وكون التجار وأصحاب القوافل طبقة خاصة بهم وعرفوا باسم "مكر" في نصوص المسند وهم دون الأقيال والأبعل ولكنهم مهمين وعماد

اقتصادي للبلاد بسبب الضرائب التي كانوا يدفعونها لخزينة الدولة. أدنى الطبقات كانوا العبيد ويشار إليهم بألفاظ "عبدن" و"عبدم" و"آدم" وكلمة "أمت" للإماء. أما المواطنون وغالب الشعب وعوام الناس يقال لهم "جوم" وهي مرادف قوم لإن الجيم تنطق كاف في العربية الجنوبية القديمة أو "أخمس" وكلمة أخمس تحدد وطن الشخص لإن كلمة "جوم" وجدت مقرونة بآلهة فيقال "جوم مقه" أو "جوم عشتر" وهي آلهة تتشارك عدد من الأقوام في تقديسها فلا يستدل بها على مملكة الشخص عكس كلمة "أخمس" فيقال في النصوص "أخمس معن" وتعني مواطني معين. وتستعمل كلمة "شعبن" و"شعبم" كذلك وهي أقرب لقبيلة. وتختلف المصطلحات من مملكة لأخرى، فالسبئيون كانوا يطلقون كلمة ملك على ملوك المقاطعات التابعة لهم أما المعينيين فكنوا يستعملون كلمة "كبر" (كبير) لوصفهم وهم المسؤولون عن المقاطعات البعيدة ويقومون مقام حاكم الولاية.

* التشريعات والقوانين :

كان في كل مقاطعة مجلس مكون من ثمانية أعضاء أو "ثمينتن" باللغة القديمة مهمة المجلس الإشراف على الشئون الزراعية وتمويل المزارعين عند الحاجة بحصص من خزينة الدولة وجمع الضرائب من المزارعين وسن المعبد قانوناً ينص عقوبة على المزارعين الذين يتركون أعمالهم. ولم يكن الملوك يستبدون بآرائهم إذ يستنبط من نصوص المسند وجود مجالس محلية لكل مدينة، ولا شك أن أعضاء هذه المجالس كانوا من الأقيال والأذواء وهم مقربين من الملك ويحسب لهم حساب فيترك الملك شئون مقاطعتهم لهم ومايرونه أصلح فاختلفت القوانين من مقاطعة لأخرى. وجاء ذكر ذلك في القرآن وعن كيفية إستشارة بلقيس للملأ وهؤلاء الملأ هم أعضاء وممثلي هذه المجالس المحلية وإن لم يعثر

لهذه الملكة أثر حتى اللحظة. تقلص دور هذه المجالس وقضي عليه تماماً في عصر ملك الحميريين. ولم تكن مهام هذه المجالس مقصورة على الزراعة وإن كانت أهم الموارد الاقتصادية بل يتعداها إلى اقتراح قوانين العقوبات وقوانين تنظيم التجارة وتقوم هذه المجالس بتقديم إقتراحاتها إلى الملك الذي له القرار النهائي بإنفاذ القانون من رده، ودرجت العادة على إدراج اسم الملك وأسماء أعضاء المجلس الموافقين على القانون لتأكيد شرعيته.

وكانت هناك مجالس خاصة لأصحاب الحرف والصناع لايعرف عدد أعضائها إلا أن الملك لايقضي بقانون يخصهم دون إستشارتهم وإدراج أسمائهم في نص القانون المتعلق بصناعتهم، ورد في نقوش المسند أن شمر يهرعش سنَّ عدد من القوانين تنظم بيع وشراء العبيد والمواشي. فيتم البيع بعد شهر ويحق للمشتري إعادة ما اشتراه خلال عشرة أيام. وإذا اشترى حيواناً ولم يهلك لمدة أسبوع وجب على المشتري دفع الثمن كاملاً ويحق له إعادته إذا نفق الحيوان خلال هذا الأسبوع ولايحق له الاعتراض بعدها. الملك لا يتدخل إلا في الأمور المتعلقة بالضرائب والقرارات الكبيرة المؤثرة أما قوانين الزواج والميراث فتركت لأهل المجالس والمعبد، فورد عن نص يقضي قانوناً يسمح لمواطني معين بالزواج والتصاهر مع أبناء مملكة ديدان التابعة لهم ولم يورد اسم الملك في القانون.

كانت عقوبة القاتل هي الإعدام بالسيف فلم يعرفوا غيرها ولاتوجد دلائل مكتشفة على استعمالهم وسائل أخرى كالرجم والصلب وغيرها من وسائل الإعدام عند الأمم الأخرى كاليهود والرومان أو الخنق والذي مارسه المناذرة تأثراً بالفرس بالطبع، إلا إذا رضي ذوي المقتول بدية، فإن لم يعثر على ذويه سألوا عن أقرب الناس له، ولم تحدد قيمة الدية إلا أن نصاً سبئياً يعود للقرن الثامن قبل الميلاد أمر

قبيلة القاتل بدفع مئتان (لايعرف ماهي هاتان المائتان بالضبط) لخزينة المعبد لقاء دم مقتول من طبقة "آدم" وهي طبقة دنيا. ويلاحظ أن عقوبة القتل لم تطبق على القاتل لإنه من طبقة مرموقة أما المقتول فكان من صغار الناس والمساكين فأكتفى الكهنة بتغريم أهل المجرم. ومنعت القوانين أصحاب الحق من ذوي المقتول أخذ حقهم بأياديهم بل تفرض عليهم عقوبات إذا ماقاموا بذلك، فالمجالس وقرار الملك كفيل بتنفيذ العقوبات.

أما عقوبة الثورة والخروج على حكم الملك فهي القتل والقرار النهائي والأخير ليس بيد القاضي بل بيد رأس الدولة، فوردت نصوص عن عفو يصدره الملوك اتجاه الآخرين ومما يدل على الطبيعة الكهنوتية لنظام الحكم في العربية الجنوبية، هو اشتراط الملك أن يقدم المعفو عنه قرباناً في المعبد وأن يسأل الآلهة أن يغفروا له تعديه على الملك. فاعتبر الخروج على الحاكم خروج على الآلهة نفسها. وبالفعل وردت نقوش مكتشفة في المعابد عن توبة هؤلاء الثائرين وتبرئهم من "الذنوب" التي إرتكبوها. وتم بناء السجون لإيداع المجرمين والثائرين وكانت مباني محصنة ومسورة يشرف عليها الجنود وكان هناك عقوبات لاتستحق السجن مثل الذين يتهربون من دفع الضرائب وكانت عقوبتهم خمسين جلدة في مكان عام. كانت التضحية بالبشر والفتيات (الوَأْد) رائجاً لفترة في اليمن القديم ولكن أُكتشفت كتابة سبئية تقر قانوناً يمنع وأد البنات.

* الفـن :

الفن اليمني بدأ مع نشوء الحضارات في الألفية الثانية قبل الميلاد وكان إلى القرن الخامس قبل الميلاد نقيا من عوامل خارجية حتى بدأ التأثير اليوناني يظهر جلياً على طريقة الصناع والنحاتين في جنوب شبه الجزيرة العربية على رأي

بعض المستشرقين. الفنون ليست بتعقيد اليونانية والرومانية التي تحرص على إبراز جمال الأجسام وكمالها وهو مالم يظهر في العربية الجنوبية فقلل المؤرخ جواد علي من التأثير اليوناني المزعوم. فهناك أعمال تتشابه مع تلك اليونانية لكن غالب الأعمال هي انعكاس لثقافة يمنية بحتة والتأثيرات الخارجية تحدث لكل الأمم.

المنحوتات :

التماثيل والمنحوتات السبئية تختلف عن الحميرية أو القتبانية إلى حد ما. بشكل عام الفن اليمني القديم كله متشابه خلا بعض الاختلافات في الأساليب. وقد كتب عدد من المستشرقين أن الفنون كانت متأثرة باليونان ومرد ذلك فحصهم لعدد من التماثيل المكتشفة أغلبها حميري وقتباني وهي تشبه التماثيل اليونانية كثيراً، ولكن المكتشف قليل ولايفيد بتكوين صورة مكتملة عن الفنون اليمنية القديمة، فبعضها يشبه اليونانيين بالفعل ولكن غالبه انعكاس لثقافتهم .

وقد كان الفن يخدم أغراضاً عديدة، منها تمثيل للملوك وغالبها يوجد قرب المعابد وصور لكهنة وفلاحين ومقاتلين وراقصات كذلك وهي لها دلالات مهمة على واقع الحياة والثقافة في ذلك المجتمع القديم، ومزيداً من الاكتشافات سيساعد على رسم صورة صحيحة ودقيقة عنهم، فاليمن لم يحظى بنفس القدر من الأبحاث كالذي حظت به بلاد أخرى ومعظم الأبحاث كانت فردية ومن قبل سياح، فلا زال الغموض يحيط بهذا الجانب ولم يتسرع الباحثون بإطلاق الأحكام على الفنون في اليمن القديم. كان غالب المنحوتات مصنوع من البرونز وحجر الجير وعدد بسيط أُستخدم فيه الذهب والفضة. واستخدم البلاستيك والصمغ لتمثيل الشعر وهو سبب فقدان بعض التماثيل لشعر رأسها فالصمغ والبلاستيك لا يصمدان طويلاً. اختلفت الأعمال باختلاف الصانع وطبقة الشخصية المنحوتة؛

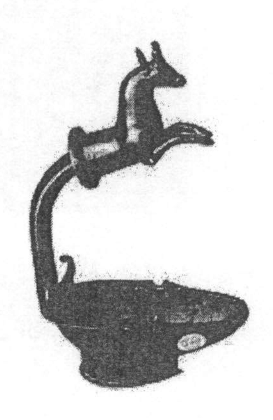
فالأعمال المصورة للفلاحين والمزارعين البسطاء كانت بسيطة ومتواضعة، أما الأعمال المصورة لطبقات ثرية فتظهر دقة عالية. عمل النحاتون في اليمن على الحفر على الحجر أو المرمر فكانوا ينقشون الصور أو الآثار التي يريدون تخليدها على سطح المادة المحفور عليها. هناك تماثيل تظهر رجالاً متقلدين لخناجر على أوساطهم ولا زالت هذه العادة في الملبس متواجدة إلى اليوم عند رجال القبائل وأُستنبط من التماثيل أن بعض السبئيين كان يحلق لحيته ويبقي على الشارب. وقد كان السبئيون يعبرون عن شعر الوجه بنقط صغيرة وعن الشعر الأجعد بخوذة على الرأس مثل تمثال "معد يكرب" الذي يعود للقرن السادس قبل الميلاد، فهو يظهر رجلاً بمرتبة اجتماعية كبيرة أحاط القسم العلوي من جسده بيدين من جلد أسد وعبر عن اللحية بنقط على وجهه لا يُستطاع رؤيتها من بعيد وكان الرجل كاتم أسرار الملك، ويظهر من التماثيل أن السبئيين كانوا يرتدون نعالاً ثقيلة وسميكة وتختلف الأزياء باختلاف الطبقة.

استعمل السبئيون الأحجار الكريمة لارتدائها كخواتم لليد بعد تزيينها بكتابات بخط المسند ولختم الوثائق والمستندات الرسمية، وقاموا بنحت الأحجار لصنع الكراسي والأسرة وإن ذكر اليونان أنها ذهب وفضة فالغالب أنها مبالغة منهم، واستعملوا البرونز لصناعة المصابيح التي تضاء بالزيت وحرصوا على إقحام رموزهم الدينية فيها، وقد ظهر اختلاف في المنحوتات عزاه بعض الباحثين إلى احتمالية أن يكون الصناع عبيداً جُلبوا من مناطق مختلفة بدلالة ظهور مؤثرات يونانية ومصرية وفارسية على طريقة الصناع فلم يكن كل النحاتة يمنيين. وقد لا يكونون عبيداً بالضرورة فشعوب كثيرة استقرت باليمن خلال أيام ازدهارها وافتتحوا

لهم مشاغل في البلاد أبرزهم اليونان مثل النحاث اليوناني "فوكاس" والذي عاش في اليمن آخر القرن الثاني للميلاد ولم يكن عبداً بل كان نحاتاً مقرباً من الملك.

استخدم البلاستيك بالإضافة إلى البرونز والذهب والمرمر والرخام كثيراً واستخدمت الأحجار لنحت الأسرة والكراسي، والذهب والفضة آنية للأكل والشرب. وكانت المشكلة التي تواجه النحاتين هو عدم قدرتهم على إبراز ملامح الإنسان بشكل واضح، وبالطبع اختلفت الأعمال باختلاف الفنان فنجد أعمال دقيقة مصورة لكهنة وأناس من الطبقات الثرية وبعض الأعمال لمزارعين ونحاتين بسطاء لم تكن بنفس الجودة. الأعمال المصنوعة من البرونز والرخام والمرمر أكثر دقة وواقعية من النقود. إذ فشل النحاتون في إظهار صورة الملوك جيداً على العملات لذلك تجد كثيراً من العملات هي نسخ حرفي لعملات يونانية ورومانية مع استبدال الحروف في العملة بحروف عربية جنوبية. لا توجد أعداد كثيرة لتماثيل كبيرة مصورة لبشر؛ فعدد كبير من التماثيل الكبيرة مكسور وغير واضح المعالم باستثناء مابقي مطموراً تحت الأرض واكتشف حديثاً فلم تصل إليه أيدي العابثين.

وكان اليمنيون يحرصون على إقحام رموزهم الدينية في المصنوعات فيزينون المباخر والمصابيح التي تضاء بالزيت بصور لـ (وعول وثيران) هي تمثل إلمقه وعثتر وأستطاع الباحثون استنباط بعض جوانب الحياة اليومية لليمنيين من المنحوتات المصورة للناس وكونوا فكرة عن اللباس الذي كان يرتدونه وهو لايختلف كثيراً عما يرتديه اليمنيون اليوم، وعثر على نقوش مصورة لنمط الحياة لمختلف الطبقات منها نقوش لنساء ثريات وهي كثيرة ومنها نقوش لتصوير إحتفالات وتصوير لنساء راقصات وآلات موسيقية ومقاتلين ومزارعين وكل طبقات المجتمع من المكرب إلى "الآدم" وتكمن أهمية هذه الأعمال في تصوير وضع الحياة في اليمن.



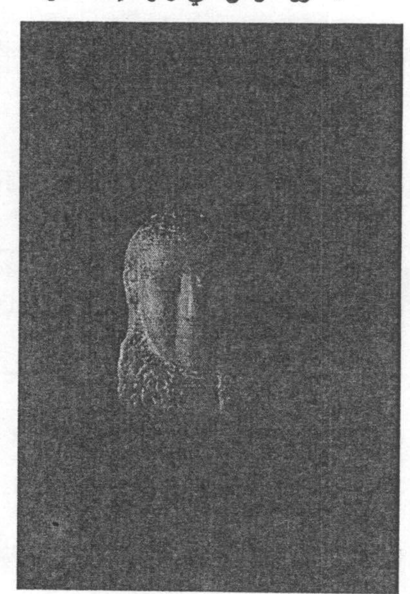
مصباح سبئي وقد حرص الصانع على تزيينه

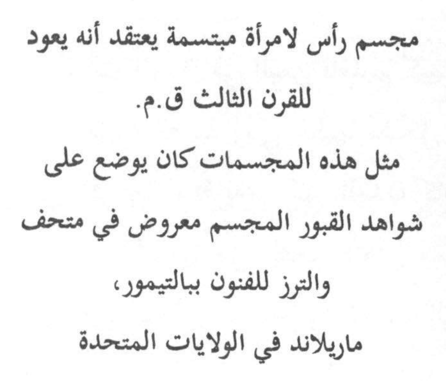
بصورة لوعل هي رمز الإله عشتر



تمثال من البرونز لامرأة تحمل بخوراً

ومشعلا من الزيت في مأرب





مجسم رأس لامرأة مبتسمة يعتقد أنه يعود

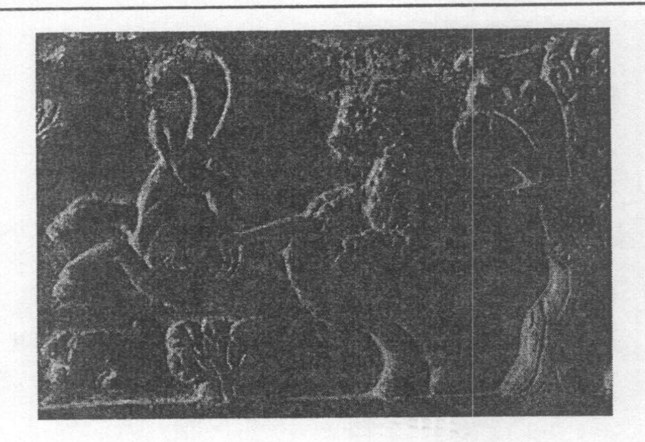
للقرن الثالث ق.م.

مثل هذه المجسمات كان يوضع على

شواهد القبور المجسم معروض في متحف

والترز للفنون ببالتيمور،

ماريلاند في الولايات المتحدة



جزء من سطح معمد لمبنى قديم يعود للقرن الخامس ق.م يظهر فهداً يهاجم غزالا.

جزء من اللوحة كُسر وآخر أُحرق بسبب الحربعام ١٩٦٢

العمارة :

صنعاء القديمة، من فحص المواقع الأثارية ووصوف مؤلف الإكليل لمباني كانت لازالت باقية على أيامه يتضح أن الطراز المعماري اليمني لم يتغير كثيراً عما كان عليه أيام التاريخ القديم وعدد من البيوت بصنعاء يحمل جدراناً عليها كتابات بخط المسند.

كانت المدن في اليمن القديم كبيرة نسبياً مقارنة بغيرها من المستوطنات في شبه الجزيرة العربية وبُني غالبها بشكل مستطيل وتسمى المدينة "هِجَر" وهي أكبر من "قريتن" (القرية). كل المدن كانت مسورة وعليها أربعة أبراج وبابان متقابلان تفتح أبوابها من الفجر وتغلق مع مغيب الشمس مع بعض استثناءات للعواصم حيث يصل عدد أبواب المدينة إلى ستة أو سبع ويبنى بجانب كل باب برجان حراسة يسهر الجنود على مراقبتها ليلا ونهار، وهذا بالنسبة للأبواب الرئيسية والتي كانت تؤدي إلى ساحة مسورة كذلك بها غرف للجنود ومن ثم باب

إضافي يؤدي إلى المدينة أُستخدم الرخام لبناء أعمدة القصور والمحافد وصقلت الصخور بجعل نهايتها متطابقة ليسهل إنطباقها وقاموا بنقر الرخام بالرصاص والحديد لتربط بين القطع فيصمد البناء أمداً طويلاً ولا يسقط. أقيمت الأعمدة على قواعد أكبر منها وصب فيها الرصاص لتقوية الدعائم وقد حرص المعماريون على إخفاء هذه القواعد بتزيينها برسومات لـ (وعول أو ثيران وحيوانات) لها دلالة دينية عندهم، وقد تعمد المعماريون جعل الجدران الخارجية أقرب إلى واجهة الجدران الداخلية في أعالي البناء من القواعد، فتكون المسافة بين الجدارين عند السقف أقرب وأقصر منها عند القاعدة وذلك لأغراض اقتصادية للتقليل من استهلاك مواد البناء. وتتكون الأعمدة من ثمانية أو ستة عشر ضلعاً تتكون تيجانها من ست درجات، ثلاث منها على هيئة نصف أسطوانة بطونها إلى الخارج وقاعدتها العمود، وثلاث على هيئة صفائح مستطيلة ذات ستة عشر ضلعاً. وهذا الطراز المعماري الموجود في القصور القديمة يمثل طابعاً عربياً جنوبياً أصيلاً لم يتأثر بالخارج ولكن مع ذلك فقد أخذ السبئيون بعض الخصائص المعمارية من الشعوب التي إتصلوا بها مثل اليونان والمصريين ووجدت آثار محاولات لمحاكاة الطراز المعماري في تلك المناطق.

وقد لاحظ الآثريون من فحص لمواقع قديمة أنهم استخدموا حجارة منحوتة بأشكال مربعة لتبليط المدن وقاموا بتبليط الطرق التي تصل المدن ببعضها البعض منها طريق يصل بعضها لأربعة أو خمسة أميال، وكانت الطرق داخل المدن مرصوفة بحجارة منحوتة، وضعت فوق بعضها وأُستخدم الجبس لتثبيتها وعُثر على آثار لاستخدام الإسفلت. العمارة في اليمن القديم وطراز البناء لايختلف كثيراً عن ماهو ظاهر اليوم في اليمن على الأبنية، هناك اختلاف بلا شك ولكن من فحص

المواقع الأثرية ووصوف بعض كتب التراث لمباني وقصور في اليمن، يتضح أن الطراز المعماري اليمني القديم هو نفسه مايُشاهد على أبنية البيوت في صنعاء. وقد تعرضت الكثير من المباني الأثرية القديمة كقصر غمدان وقصر ذي يهر وقصر ريدان للهدم والإحراق في العصور الإسلامية إما لبناء أبنية جديدة أو لهدف التخريب كما فعل القرامطة بقصر ذي يهر القديم .

كان غالب البيوت يتألف من ثلاثة إلى خمسة طوابق كما استنبط علماء الآثار من دراستهم لعمق الحفر التي بنيت عليها البيوت. ويوجد جهة أو باحة خلفية لكل بيت تسميها نصوص خط المسند حسب اختلاف اللهجات، فالسبئيون سموها "خلفتن" (خلفية) ووجد بها آثار لزراعة ويطلق على النوافذ لفظة "مصبح" كونها الجهة التي يدخل منها النور. أما الزجاج الملون الذي يوضع مكان بعض النوافذ فسماه السبئيون "مولج" ولا زال اليمنيون يستخدمونه ويسمونه "التخريم" وللسلالم التي تقود للطبقات العليا لفظة "علوه" في نصوص خط المسند، أغلب البيوت بُني باستخدام الحجارة بعد نحتها ويتم تثبيتها باستخدام الجبس ومادة "الزلت" ويُعتقد أنها الزفت والرصاص. ويشار للسقف بلفظة "مسقف" عند السبئيين. وتُغطى الجدران الداخلية للمنازل بأخشاب عليها رسومات بدلالة دينية كصور للوعول أو الثيران وتُسمى الزخرفة والتزيين "موسم" بلغة السبئيين، وعثر الآثريون على آثار لزيوت طُليت فجوات الحجارة لتقليل الرطوبة وتسرب الماء لداخل البيت وكان الملوك والطبقات الثرية والتجار يكسون أعمدة بيوتهم وأبوابهم ذهبا وفضة. عدد من المبان والقصور القديمة أصبح مساجد مثل قصر غمدان والذي أصبح يُعرف بالجامع الكبير وجامع الجند في تعز فهذه المبان لم تبنى بوصول الإسلام إلى اليمن فالملاحظ فيها هو تشابهها مع

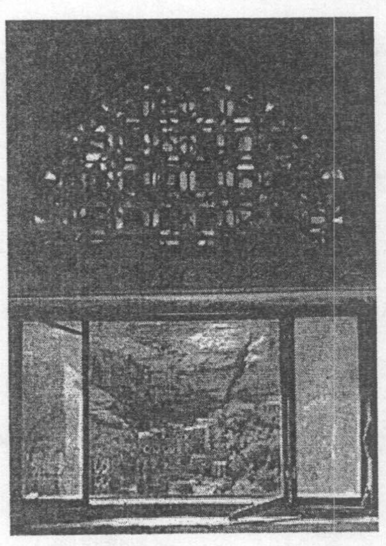
أبنية المعابد القديمة، مبان قليلة للغاية تمت دراستها، فأبحاث حديثة وأوسع قد تغير الاستنتاجات الحالية بشأن العمارة اليمنية القديمة.

كان اليمنيون بنائون ومرد ذلك أنهم أهل حاضرة ومساكنهم ثابتة مستقرة حتى الأعراب وأهل الوبر منهم كان لديهم منازل تصنع من الديباج ليست بتعقيد وثبات المدن إلا أنها ليست خياماً. واللغة العربية الجنوبية تمتلك ألفاظاً متعلقة بالبناء أكثر من تلك التي أستخدمت في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية. كانت الحجارة المادة الأساسية لبناء البيوت في اليمن القديم باستثناء باستثناء المناطق الساحلية التي كان البنائون فيها يستخدمون الطوب.

ومن فحص المواقع الأثرية القديمة ووصوف بعض أهل الأخبار مثل الهمداني لمعالم وقصور قديمة في اليمن كانت لا زالت باقية على أيامه، يتضح أن الطراز المعماري في اليمن القديم لايختلف كثيراً عما هو باد اليوم في صنعاء القديمة، وللأسف فإن الكثير من المباني القديمة هدمت وأخذت حجارتها لبناء بيوت جديدة عبر عصور مختلفة. كانت هناك عادة في اليمن وهي نقش اسم البناء أو مالك المبنى مع ذكر اسم الإله تيمناً به في شاهد يوضع أمام البيت أو المعبد ومن هذه الكتابات أخذ الباحثون جل معرفتهم بتاريخ اليمن القديم. تحفر الحفر على حسب طول البناء المراد بنائه وتوضع الصخور والطين والأسفلت أو "زلتن" (الزلت) كما هو في اللغة القديمة وتخلط بالماء وتترك إلى أن تجف ثم تبنى الجدران القوية باستخدام مادة النورة ويطلى الجدار الخارجي للمنزل بينما يزين الداخلي بنقوش غالباً ما تكون لحيوانات كالوعول والثيران.

وتتكون المباني من ثلاث إلى خمسة طوابق في الغالب وكان هناك استثنائات لقصور الملوك ويشار إلى السلالم التي تقود إلى الطوابق العليا بلفظة

"علوه" في اللغة القديمة ، أما السقف فهو "ظلل" و"مسقف" ويبنى بنفس الأدوات التي تستخدم لبناء الجدران ، وبنيت النوافذ وكانت تصنع من الزجاج الملون بعدة ألوان مختلفة لإضاءة المنازل، ولا تزال هذه العادة موجودة إلى اليوم وتسمى باللغة القديمة "مصبح" ويطلق على النور "صبحت" ويطلق على البناء العالي المرتفع كلمة "صرحن" (الصرح) باللغة القديمة.



"التخريم" أو "مولجم" في نصوص خط المسند

فن معماري قديم لايزال يشاهد في البيوت اليمنية التقليدية

أما الأبراج والقلاع والحصون فعرفت باسم "محفدن" (المحفد) في نقوش خط المسند وتبنى باستخدام حجر البلق القديم وتحوط بخنادق عادة وهي أشبه بثكنات عسكرية ليتحصن بها الجنود. كثير من البيوت في صنعاء تعود إلى فترة التاريخ القديم بدلالة وجود كتابات بخط المسند منقوشة على الجدران العليا للبيوت، فإما أن البيوت تعود للتاريخ القديم أو أن حجارة المباني القديمة أُستخدمت لبناء بيوت جديدة.

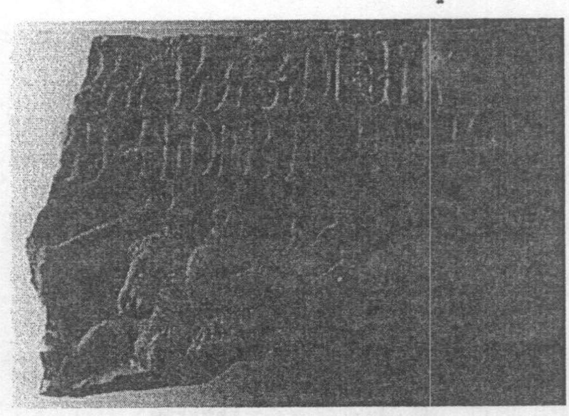
* الجيش :

يسمي السبئيون الحرب بألفاظ "حرب" و"ضرو" و"غزت" و"هغر" (بمعنى سيغير) ويصفون المعركة بلفظة "حربت" (حربة) و"حريب" لوصف مجموعة من المعارك ولفظة "تأدم" بمعنى استعد للقتال، ويقال للحملة "مسبأ " أما الجيش فيشار إليه في النصوص السبئية بلفظة "خمس" و"عسكر" و"أجيش" أما المعسكر فيصفه السبئيون بلفظة "حيرت" (حيرة) ليس من الواضح بعد ما إذا كان لذلك علاقة بمملكة الحيرة. يتولى إدارة الجيش أناس معينين من الملك ويقال لهم "مقتوى ملكن" (ضابط أو قائد الملك) وللجنود التابعين للدولة لفظة "أسدم ملكن" في نصوص المسند، فكلمة "أسد" بمعنى جندي عندهم ويقصد بها القوات النظامية التابعة للملك فقد كان الأقيال والسادة يستعملون قواتهم الخاصة فتضاف العبارة لتمييز جنود الدولة عن غيرهم من المقاتلين والمرتزقة الذين يعملون للطبقات الثرية. ولقائد منطقة معينة "آمر" (أمير) أما قيادة مقدمة الجيش فيقال له "مقدم" كان لزعماء القبائل قواتهم الخاصة من المرتزقة ويسمي السبئيين المقاتلين الغير مدربين "قاسد" وهم المقاتلين الذين يضطرون للقتال ثم يعودون لمزاولة أعمالهم من زراعة وتجارة.

كانت القوات مخصصة ومدربة على قتال الأعراب تحديداً كونهم الأقرب إلى اليمن فتعلم اليمنيون كيفية قتالهم فلم تكن جيوش اليمن جيوش توسعيّة بل هدفها الرئيسي هو تأمين الطريق التجارية من غزوات الأعراب على المتاع، ويستدل على الطبيعة الدفاعية للجيوش كثرة النصوص الواردة عن تسوير المدن التي تغلق أبوابها ليلاً ويسهر على مراقبتها جنود على الأبراج أو المحافد. وهدف بناء هذه الأسوار والأبواب هو لمنع دخول أو خروج أي أحد دون دراية الجنود، وهي نفس

التنظيمات التي أستخدمت في الممالك الأخرى المتصلة باليمن في قرية الفاو وديدان ويثرب. ويشار إلى الحصون بلفظة "تمنع" عند السبئيين و"مصنعت" (مصنعة) عند الحميريين وقد اشتهرت المصانع الحميرية ولا زالت آثار بعضها باقية مثل "مصنعة مارية" في ذمار ولا يزال اليمنيون يسمون الحصون باسم "مصنعة" ولفظة "نفوت" كذلك وهي نفس اللفظة المستخدمة في اللغة العبرية.

أما الحراس على الأبراج فيطلق عليهم "مسجة" بلغة السبئيين أو "مسكت" ومفردهم "مسكم" وتعني الماسك، أما الكتائب الصغيرة ذات النظام العشري يطلق عليها لفظة "منسرة" في اللغة القديمة وهي قوات مدربة على تعقب الأعراب في الصحراء، فكل "منسرة" لاتقل عن خمسة مقاتلين ولاتتجاوز المئة؛ ومرد ذلك مقاتلة الأعراب بطريقتهم في الفر والكر والغزو على دفعات لإيهام العدو أن مددهم لا ينقطع، ونجح هذا الأسلوب في تعقب الأعراب الذين يغزون القوافل أو يحاولون التطاول عبر أسوار المدن لإن الأعراب يقاتلون بهذه الطريقة فإن وجدوا صبرا من الجيش المعادي فروا من أرض المعركة ويقال لعمليات هذه القوات "غزتس منسرت" في اللغة القديمة.



جزء من لوحة مكسورة يظهر مقاتل على فرس ممسكا درعا وخلفه أحد المشاة بفأس ودرع

واستعمل السبئيون الخيول ويشار إلى راكبها بلفظة "فرس" (فارس) أما المقاتل على ظهور الجمال فيقال له "ركب" (راكب أو ركبان) وكان لديهم آلات ودبابات ولكنهم لم يستعملوها ضد الأعراب بل لقتال الممالك الأخرى أو لشن حملات عسكرية أو "برث" بلغة المسند ضد ممالك أخرى منظمة، وقد تكون هذه القوات مجموعة من الفلول تعرف باسم "أحزب" (عصابات) مهمتها إشغال العدو من عدة جهات فيتفرق الجيش المعادي ويسهل على الغزاة اختراقه، واستعمل الجنود الحواجز أو "حجزت" لإعاقة تقدم الأعداء وحصارهم في المضايق ثم مهاجمتهم بالسهام من الأعالي، يقود الملوك جيوشهم أحياناً كما كان من كرب إيل وتر وشمر يهرعش، ولكن الغالب أن مهمة قيادة الجيش توكل إلى شخص برتبة "مقتوى" أو "قاسد" وهي رتب عسكرية لقادة الجيش أو الكتائب، ويشار إلى النصر بكلمة "شرح" في اللغة القديمة ويظهر هذا الفعل بكثرة في الأسماء مثل اسم شراحيل وهي "شرح إيل" أي نصر الإله إيل، أما الهزيمة فهي "ضويم"، أما الغنائم فهي "غنمت" حسب كتابات المسند، وكانوا يستعملون أدلاء يشار إليهم بلفظة "دليل" وجمعهم "دلول" مهمتهم جمع المعلومات عن الطريق الموصلة لمواقع الأعداء ويقال لقائد مقدمة الجيش "قدم" (مقدم) .

رغم الوارد عن سيطرة حميرية على سواحل أفريقيا الشرقية فإن علم الباحثين بقوات بحرية ضئيل ويستبعد أنه كان للحميريين أساطيل قوية كتلك التي كانت موجودة عند الرومان وأغلب الظن أنهم أستطاعوا التوغل في أفريقيا عن طريق قوارب صغيرة تحمل المقاتلين فالمسافة بين باب المندب وأفريقيا ليست بعيدة. الملاحظ في تركيبة الجيش هو اعتمادهم على "التجميع" فلا توجد دلائل أن هناك تدريبات نظامية أو قوات مستعدة للقتال في أي لحظة كانت موجودة

باستثناء تلك التابعة للملك، فوجود المرتزقة والقوات التابعة لأقيال وزعماء القبائل شكل مايشبه قوى الضغط على الحكومة. فلم يهتم الملوك بإنشاء قوات مدربة لموقع اليمن الجغرافي فلم تكن هناك حاجة لليمنيين بالتوجه شمالاً والإقتتال مع ممالك أخرى والسيطرة على سواحل أفريقيا المجاورة أو مناطق في الصحراء العربية لم يكن بحاجة إلى جهد كبير منهم فهي بلاد غير متطورة بالقياس معهم في تلك الأزمان، فأكتفى الملوك بجمع وحشر القبائل والمرتزقة والعبيد لإخماد الثورات أو الاقتتال مع ممالك مجاورة للسيطرة على الطريق التجارية. فعند تطوير الرومان لأساطيلهم البحرية واكتشافهم للرياح الموسمية، فقد اليمنيون سيطرتهم على سواحل أفريقيا في القرن الأول بعد الميلاد لإن الملوك اهتموا بالتجارة فحسب عكس الرومان واضرابهم، ولا زال نظام كهذا يتبع في اليمن حيث تعتمد الحكومة على القبائل والتحالفات في كثير من حروبها إلى جانب القوات الرسمية ولكن كحال اليمن القديم، فإن ولاء هذه القبائل لايكون إلى جانب الحكومة دائما.

العصر الثاني :

في أواخر العصر الأول، وخاصة في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، أتى على أهل اليمن حين من الدهر قللوا فيه من اهتمامهم بالزراعة، واعتمدوا كثيراً على الرخاء الذي تدره عليهم القوافل التجارية، وغلب عليهم التنافس على المال والجاه، فأصبح في اليمن خمس دول في آن واحد هي سبأ وقتبان ومعين وحضرموت وحمير، أصبحت عواصمها باستثناء حمير أشبه ما تكون بدول مدن القوافل التي يخضع ازدهارها وسقوطها للأوضاع التجارية والأطماع السياسية، كما حدث للبتراء ولتدمر والحضر في شمال الجزيرة.

وتمكن البطالمة الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك من التعرف على أسرار الملاحة في البحر الأحمر ومواقيت حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي، فشرعوا يتجرون بحراً دون وساطة اليمنيين الذين كانوا يسيطرون على طريق اللبان البري وتحول النشاط التجاري بين حوض البحر المتوسط وحوض المحيط الهندي تدريجياً من الطريق البري إلى الطريق البحري، فبدأ يخف عطاء الطريق البري وتأثرت به الدول اليمنية القديمة كثيراً، مما أضعف من قوتها وأنقص هيبتها، فطمع بها الناس دولاً وقبائل، فكانت حملة أليوس جالوس الرومانية التي أخفقت عند أسوار مأرب عام ٢٢٤ ق.م، في محاولة للسيطرة على الطريق البري والاستيلاء على بلاد اللبان.

كما طمعت القبائل البدوية المنتقلة في الصحراء بحواضر الدول اليمنية ومحطاتها التجارية، خاصة بعد أن تضرر أهل البادية أنفسهم نتيجة نقص مواردهم التي كانوا يجنونها من الطريق كجمالة أو حماة قوافل، فكانوا يهاجمون المحطات والمدن كلما مسهم جوع وآنسوا من تلك المدن ضعفاً، وساعدهم على ذلك اتخاذهم الفرس سلاحاً فعالاً في غزواتهم حيث كانوا ينقضون بسرعة وقوة على ثغور تلك الدول ثم يعودون فارين إلى قلب الصحراء مما اضطر كثيراً من سكان الوديان على أطراف الصحراء إلى هجر ديارهم والاحتماء بالمرتفعات في الداخل.

وقد ساعد هذا الوضع على نمو قوة جديدة هي حمير التي حاولت الاستفادة من انتعاش الملاحة والتجارة على البحر الأحمر، فأقامت لها موانئ عليه وبنت لها أسطولاً، وكانت حمير آخر دول اليمن القديم ظهوراً، ويرجح أن ذلك اقترن ببداية التقويم المعروف بالتقويم الحميري الذي يبدأ حوالي ١١٥ق.م، كما

أسست عاصمتها ظفار في قلب المرتفعات اليمنية بعيداً عن الصحراء وهجمات البدو، وذلك في قاع الحقل بسند جبل ريدان .

كما ازدهرت مدن الهضبة اليمنية في القيعان، بعد أن كانت مدن الوديان الشرقية تحجب عنها المكانة والسمعة، وزادت سلطة الأقيال بعد أن قلت هيبة هؤلاء من منافسة السلطة التقليدية فيها، وإعلان نفسه ملكاً على سبأ، ودخلت اليمن في فترة من الصراع على اللقب الملكي في سبأ، وهو صراع وإن أشبه صراع ملوك الطوائف، إلا أنه كان تعبيراً عن الانتماء المشترك والوحدة عبر حرص الملوك جميعاً وخاصة ملك حمير في ظفار- آخر دول اليمن القديم كما أسلفنا – على أن يكون لقبه ملك سبأ وحمير ملك سبأ وذي ريدان ومثله كان بنو همدان في ناعط وبنو بتع في حاز وبنو مرثد في شبام وذو جرة في نِعض بالإضافة إلى سبأ في مأرب وقتبان في تمنع وحضرموت في شبوة.

وكانت دولة معين في هذا العصر قد انتهت وضمت إلى سبأ في القرن الأول قبل الميلاد وبدأ الضعف يدب في قتبان خاصة تحت ضربات دولة حضرموت، منذ مطلع القرن الأول الميلادي، ثم ما لبثت أن انتهت في القرن الثاني الميلادي، وضم ما تبقى منها إلى حضرموت، وفي القرن نفسه انتهى حكم الأسرة التقليدية السبئية في مأرب، علماً بأن مأرب نفسها لم تفقد أهميتها كعاصمة أو مدينة حينذاك.

ومما زاد في الصراع حدة بروز دولة أكسوم في الحبشة وهي الدولة التي قامت نتيجة استيطان يمني دام قروناً هناك، وساعد انتعاش الملاحة في البحر الأحمر على ازدهارها، ودخلت مع حكام اليمن في صراع أو تحالف حسب ما تقتضيه ظروفها، على أن فترة النزاع ما لبثت أن تبلورت في محاولة توحيد السلطة

وإقامة دولة مركزية واحدة، وكان أول من قام بهذه المحاولة الملك شَعِر أوتر بن علهان نهفان الذي حمل لقب ملك سبأ وذي ريدان، واتخذ من مأرب عاصمة له ومد نفوذه إلى كثير من بقاع اليمن بما فيها حضرموت، وذلك في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد، كما حاولت ظفار ومأرب توحيد قواهما ضد الحبشة، بل وتوحيد السلطة إبان حكم الملك الشهير إل شَرَحْ يحضب الذي شاركه الحكم أخوه يأزل بيِّن وكان ذلك في أواخر النصف الأول من القرن الثالث الميلادي.

وفي الربع الأخير من القرن الثالث انتهت حضرموت كدولة على يد شَمّر يهرعش بن ياسر يهنعم، وهو الملك الذي تنسب إليه الأخبار كثيراً من البطولات والأمجاد، بل هو من أبرز الشخصيات الملحمية في قصص أهل اليمن، وقد استطاع هذا الملك أن يوحد الكيانين السياسيين الباقيين وهما: سبأ وحمير في كيان واحد، وأقام حكماً مركزياً قوياً وحمل لقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وانتهت مأرب كعاصمة وحلت محلها ظفار، وقد عرفت هذه الفترة التي تبدأ بتوحيد المناطق اليمنية في وطن واحد وسلطة مركزية واحدة عاصمتها ظفار بفترة حمير، وهي الفترة التي بقيت ذكراها عالقة في أذهان الناس، وتناقل الرواة أخبارها قبل الإسلام أكثر من أية فترة سابقة في تاريخ اليمن القديم.

ويذكر نقش يمني أن عامل شَمّر يهرعش في صعدة ريمان ذو حزفر اشترك في عدة حملات وجهها هذا الملك شمالاً، ثم استمر غازياً، أو في سرية حتى بلغ أرض تنوخ، وتنوخ هو اتحاد القبائل العربية الذي كان أساس ما عرف بعد ذلك بدولة اللخميين في الحيرة، ويبدو أن امرؤ القيس بن عمرو من مؤسسي تلك الدولة – كان ممن وقف في سبيل تلك الحملة اليمنية، ويذكر نقش النمارة الذي عثر عليه على قبر امرئ القيس أنه قام بحملات عسكرية باتجاه جنوب الجزيرة

بلغت نجران مدينة شمر، ويشهد نقش عامل شمر يهرعش على أن كل شبه الجزيرة العربية كانت امتداداً حيوياً للدولة اليمنية حيث لا حدود إلا حدود القوة والتمكن، ويؤكد ذلك أيضاً الحملات العسكرية المظفرة التي شنها خلفاء شمر يهرعش في منتصف القرن الرابع الميلادي في نجد والبحرين على الساحل الغربي للخليج العربي.

وقد كشفت الدولة الساسانية عن أطماعها في جزيرة العرب من خلال غزوات سابور ذي الأكتاف التي فصلها الطبري في تاريخه، ويعتقد أنها حدثت في هذه الفترة نفسها.

وفي نقش يمني آخر عثر عليه في عَبَدان منذ عهد قريب يدون أقيال حمير من الأيزون أخبار حملتهم العسكرية في منتصف القرن الرابع الميلادي وتمثل هذه الحملات اندفاع الحميريين نحو الشمال بعد الأحداث السابقة بزمن يسير، وأهم حملات الحميريين التي يذكرها النقش هي تلك التي بلغت مناطق اليمامة والبحرين شرق الجزيرة وأرض الأزد (أزد عمان) ومناطق قبائل معد ونزار وغسان.

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي تولى الحكم أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهأمن المشهور بأسعد الكامل، ويعكس لقبه سعة نفوذ دولة حمير في عهده داخل شبه الجزيرة العربية، فهو ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طوداً وتهامة، أما الطود فهو الحجاز كما يذكر ابن المجاور، وتهامة هي كل الساحل الشرقي للبحر الأحمر، أي أن جميع الأعراب وهم القبائل البدوية في المشرق والحجاز وتهامة خضعت لحكمه، وكان اتحاد كندة في وسط الجزيرة مملكة تابعة له أيضاً، بل هناك من المؤرخين من يرى أن هذا الملك وهو يضيف

إلى لقبه أنه ملك الأعراب في الطود والتهائم، إنما أراد أن يقول أنه أصبح ملكاً للجزيرة العربية كلها، وفي وادي مأسل الجُمْح بنجد قرب الدّاودمي، عثر على نقش باسم أبى كرب أسعد، يذكر أنه حل غازياً مع ابنه حسّان يهأمن في أرض معد وذلك يوافق ما ورد في كتب التاريخ والأخبار، كما تروي الأخبار أنه مر بيثرب المدينة واعتنق الديانة اليهودية ومر بمكة وكسا الكعبة المشرف.

والمعروف أنه لم يعثر على نقوش وثنية من عهده وعهد من خلفه، وكانت قبل ذلك كثيرة الانتشار ويقال: إن الناس في اليمن بدأوا يهجرون عبادة الأصنام، فمنهم من دخل اليهودية ومنهم من دخل النصرانية، ومنهم من بقي على وثنيته.

ويرى أهل العلم أن أسعد الكامل هذا هو المشار إليه بقوله تعالى (....أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) الدخان/٣٧، وقد ارتبط بذكر أبى كرب أسعد كثير من الأخبار والأقاصيص تشكل في مجملها ملحمة تاريخية تمجد أعماله وفتوحاته داخل اليمن وخارجه، وتنسب إليه عدداً من المدن التاريخية اليمنية مثل ظفار وبينون وغيمان وخمر وغيرها، وما زال الناس إلى اليوم ينسبون إليه الكثير من بقايا الآثار القديمة مثل السدود و"الجروف" و"الكرواف" والطرق وغيرها، بل إن كل ما تقادم العهد عليه، فهو عند بعضهم أسعدي، كقولهم عادي أو من صنعة قوم عاد لكل ما هو قديم عامة. وكان سد مأرب خلال عمره الطويل يتصدع بين الحين والآخر لأسباب عديدة منها : السيول الكبيرة التي تنتج عن أمطار غزيرة وفيضانات، مما يدخل عموماً في الكوارث الطبيعية، ومنها الزلازل، ومنها الإهمال، وضعف السلطة المركزية . وقد جرت العادة أن يهب الناس عندما يحدث ذلك إلى مكان السد بغية العمل والتعاون في إصلاح ما تهدم منه، وتتولى تنسيق عملهم وتمويلهم سلطة مركزية قوية تجمع الإرادة وتحشد الإمكانات اللازمة، كما حدث في عهد شرحبيل

يعفر عام ٤٥٠م ، وفي عهد أبرهة عام ٥٤٢ م ، والذي تمكن ومن معه من أهل اليمن من إصلاحه، ودُوِّن ذلك في نقش كبير فصلت فيه نفقات إصلاحه، والجموع التي شاركت فيه وذكرت فيه أيضا الوفود الأجنبية من فارس والروم والغساسنة والمناذرة التي وصلت للمشاركة في الحفل الذي أقيم بتلك المناسبة، غير أن تفجر السد الأكبر والأخير لم يكن عادياً، بل كان خارقاً للعادة، وكارثة كبرى أتت على معظم بنيان السد، وجرفت معظم منشآت الجنتين، فكان أن شُلَّ نظام الري بأجمعه، وبدلت صورة الحياة في تلك الأرض تماماً، وقد ذكر القرآن الكريم العبرة الإلهية والسبب في ذلك، في قوله تعالى : ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سورة سبأ/١٦.

وبدأت الحضارة في الاندثار بعد تصدع سد مأرب، والذي لم يعد يؤدي غرضه، وفاضت المياه على ما حوله من القرى والمدن، والمزارع، واضطر السكان إلى الهجرة إلى البلدان القريبة والبعيدة. ويرجح أن يكون تفجر السد النهائي قد وقع في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وبعده حدث النزوح لأهل اليمن باتجاه الشمال حيث أسسوا لهم هناك مستقرات جديدة كما فعل الأوس والخزرج في يثرب وهم فرع من الأزد، أو كما فعل فرع آخر من الأزد في جهات حوران من بلاد الشام وأسس دولة الغساسنة ،كما كان هناك المناذرة باتجاه العراق، وقد لعبت كل تلك المستقرات اليمنية دوراً في صياغة الشخصية العربية بعدئذ لكل شبه الجزيرة العربية.

ومع بداية مسلسل عدم الاستقرار عبر التاريخ وفي عهد الدولة الحميرية اليمنية؛ دخلت اليمن مسرح صراع جديد قوامه صراع الديانات الوافدة، فغدت

اليمن موضع تنافس بين دولة الفرس (الساسانيين) ودولة الروم وعلى أثر هذا التنافس بين القوى الخارجية الطامعة، بدأت اليمن تعاني عدم الاستقرار.

فقد عمد الرومان إلى إدخال الدين المسيحي إلى اليمن ليكون لهم نفوذ سياسي واقتصادي، فيها فأصبحت تجارة الرومان تسير بين الخليج العربي والبحر الأحمر مارة باليمن كما انتشرت الديانة اليهودية، على أثر لجوء اليهود الفارين من اضطهاد الرومان سنة ٧٠م، وعندما اشتد نفوذ اليهود في اليمن اظهروا روح الانتقام من النصارى الرومان العابرين بالبضائع من الهند إلى الحبشة ومصر.

وكان آخر من حكم من ملوك حمير قبل دخول الحبشة إلى اليمن عام ٥٢٥ للميلاد رجل اسمه أسأر يثأر من العائلة اليزنية، واشتهر بذي نواس، ويقال إنه تسمى يوسف بعد أن اعتنق اليهودية، ربما كرد فعل لتغلغل النفوذ الروماني عبر المسيحية التي كانت نجران قلعة من قلاعها، وكان أهل الحبشة يدينون بالنصرانية، ويشرفون على النشاط المسيحي في اليمن، حيث دان أقوام بالمسيحية منذ أن دخلت إليه في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي، ومن أولئك نصارى نجران.

وكان النفوذ الحبشي قد اشتد في اليمن، فاشتبك ذو نواس معهم في معارك طاحنة، كانت الغلبة فيها أول الأمر لذي نواس، حيث ألحق بهم الهزائم تلو الهزائم، وانتهت بحرق كنائسهم وتعقبهم في كل مكان، ولم يشأ أهل نجران أن يتركوا دينهم ويعتنقوا بدلاً منه دين ملكهم، فما كان من هذا الملك والذي كان يعتنق الدين اليهودي بقسوة مع المسيحيين إلا أن دمر كنائسهم وأحرقها وقتل المؤمنين منهم عندما رفضوا التحول من المسيحية إلى اليهودية، فحفر لهم أخدوداً وألقاهم فيه وأشعل النيران فيهم، ويجد المرء ما يوافق تلك الحادثة في سورة البروج من القرآن الكريم، وانسحب الأحباش بعد هزائمهم في تلك المعارك

ليعودوا من جديد بعد سنوات لغزو اليمن وتمكنوا بمساعدة إمبراطور الروم من إلحاق الهزيمة بذي نواس واحتلال اليمن، وكان ذلك عام ٥٢٥ للميلاد .

وكان الفرس يساندون اليهود في موقفهم من النصارى، بينما اعتمد النصارى على مساندة الرومان لهم، ولما بلغ الإمبراطور البيزنطي بما حدث بالمسيحيين في اليمن، حرض نجاشي الحبشة على غزو اليمن، بهدف إعادة السيطرة على الطرق التجارية، والقضاء على منافسيه الفرس فأقدم الأحباش على غزو اليمن سنة ٥٣٣ م ، وسيطروا عليها، وتولى القائد أرياط الحكم بعد أن قضى على الملك ذو نواس الحميري، وظل "ارياط" يحكم اليمن حتى ثار عليه بعض أتباعه لعدم عدالته في توزيع الغنائم، وولي اليمن نيابة عن نجاشي الحبشة شخص يدعى أبرهة عام ٥٣٥م وهو الذي تهدم سد مأرب في زمنه – كما أسلفنا – وأصلحه، والذي خرج عن الدولة الاكسومية، في الحبشة وأعلن نفسه ملكاً على اليمن وانفرد بالحكم بها ولقب نفسه ملك (سبأ – وريدان– وحضرموت– وعرب النجاد – وعرب تهامة) .

لكن أبرهة استبد بالأمر في اليمن (بعد خلع طاعة النجاشي) وسمى نفسه ملكاً على اليمن، وقام بغزوات عديدة لإخضاع القبائل المتمردة عليه في الداخل، وبأخرى لمد نفوذه في الجزيرة، وعمل أبرهه الحبشي على نشر الديانة المسيحية في الجزيرة العربية، وعمد إلى بناء كعبة في صنعاء تسمى (القليس) ليحج العرب إليها بدلاً عن مكة، مما أدى إلى استياء العرب فقاموا بتدنيس القليس ورميها بالقاذورات، مما دفع بأبرهه الحبشي إلى غزو مكة عام ٥٧٠م.

على أنه مما بقي عالقاً في أذهان أهل اليمن وتواتر أخبارهم قصة حملة أبرهة الفاشلة على مكة، وهي الحملة التي قصد منها هدم الكعبة واتخاذ القليس

في صنعاء كعبة يحج إليها الناس بدلاً منها، وقد أشار القرآن إلى هذه القصة في سورة الفيل. على أن دولته لم تدم طويلاً إذ أن الفرس بدأوا يتحينون الفرصة للسيطرة على اليمن في إطار صراعهم الطويل مع الروم، وتنافس الطرفان على كسب مناطق نفوذ لهما، فكان أن أرسل الملك الساساني عن طريق ملوك الحيرة قوات فارسية إلى اليمن، تمكنت بالتعاون مع قائد يمني من ذي يزن اشتهر باسم سيف من تقويض نفوذ الأحباش في اليمن وطردهم.

تدخل الفرس : وبعد انتهاء حكم أبرهه على اليمن خلفه ابنه أكسوم، ثم مسروق والذي في عهده تنامت روح العداوة عند اليمنيين للوجود الحبشي، وتطلع اليمنيون إلى عون الفرس، للتحرر من الإحتلال الحبشي لبلادهم، ففي هذه المرحلة من مراحل التاريخ في اليمن، ظهر الصراع بين جبهتين تستمد كل منهما العون من الخارج، الجبهة الأولى هم المسيحيون والأحباش يستمدون العون من البيزنطيين، والجبهة الثانية، اليمنيون الوثنيون واليهود، ويستمدون العون من الفرس، واشتدت المقاومة من القبائل اليمنية ضد الأحباش، واستنجد القائد سيف بن ذي يزن بالفرس ليساندوه، في إخراج الاحتلال الحبشي، والذي سار إلى كسرى (أنوشرون) الذي أمده بجيش من نزلاء السجون بهدف التخلص من النزلاء في حال إخفاقهم، وامتداد نفوذ سلطانه إلي اليمن في حال انتصروا على الأحباش، واستطاع سيف بن ذي يزن بمساندة الفرس على طرد الأحباش، إلا أن اليمن في تلك المرحلة من مراحل التاريخ لم يستقر ولم ينعم بالاستقلال، حيث نصب كسرى سيف بن ذي يزن والياً على اليمن وأمره بدفع الجزية، لتكون اليمن قد خرجت من استعمار حبشي، إلى استعمار فارسي.

وكانت الفترة الممتدة من انهيار الحضارة اليمنية القديمة، حتى ظهور دين الإسلام : فترة عدم استقرار، فلم يلتفت اليمنيون إلى إعادة حضارة أسلافهم، وانشغلوا بصراع الأديان والمعتقدات القادمة من الخارج، وساد اليمن حالة من التمزق الاقتصادي والسياسي، والديني والفكري، فكانت صنعاء والبلاد المجاورة لها تخضع للاستعمار الفارسي، وتحكم الفرس في مقدرات البلاد، التي يسيطرون عليها، وينهبون ثرواتها، يحكمون الناس بالظلم، والبطش أما المناطق اليمنية التي لم يمتد إليها الحكم الفارسي، كانت تعيش حالة من الصراعات والنزاعات القبلية، فقد كان اهتمام الفرس في صنعاء هو جني الأموال دون مراعاة تحسين أحوال الناس المعيشية، وترك القبائل في المناطق البعيدة، في حالة صراعات وحروب، حيث انصب اهتمام زعمائها على قيادة الحروب ضد القبائل الأخرى، تلك الحالة التي شهدها اليمن في مرحلة من مراحله التاريخية، جعلت من الإنسان اليمني يعيش حالة من البؤس والفقر، حتى ضاقت البلاد بأهلها، فهاجر من استطاع، إلى البلدان المجاورة والبعيدة، بحثاً عن حياة معيشية مستقرة أفضل.

إعادة الاحتلال الساساني لليمن حدث في ٥٧٥ أو ٥٧٨م ، بعد أن قتلت قوات أكسوم سيف بن ذي يزن واستولت على اليمن. فعاود الساسانيون غزو اليمن لاحقاً وتمكنوا من السيطرة عليها .

حوالي سنة ٥٧٠م ، معد يكرب الأخ غير الشّقيق لملكِ اليمن الذي خلعه الملك الحبشي أبرهة طَلبَ من الملك كسرى الأول المساعدة لخلع ملك الحبشة الذي يحكم اليمن مسروق بن أبرهة وتولي العرش مكانه، فأرسل الملك كسرى الأول بسرعة جيشاً صغيراً تحت بقيادة فاهريز إلى اليمن، ورافق معد يكرب الحملة الفارسية، وانتهت المعركة وأصبحَ ملكاً في وقت ما بين سنتي

٥٧٥ م و٥٧٧ م. وهكذا كسب الساسانيون حليفاً لهم في اليمن ما جعلهم قادرين على تأسيس قاعدة في جنوب بلاد العرب للسَيْطَرَة على التجارةِ البحرية في الشرقِ، وتَركَ الساسانيون لاحقاً المملكةُ العربيةُ الجنوبيةُ ثم أرسلوا لها بعثة فارسية أخرى في سنة ٥٩٨ م التي انتهت بنجاح بحيث جعلت جنوب بلاد العرب محافظة تابعة للدولة الساسانية واستمرت كذلك حتى ظهرت المشاكلِ بعد الملك كسرى الثاني.

وفي عام الفيل ولد النبي عليه الصلاة والسلام في مكة وروي أن جده عبد المطلب بن هاشم كان في جملة الوفود التي وصلت إلى صنعاء لتهنئة سيف بن ذي يزن بانتصاره على الحبشة، وتوليه سُدة الحكم في اليمن إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، فقد قرر كسرى الثاني برويز الملك الساساني أن يجعل من اليمن ولاية فارسية، وكان أن تم له ما أراد، وعين عليها والياً فارسياً في اليمن حوال عام ٥٩٨، وكانت اليمن بعد تحولها إلى ولاية فارسية لا تزال تشكل مركز الاستقطاب والثقل في الجزيرة العربية، ويمكن الاستشهاد على ذلك بتصورات الملك الفارسي لدور اليمن في الجزيرة، فقد أرسل كما هو معلوم إلى واليه في اليمن أن يقبض على رسول الإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام في الحجاز وكأنه بهذا الطلب ينظر ببداهة إلى نفوذ اليمن في منطقة شمال الجزيرة العربية.

وقد ضعفت أحوال اليمن الداخلية في عهد الحكم الفارسي وفقدت السلطة المركزية هيبتها في البلاد وهو ما أفسح الطريق لبروز الزعامات القبلية الكثيرة إلى جانب حكم الوالي الفارسي في صنعاء وبعض مناطق أخرى من اليمن، وهذا هو الوضع السياسي الذي ستشرق شمس الإسلام واليمن عليه وسيتغير بعد ذلك ضمن المتغيرات الكبرى التي أحدثتها دعوة النبي محمد عليه الصلاة

والسلام الناس جميعاً إلى دين الإسلام. وقبل الإسلام عبد اليمنيون عدداً من الآلهة أهمها: الكواكب والأجرام السماوية، كالشمس والقمر والزهرة، أما اليهودية والمسيحية فقد بدأت بالظهور في اليمن ابتداءاً من القرن الرابع الميلادي فتداخلت مع ديانات محلية ذات طابع توحيدي كعبادة الرحمن، كما شاع بين أهل اليمن القديم السحر والشعوذة.

وفيما يلي عرض لأشهر الممالك اليمنية في التاريخ قبل الإسلام؛ حيث سنقدم عرضاً مفصلاً لها من خلال الفصول القادمة :

- مملكة سبأ.
- دولة معين.
- مملكة حضرموت.
- مملكة قتبان.
- مملكة حمير.

*****

الفصل الثالث

مملكة سبأ

مملكة سبأ (١٢٠٠ق.م – ٢٧٥م)، خط المسند (𐩪𐩨𐩱:) هي مملكة عربية قديمة، سبأ اسم قبيلة من القبائل القديمة، أما معناها فقد وردت نظريات كثيرة معظمها بطابع قصصي خيالي بلا دليل مادي ولكن أشارت نصوص خط المسند إلى معنى قاتل أو حارب بلفظة سبأ.

ضمت هذه القبيلة عشائر عديدة إما بالحلف أو القوة، وهي في عرف النسابة وأهل الأخبار جد من الأجداد القدامى التي يعود إليهم أصول كثير من القبائل العربية بل جُل القبائل اليمانية تعود بسلسلة نسبها إلى سبأ، والأدلة الأثرية بشأن ذلك لم تكتشف بعد؛ فسرد النسابة تأثر بطريقة اليهود في تعقب الأنساب وشبه تأليه الشخصيات القديمة بل كانت التوراة مصدرهم الذي استقوا منه تلك الأسماء بالإضافة لزيادات من عندهم وتعريب لأسماء تبدو في ظاهرها عبرية.

قامت مملكة سبأ في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهناك اختلاف حول مرحلة نشأتها فهي موجودة من القرن الحادي عشر قبل الميلاد على الأقل؛ إلا أنها ظهرت بوضوح في القرن العاشر. بداية تاريخها من القرن التاسع قبل الميلاد حتى مائة وخمسة عشر قبل الميلاد، في جنوب جزيرة العرب حيث تقع اليمن في أيامنا هذه واستمرت حتى قيام الدولة الحميرية. بدأت المملكة بالازدهار حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. اشتهرت سبأ بغناها وقد تاجرت بالعطور والدرر والبخور

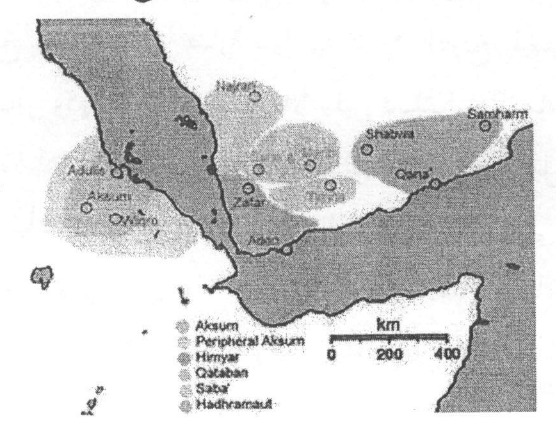
واللبان. وقد ذكر انتاجها للعطور في عدة مصادر مثل العهد القديم والإنياذة. كانت أقوى الإتحادات القبلية في اليمن القديم ولم يرتبط اسم اليمن بأي مملكة بقدرها. استطاعت المملكة تكوين نظام سياسي وصفه علماء العربية الجنوبية بأنه فيدرالية ضمت مملكة حضرموت، ومملكة قتبان، ومملكة معين وكل القبائل التابعة لهذه الممالك وأسسوا عدداً من المستعمرات قرب فلسطين والعراق كما تشير نصوص آشورية وبعض الوارد في العهد القديم يعطي لمحة عن وجود سبئي قديم في تلك المناطق.

كان السبئيون يعبدون إيل مقه (إيل الحافظ) إلههم القومي يليه آلهة القبائل الخاصة؛ فلكل قبيلة إله يعقب الإله القومي كانوا آباءاً للقبائل وفق معتقداتهم القديمة، بالإضافة لتقديسهم للإله عثتر أكبر الآلهة والتي اجتمعت ممالك اليمن الأربع وقبائلها على تقديسه، وإيل هو الإله (الاكادي-الكنعاني) القديم ويظهر في أسماء السبئيون بكثرة مثل وهب إيل وشرح إيل وهي شراحيل وشرحبيل (شرحب إيل) وكربئيل؛ والتي تعني القريب من إيل (الإله) و"إيل شرح" وتعني "نصر إيل" أو " إيل المتلألئ" ويظهر في أسماء الإسرائيليين مثل صامويل وهي صامو إيل وميكائيل وجبرائيل، اشتهرت المملكة بسدودها وأشهرها سد مأرب القديم وسيطرتهم على الطرق التجارية التي أهمها طريق البخور وطريق اللبان ونقلوا نظام كتابتهم القديم المعروف بخط المسند إلى المواقع التي سيطروا عليها في شمال الجزيرة العربية، وشمال إثيوبيا وكان لهم نظام كتابة آخر عرف باسم الزبور.

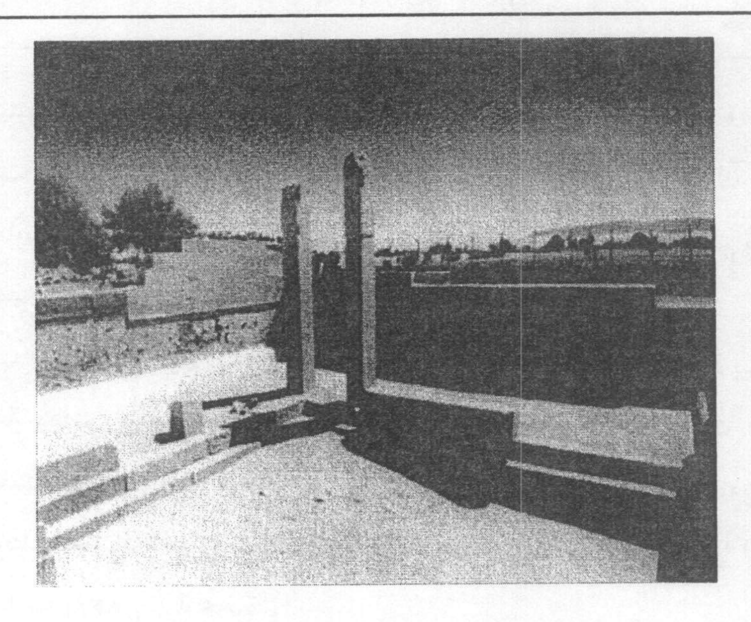
مملكة سبأ في سطور :

- العاصمة : مأرب.

- السبئيون هم أولاد عبد شمس الملقب (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).
- دلت الآثار على وجود (٢٧) ملك الذين عرفوا من ملوك سبأ.
- حضارتهم : قاموا السبئين بجوار المعينين واختلطوا بهم واقتبسوا لغتهم وديانتهم وعاداتهم.
- وكتب في التاريخ أنهم انشأوا في اليمن دولة كبرى تمارس نقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق حتى أصبحوا وسيلة اتصال بين تلك الأمم.
- اتسعت ثروتهم وامتد نفوذهم إلى اطراف الجزيرة شمالاً وشرقاً، فقاموا بحفر الترع وبناء السدود وحولوا الرمال إلى تربة خصبة وبنوا القصور واغترسوا الحدائق حتى صارت بلادهم جنة عامرة .
- من الأدلة على حضارة السبئين : والتي آثارها باقية حتى الآن سد مأرب الذي بناها السبئيون لحفظ المياه.
- تقليص دولتهم : استمر السبئين في عزتهم وثروتهم بفضل التجارة وعندما تحولت الطرق التجارية من البر إلى البحر ضعفت الدولة بسبب قرب دولة ريدان من البحر وبذلك بدأ العصر الحميري والذي هو فرع من سبأ.



خريطة سبأ في القرن الثالث ق.م.



من معالم حضارة سبا في اليمن

* حضارة سبـأ :

تدل أقدم المعلومات المعتمدة على حضارة يمنية راقية، يعود تاريخها على الأقل إلى القرن العاشر قبل الميلاد وتقترن هذه المعلومات بذكر سبأ التي ارتبطت بها معظم الرموز التاريخية في اليمن القديم والتي هي بالفعل واسطة العقد في هذا العصر، ويمثل تاريخ دولة سبأ، وحضارة سبأ فيه عمود التاريخ اليمني، وسبأ عند النسابة هو: أبو حمير وكهلان، ومن هذين الأصلين تسلسلت أنساب أهل اليمن جميعاً، كما أن هجرة أهل اليمن في الأمصار ارتبطت بسبأ، حتى قيل في الأمثال: تفرقوا أيدي سبأ، والبلدة الطيبة التي ذكرت في القرآن الكريم هي في الأصل أرض سبأ، كما أن أبرز رموز اليمن التاريخية سد مأرب قد اقترن ذكره بسبأ، وكان تكريمه بالذكر في القرآن الكريم سبباً في ذيوع ذكر سبأ وحاضرتها مأرب.

وقد خلّفت مملكة سبأ حضارة، لها مكانتها من حيث البنيان، سواء في المعابد ذات الحجارة المصقولة المنحوتة، أو الهندسة المعمارية أو الزراعية. وكانت هذه الآثار، تدل على مدى ما وصلت إليه الحضارة العربية من تطور في جنوب شبه جزيرة العرب.

وأرض سبأ في الأصل هي منطقة مأرب، وتمتد إلى الجوف شمالاً، ثم ما حاذاها من المرتفعات والهضاب إلى المشرق، وكانت دولة سبأ في فترات امتداد حكمها تضم مناطق أخرى، بل قد تشمل اليمن كله. وكانت مأرب عاصمة سبأ، وتدلل الخرائب والآثار المنتشرة التي تكتنف قرية مأرب الصغيرة اليوم على الضفة اليسرى من وادي أذنه على جلال المدينة القديم وكبرها، ويرجح أن التل الذي تقع عليه قرية مأرب اليوم هو مكان قصر سلحين الذي ذكره العلامة الحسن بن أحمد الهمداني قبل ألف عام، والذي ورد ذكره بالاسم نفسه في النقوش اليمنية القديمة.

وقد ذكرت النقوش ملكة سبأ التي حكمت في القرن العاشر قبل الميلاد وبعدها ذكرت عدداً كبيراً من المكربين والملوك الذين تولوا الحكم في دولة سبأ، والفرق بين الملك والمكرب هو أن الملك يحكم شعباً واحداً أو قبيلةً واحدةً بينما المكرب لقب للمجمّع والموحِّد لعدة شعوب أي الموحد.

ووجود المكربين في تاريخ اليمن القديم يشهد بجدارة على الجهود المبكرة جداً لتوحيد أهل اليمن تحت سلطة سياسية واحدة، وقد حاول أحد العلماء ترتيبهم زمنياً خلال الألف الأول قبل الميلاد، فبلغوا ما يقارب الخمسين، ابتداءً من القرن الثامن إلى القرن الأول قبل الميلاد، ومن هؤلاء الحكام: "يثع أمر بين بن آسْمُهُ عَلَي" الذي تذكره الحوليات الآشورية حوالي عام ٧١٥ ق،م مقترناً بالملك الآشوري سرجون الثاني وهو ما يشهد على قيام علاقات دبلوماسية مع

العالم الخارجي، أما النقوش اليمنية فتذكره مقترناً ببعض المنشآت المعمارية ومنها أنه سَوَّرَ مأرب، ومنهم أيضاً "كَرِبْ إل وتار بن ذمار علي" الذي بعث بهدية إلى الملك الآشوري سنحريب، حسب ما يذكر نقش بناء معبد بيت أكينو في آشور، حوالي ٦٨٥ ق،م، ويرجح أنه هو نفسه صاحب نقش صرواح الكبير الذي يذكر أن هذا الملك قد قام بعدة حملات عسكرية داخلية خلال فترة حكمه يهدف منها إلى تثبيت السلطة المركزية لدولته وتأديب من خرج عنه، وشملت حملاته مناطق أوسان وغيرها من المناطق الجنوبية حتى باب المندب، كما شملت حملاته أيضاً مناطق امتدت ما بين نجران والمعافر بلاد الحجرية، من محافظة تعز وبعض مدن وادي الجوف، مثل: نشان ونشق، ويذكر النقش أنه كافأ الجهات التي حافظت على الولاء له مثل: حضرموت وقتبان، وأنه قام بإصلاحات واسعة في منطقة مأرب ومنها قصر سلحين وسَوَّر عدداً من المدن اليمنية، وأصلح عدداً من سبل الري والأراضي التابعة لها، ويُعَدُّ "المكرب يَدَعْ إل ذريح بن آسْمُهُ علي" أشهر حكام سبأ في أمور البناء، فقد عُثر على نقوش عديدة من عهده تذكر منشآته المعمارية، وخاصة المعابد، وقد ارتبطت باسمه معابد شهيرة باليمن القديم مثل معبد أوام البيضاوي الكبير محرم بلقيس ومعبد صرواح، ومعبد في المساجد وغيرها من الأبنية التي تنبئ عن آثارها عن مستوى راقٍ من الإتقان المعماري والإبداع الهندسي، وظلت سبأ وحتى القرن الخامس قبل الميلاد الدولة الكبيرة الأم، حين خرجت عن سيطرتها مناطق عدة واستطاعت أن تكون دولاً مستقلة، ودخلت هذه الدول في منافسة مع سبأ، وشاركتها نفوذها السياسي والتجاري، بل إن كل واحدة من تلك الدول لم تكن أقل شأناً من سبأ في أوج ازدهارها وأبرز هذه الدول هي: معين وقتبان وحضرموت .

◄سبأ في الكتب السماوية :

اشتهرت سبأ بين الأمم القديمة، وقد جاء ذكرها في التوراة، كما جاء في بعض النقوش التي خلفها الملك سرجون ملك آشور (٧٢٠-٧٠٥ ق.م) أن مملكة سبأ قدمت له هدية من الذهب واللآلئ والبخور والأعشاب. ويرى بعض الباحثين أنه قد تكون تلك الأشياء من قبيل الهدية، وليست من قبيل الإتاوة أو الضرائب التي فرضها الملك الآشوري على حكام سبأ.

وذكر القرآن الكريم قصة سبأ في أكثر من موضع، فحكى ما كانوا فيه من النعيم، إذ كانوا في أخصب البلاد وأطيبها وذكر سد مأرب الذي أقامته ملكتهم بلقيس، ولكنهم بطروا وكفروا النعمة وطغوا وكانوا مجوساً يعبدون الشمس فأرسل الله لهم الرسل فلم يهتدوا، فأرسل عليهم سيل العرم، فهدم السد وشرّدهم جزاءاً بما كانوا يعملون. يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾ سبأ.

وكذلك وردت في القرآن قصتهم وقصة ملكتهم بلقيس مع سليمان عليه السلام في سورة النمل.

* التاريخ :

الكثير من تاريخ المملكة السياسي غامض وقد نجح المستشرقين في إعادة كتابة تاريخ هذه المملكة وتنقيته من الخرافة والوضع الذي شابه من الإخباريين بعد الإسلام أو الثقافات الأخرى المرتبطة مثل إثيوبيا. وهناك أبحاث

واكتشافات أثرية حديثة ساعدت في كتابة تاريخ سبأ الحقيقي ولكن لا زالت معضلة الكرونولوجيا تواجه المختصين بتاريخ هذه المملكة. ثراء سبأ وشعبها يظهر في العديد من الأدبيات الكلاسيكية اليونانية والبيزنطة والعربية والعبرية كذلك، وللمملكة أهمية خاصة لدى الشعوب القديمة حول البحر الأبيض المتوسط كونها مصدر القوافل التجارية المحملة بالبخور وغيرها من التوابل العطرية. ذكرت سبأ في ثلاث كتب مقدسة لأتباع الأديان الإبراهيمية وأشهر القصص هي قصة ملكة سبأ وزيارتها لملك بني إسرائيل الأشهر سليمان.

انقسم العرب قبل الإسلام إلى قسمين بدو وحضر. وعاش البدو في نظام الوحدة الصغيرة التي يربط بينها الدم والعصبية وهي القبيلة. واستطاع الحضر أن يكونوا ممالك لها ملوك ونظم سياسية، وتباينت هذه المملكة من حيث القوة والضعف. خضعت القبيلة العربية لنظام صارم فرضته التقاليد والعرف، وصعب لذلك أن يتم بالبادية ارتباط يجمع بين عدد من القبائل لتكوين ممالك. وكانت القبيلة الواحدة معرضة للانقسام بطوناً كلما كبرت. فالاتجاه في البادية كان للانقسام وليس التجمع. ورغم ذلك قامت مملكة وحيدة قصيرة العمر في وسط الجزيرة العربية بين الحكم القبلي هي مملكة كندة (٣٨٠ – ٥٢٩ م). واستطاع اللخميون ملوك الحيرة دحر ملوك كندة، وعادة الحياة القبلية إلى المنطقة ثانية. وينسب امرؤ القيس أحد شعراء المعلقات إلى ملوك كندة، وقد حاول امرؤ القيس أن يعيد مجد آبائه، ولكنه أخفق في محاولته. بينما تركزت مناطق الحضر في الجزيرة العربية قبل الإسلام في ثلاث مناطق مهمة هي: – اليمن حيث قامت ممالك: (سبأ ومعين وحمير)؛ – شمال الجزيرة العربية حيث قامت ممالك: (الأنباط وتدمر والحيرة وغسان)؛ – الحجاز.

يرى كثير من الباحثين في تاريخ اليمن القديم أن مملكة سبأ التي ظهرت جنوب غربي شبه جزيرة العرب، هي أقدم الممالك التي عرفها تاريخ المنطقة. ومن المرجح أن استقرارهم هناك بدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وكان العرب يضربون الأمثال في أشعارهم بمملكة سبأ وسدّها ،

يقول أحدهم مادحًا:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما

ويقول آخر:

الواردون وتيم في ذُرى سبأ   قد عض أعناقهم جلد الجواميس

كانت سبأ إتحاداً قبلياً وعلى رأس الإتحاد كاهن يقال له مكرب وتعني مُقَرِّب ويراد بها الآلهة، ولكن هناك من اعترض على هذه التفسير وفسرها بمعنى موحد. ضم الإتحاد عدداً كبيراً من القبائل لا يعرف عنها شي في العصر الحالي باستثناء عدد من القبائل لا زال متواجداً باسمه إلى اليوم أبرزها: همدان، وكندة، ومذحج وهي القبائل التي ذكرت صراحة باسمها. أما " الأزد " فلم تذكر بهذا الاسم ولكن وردت أسماء قبائل يعدها أهل الأخبار منهم في نصوص خط المسند أوثق مصادر تاريخ اليمن القديم، والقبائل المذكورة آنفا كان وجودهم على شكل أذواء وأقيال، ولم يرد نص أن أحد منهم وصل لدرجة مكرب، فقد كان هناك قبائل أخرى تتمسك بهذه الطبقة جاء ذكر بعضها مثل "ذي معاهر" و"ذي خليل" و"ذي سحر" فيبدو أن همدان كانت أرضاً تابعة للسبئيين وعليهم رؤساء من بيت "ذي سمعي"، أما كندة فقد كان جزء منهم يتواجدون في قرية الفاو على مقربة من بوادي الدواسر ضمن السعودية حالياً. وتشير إليهم النصوص السبئية بلفظة "ذو آل ثور" و"أبعل قريتم كهلم وقحطن" أي أرباب قرية كاهل وقحطان وكانت مذحج

وقبائلها من ضمنهم. وأقدم نقش يشير إليهم حكى عن انضمامهم لتمرد ضد الأسر الحاكمة في مأرب.

وقد ورد ذكر سبأ كثيراً في كتابات اليونانيين إذ وصفوهم بأن بلادهم المسماة "العربية السعيدة" كانت من أثري الأماكن في شبه الجزيرة العربية وأن السبئيين كانوا يسيطرون على الطرق التجارية من بلادهم حتى حدود فلسطين. وفي كتب التراث العربية؛ فإن الغساسنة والمناذرة سبئيين والحقيقة أنه لم يكتشف نص يشير إليهم بهذه الأسماء. وأورد أهل الأخبار قصصاً بشأن ذلك منها أن الغساسنة سُمّوا بذلك عند نزولهم ماء غسان بعد هجرتهم عقب انهيار سد مأرب وهو مالا يؤيده دليل مكتشف. في نفس الوقت، فإن الوجود السبئي في أماكن الغساسنة والمناذرة مؤيد بالنقوش الآشورية وكتابات اليونان، وإن كانت أسمائهم لم تظهر صراحة إلا في عهد مملكة حمير. الوجود السبئي في تلك المناطق ليس مرتبطاً بتصدع أصاب سد مأرب القديم؛ فالنص الآشوري الذي يشير إلى سبئيين في تيماء يعود إلى فترة كانت مملكة سبأ في أوجها.

وقد ذكر سترابو أن السبئيين والأنباط هم ذات الشعب، وهو ما قد يظهر الخلط الذي وقع فيه الرومان؛ ولكنه أيضاً دلالة على وجود سبئي قرب الشام، وذكر أن عاصمتهم كانت "ماريبا" (مأرب). وذكر بلينيوس الأكبر أن السبئيين كانوا يسيطرون على جزر كثيرة ووصفهم بأنهم شعب من "السكونيين" وهي دلالة أن جزءاً من السبئيين كان بدوياً فالسكونيين وفقاً لسترابو شعب عربي يعيش جنوب ماسوباتوميا (بلاد الرافدين).

وكان النشاط السبئي واضحاً في مناطق الأنباط بدلالة ورود اسم ملك سبئي اسمه "زبد إيل" كان من سلم رأس "أليكساندر بالاس" الذي هرب لمناطق

الأنباط هربا من البطالمة، إلى بطليموس السادس ولم يكن ليذكر اليونان ذلك لولا النفوذ السياسي السبئي في المنطقة.

ولكن كل هذه الكتابات متأخرة للغاية ولا تفيد الباحثين في تحديد فترة نشوء السبئيين ومراحلهم الأولى وأغلب الظن أنهم كانوا يستوطنون حاضرة صرواح وهي موقع قرب مدينة مأرب القديمة ولم يختلفوا عن أي قبيلة أخرى، إلى أن توصلوا لحل للاستفادة من مياه الأمطار فأقاموا سداً صغيراً في صرواح لحصر المياه. ويعتقد أن تلك كانت المرحلة الأولى لهم. فلا يوجد أنهار في اليمن تعينهم على الزراعة، ومحصول الأمطار ليس مرتفعاً؛ مما خلق لهم عدداً من المشاكل فحرص السبئيون على الاستفادة من كم الأمطار الضئيل عن طريق تشييد أول سدودهم الصغيرة في مدينة صرواح.

كانت تجمعهم رابطة قبلية حول الإله عثتر الذي جعلوه والدهم بل والد البشرية جمعاء قبل دخول عدد من القبائل معهم وجلبهم لآلهتهم في ذلك المجتمع الصغير، استطاعت القبائل التوصل إلى وفاق وتفاهم بشأن الآلهة فاعتبرو المقه (إيل مقه) إله قبيلة تدعى "فيشان" إلهاً للقمر، بينما عثتر الإله الرئيسي لسبأ إلها للشمس لإيجاد رابطة عصبية تجمع هذا الحلف ضد التحالفات الأخرى القريبة منهم والتي هي بدورها اجتمعت حول آلهة خاصة بها كالسبئيين، اعتبروهم آباء وأن لهم منها ذرية ونسلاً. ويبدو أن قبيلة "فيشان" هذه استطاعت بسط نفوذها في المراحل الأولى للدولة حتى تصدر الإله المقه أغلب صيغ التعبد السبئية في النقوش. وبداية من القرن الثامن قبل الميلاد قسم السبئيون قبائلهم على هذا الأساس فيمكن معرفة ارتباط القبيلة من نقوش خط المسند بعبارات مثل "ولد إل مقه" وتعني أبناء الإله إلمقه، وقامت القبائل الأخرى كقتبان ومعين

وحضرموت بنفس الشئ مع قبائلها فقد كان الأوس من أبناء الإله ود وهو إله مملكة معين وليس سبأ؛ وكانوا مملكة صغيرة لايعرف الكثير عنها حتى الآن؛ ولم تبلغ مبلغ أي من الممالك الأربعة الرئيسية في اليمن القديم.

▸علاقة سبأ بالممالك المجاورة :

دولة سبأ في العصر الأول هي أكبر وأهم تكوين سياسي فيه، وما تلك الدول التي تذكر معها سوى تكوينات سياسية كانت تدور في فلكها، ترتبط بها حيناً وتنفصل عنها حيناً آخر، مثل دولة معين وقتبان وحضرموت، أو تندمج فيها لتكون دولة واحدة مثل دولة حمير، والتي لقب ملوكها بملوك سبأ وذي ريدان؛ وذو ريدان هم حمير. كانت سبأ تضم عدداً كبيراً من القبائل ومقر الحكم الأساسي كان في مدينة "مرب" (مأرب)، وكل قبيلة أو اتحاد بالأصح تحكم أراضيها ذاتياً، وعلى رأسهم قيل أو ذو قد تتفاهم هذه القبائل مع بعضها أو تزاحم الملوك على سلطانهم. في القرن الثاني قبل الميلاد كانت سبأ تتمتع بوضع مستقر يتخلله بعض الاضطرابات ولكن لا شواهد على ضعف المملكة فالكتابات اليونانية في تلك الفترة تصف سبأ بكثير من البذخ إذ وصفوا السبئيين بأنهم أكثر القبائل العربية عدداً، بلادهم خصبة تنتج اللبان والبخور ووصف مدينة مأرب بأنها محاطة بالأشجار وملكهم لا يغادر قصره ويقضي أغلب أوقاته مع النساء بينما غالب الشعب تجار ومزارعين في أغلبهم وذكروا أنهم كانوا يزودون سوريا بالذهب ولهم ارتباط وعلاقات تجارية وثيقة بالفينقيين وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد، وهذه الكتابات أفضل وأكثر واقعية من تلك التي سبقت حملات الإسكندر المقدوني والتي كانت تصف السبئيين بكثير من المبالغات منها أنهم يمتلكون ثعابين مجنحة لونها أحمر وما إلى ذلك من الأساطير.

مع نهايات القرن الثاني قبل الميلاد وفي العام ١١٥ ق.م تحالفت سبأ وحضرموت وأحرقت عاصمة مملكة قتبان تمنع، ومنذ ذلك الحين اعتبر اليمنيون عام ١١٥ ق.م مبدأ لتاريخهم فقد كانوا قبله يؤرخون شواهدهم بطرق أخرى اعتماداً على حوادث معينة أو على أسماء الملوك، فيختمون شواهدهم بذكر أن الفعل المعين وقع في سنة الملك الفلاني دون ذكر أي أرقام ولكن ذلك تغير بداية من العام ١١٥ ق.م

أما استقلال قتبان فحدث آخر القرن الرابع قبل الميلاد وحتى أواخر الثاني قبل الميلاد، وبعدها اندمجت في سبأ من جديد. كان هذا الهجوم بادرة حرب أهلية طويلة بين الحميريين (أبناء الإله عم أكبر آلهة قتبان) والسبئيين والحضارم؛ تبدلت خلالها التحالفات أكثر من مرة ولكن بلا شك أن الانتقام من قتبان كان أحد أسباب الحميريين لاستمرار القتال.

كان لهذا الصراع للإنفراد بالملك أثر سئ على اليمن أنهك الممالك كثيراً، وانتشرت الأمراض والأوبئة وأطماع الإمبراطورية الرومانية بال"عربية السعيدة" فالمنتصر كالخاسر فيها بالضبط، فلا دلائل أن أي المتقاتلين كسب مكاسب عظيمة من حربه، فكل كتابة عن نصر ما؛ تُعقب بعدها بانتصار آخر للعدو. ولكن هناك أسباب أخرى لإندلاع الحرب الأهلية قد تتجاوز مجرد الرغبة الحميرية بالانتقام، فقد ضعفت مملكة سبأ في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد بسبب هبوط تجارتهم البحرية وهيمنتهم على التجارة البحرية على البحر الأحمر، فآثر ذلك على مصادر الدخل ودفع اليمنيين القدماء للاعتماد على الزراعة لتعويض خسائرهم من هبوط تجارة البحر مما دفع القبائل للمحاولة على السيطرة على كافة البلاد وإلغاء النظام "الفدرالي" الذي كان سائداً.

*النظام السياسي :

اتخذ السبئيون في أول أمرهم صَرْواح عاصمة لهم، ثم مالبثوا أن نقلوا عاصمتهم إلى مأرب، وقد أصبحت مركزاً تجارياً مهماً. واعتمدت حضارة السبئيين إلى حد كبير على تجارة القوافل البرية، التي كانت تنقل البخور واللبان والعطور من حضرموت شرقًا إلى مأرب غرباً، ومن هناك كانت القوافل تسير شمالاً إلى المناطق العربية القريبة من البحر الأبيض المتوسط، ثم كانت تنقل هذه السلع إلى البلاد التي تحيط بذلك البحر. وكان هؤلاء الناس يقبلون على الحصول على تلك العطور والبخور واللبان، مما جعل بعض المؤرخين اليونانيين يكتبون عن غنى أهل سبأ ورواج تجارتهم. وكانت هناك صلات قوية أقامتها سبأ بين شبه الجزيرة العربية ومراكز الشرق الأوسط الثقافية الأخرى، مثل مصر وبلاد مابين النهرين وفارس.

* النظام الاجتماعي :

عرف السبئيون الزراعة، ولكن لايعرف بالضبط متى بدأوا يمارسون ذلك النشاط، ولكن يبدو أن المنطقة كانت أكثر أمطاراً مما هي عليه الآن، فرأى السبئيون استغلال تلك المياه في الزراعة. وساعدتهم الزراعة على أن يحيوا حياة مستقرة، أدت إلى أن يخطوا خطوات كبيرة نحو التقدم والمدنية. وتطور نظام الحكم لدى السبئيين، وبعد أن كانوا قبيلة عرفت النظام القبلي تدرجت في الأمر، وأصبح حكامها يدعون بالمكرِّبين. ويرى الدارسون أن لفظ مكرِّب ومعناها مقرِّب ويقصد به مقدم القربان إلى الله. ومن المعروف أن لغة حمير كانت تنطق القاف كافاً. وكان هؤلاء المكرِّبون يجمعون بين السلطة السياسية والدينية. أما إلههم الذي كانوا يعبدونه، فقد كان يدعى المقه .وكانوا يقدمون إليه النذر والبخور، وبنوا له المعابد.

* الحياة الاقتصادية :

تحكم موقع مأرب في وادي سبأ بطريق التجارة الهام المعروف بطريق اللبان، وكان اللبان من أحب أنواع الطيوب وأغلاها في بلدان الشرق القديم، وحوض البحر المتوسط، وقد تميزت اليمن بإنتاجها أجود أنواع اللبان وهو الذي كان ينمو في الجزء الأوسط من ساحله الجنوبي في بلاد المهرة وظفار، وقد أدى ذلك الطلب المتزايد عليه إلى تطوير تجارة واسعة نشطة، تركزت حول هذه السلعة وامتدت إلى سلع أخرى نادرة عبر طريق التجارة المذكور، وكان يمتد هذا الطريق بصفة رئيسية من ميناء قنا في مصب وادي ميفعة على بحر العرب إلى غزة في فلسطين على البحر المتوسط، مروراً بمدينة شبوة ومأرب، ثم يمر بوادي الجوف، ومنه إلى نجران حيث يتفرع إلى فرعين: طريق يمر عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ومنه إلى هجر في منطقة الخليج، ثم إلى جنوب وادي الرافدين، وطريق رئيس يمتد من نجران نحو الشمال، ماراً بيثرب، ثم ددان في شمال الحجاز، ومنه إلى البتراء، ويتجه الطريق الرئيس من البتراء نحو ميناء غزة، بينما يتجه فرع آخر إلى دمشق وإلى مدن الساحل الفينيقي.

ولا شك أن استئناس الجمل الذي يرجح أنه تم في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد قد لعب دوراً بارزاً في ازدهار التجارة بقدرته على حمل الأثقال لمسافات طويلة، وتتوافق تواريخ استئناس الجمل مع ما ورد في التوراة من إشارات إلى زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، وهي الزيارة التي تفيد وجود علاقات تجارية بين بلاد الشام وبلاد اليمن؛ إذ تذكر الأخبار المرتبطة بتلك الزيارة أن ملكة سبأ أحضرت معها كميات كبيرة من الطيوب منها اللبان.

وتعتبر أخبار هذه الزيارة كما وردت في التوراة أقدم الأخبار التي وصلتنا عن سبأ وحضارتها، وقصة هذه الزيارة مشهورة وقد طبقت شهرتها الآفاق وملأت أسماع الدنيا، وشغلت الناس عشرات القرون، ذكرتها الكتب السماوية، وتواتر ذكرها في الأخبار والروايات المتعددة، وخاصة موروث أهل اليمن، فملكة سبأ عندهم رمز تاريخي لحضارة يمنية قديمة راقية، وقد كرمت ملكة سبأ وقصة زيارتها للنبي سليمان بالذكر في القرآن الكريم. قال تعالى: (....وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ* إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *) النمل٢٢/٢٣

وإذا كانت التجارة ومواردها المالي الوفير قد أسهمت بقسط عظيم في صياغة الحياة العامة للناس وازدهارها في مراكز الحضارة اليمنية القديمة، وخاصة في قلب تلك الحضارة: أرض سبأ وعاصمتها مأرب، فإن سد مأرب هو أهم شاهد على أن اليمن شهدت أيضاً حضارة زراعية فائقة، وتشير بعض الدراسات الأثرية الجادة التي أجريت ميدانياً على آثار السد إلى أن تأسيسه ربما يعود تاريخياً إلى قبل مطلع الألف الأول قبل الميلاد على الأقل، وهو أمر يتوافق أيضاً مع ما سلف ذكره من أخبار تتحدث عن حضارة يمنية راقية منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

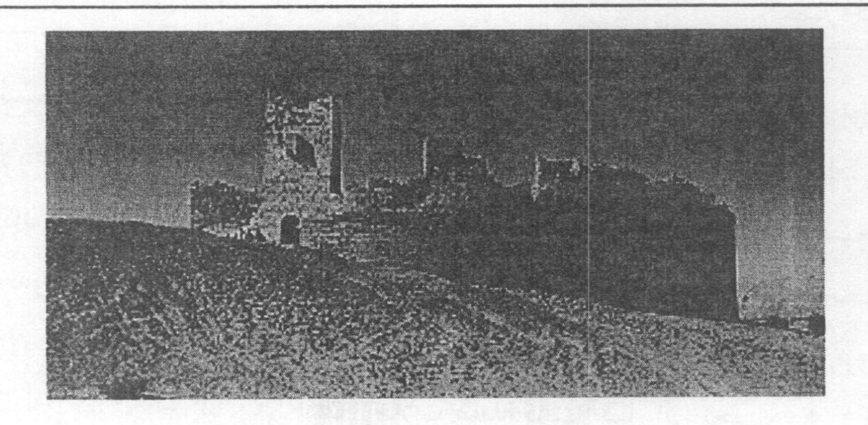
▸الزراعة :

وافقت الآثار التي وُجدت في سبأ، ما ذكره القرآن الكريم من أن السبئيين ضربوا بسهم وافر في التقدم الزراعي وفي هندسة الري، كما كانوا متقدمين في الهندسة المعمارية. ونجح هؤلاء القوم في بناء سد مأرب في مملكتهم، لحفظ مياه الأمطار التي كانت تجري في أراضيهم دون الإفادة منها، فأصبحوا يستغلونها في الري بفضل السد والقنوات التي ساعدتهم على توزيع تلك المياه. ويعتقد بأن هذا

السد أقيم في نحو عام ٦٥٠ق.م. وببناء السد أخذ ملوك الدولة ينظمون توزيع الأراضي والري وتطوير الزراعة، وكان من بين ما يزرعونه الحبوب والنخيل والعنب. وكان لهذه الزراعة فضل في توفير الغذاء لأصحاب القوافل وركبانها، وأصبحوا يجدون مايكفيهم من غذاء، وما يحتاجونه من مأوى، خصوصاً وقد كانت الحجارة والأخشاب متوفرة في تلك المملكة. وكانت هذه المملكة قادرة على تزويد القوافل بما تحتاج إليه وهي تقطع رحلات طويلة كانت تصل إلى نحو ١,٥٠٠كم من جنوبي الجزيرة العربية إلى شمالها الغربي وصولاً إلى البتراء، ومنها إلى البحر المتوسط ومصر.

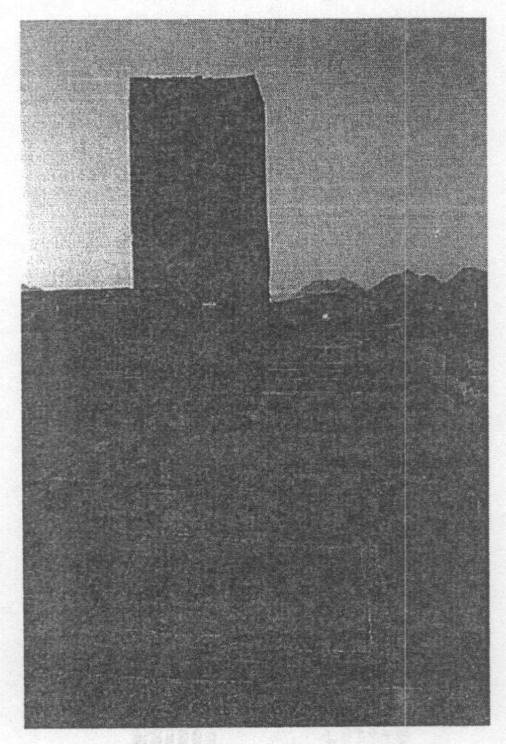


"الرجل البرونزي" عثُر عليه في البيضاء نشقوم القديمة، مملكة سبأ القرن السادس أو الخامس ق.م .متحف اللوفر.



بقايا وخرائب معبد المقه في صرواح

زعم المؤرخون المسلمين أن الجن بنته بأمر من الملك سليمان

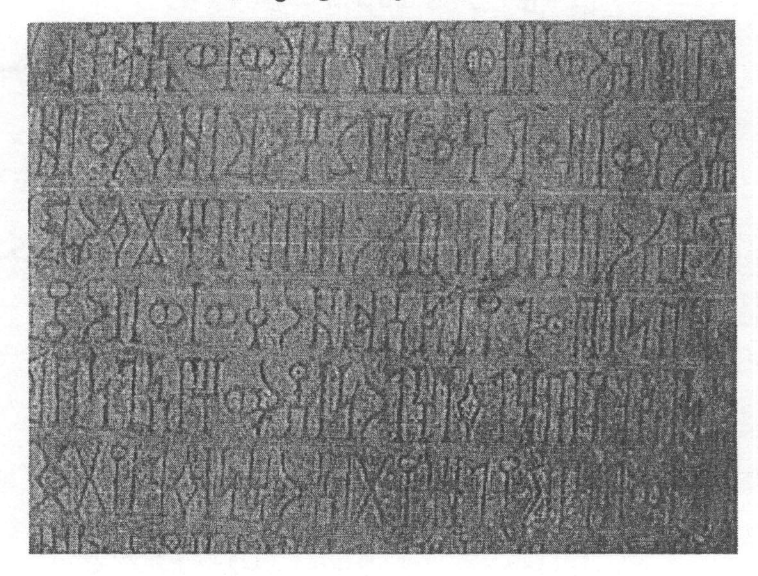


معبد إلمقه في صرواح من الداخل

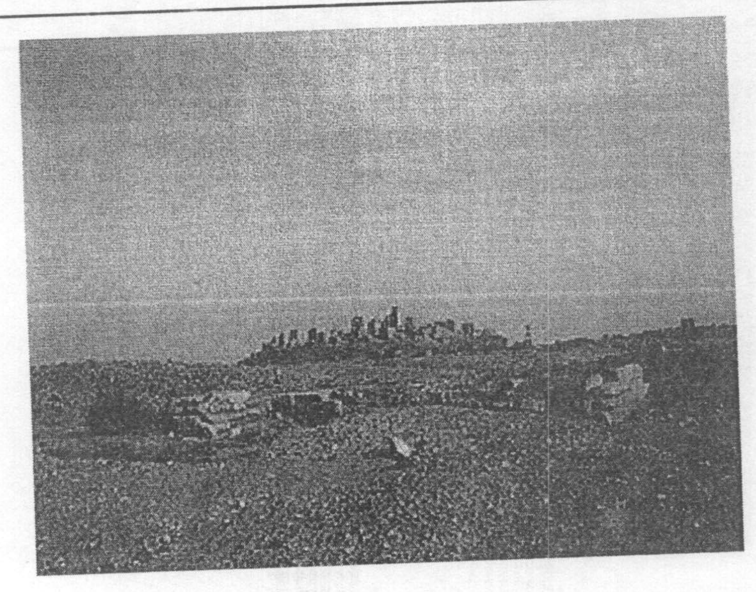


جزء من الكتابة التي دونها المكرب "يثع أمر وتر"

وتعود الكتابة للقرن الثامن قبل الميلاد



جزء من كتابة صرواح



يمكن مشاهدة أطلال مدينة مأرب القديمة من مسافة بعيدة
وقد ذكر اليونان أن مركزها كان مبنيا على جبل

* أسماء وفترات حكم ملوك سبأ :

الترتيب	الإسم	الحكم
أولاً مكارب سبأ :		
١	يثع أمر بين الأول	١٠٠٠-٩٥٠ ق.م
٢	يدعإيل بين الأول	...-...
٣	سماح علي ينوف الأول	...-...
٤	يثع أمر وتر الأول	...-...
٥	يكرب ملك زارح	...-...

٦	يكرب ملك وتر الأول	...–...
٧	سماح علي ينوف الثاني	...–...
٨	يدعإيل بين الثاني	...–...
٩	يثع أمر وتر الثاني	...–...
١٠	يدع أب الأول	...–...
١١	يدعإيل بين الثالث	...–...
١٢	يكرب ملك وتر الثاني	...–...
١٣	يثع أمر بين الثاني	...–...
١٤	كرب إيل وتر الأول	...–...
١٥	يدع أب الثاني	...–...
١٦	أخ كرب	...–...
١٧	سماح علي وتر	...–...
١٨	يدعإيل زارح ابن ١٧	...–...
١٩	سماح علي ينوف الثالث ابن ١٨	...–...
٢٠	يثع أمر وتر الثالث ابن ١٨	...–...
٢١	يدعإيل بين الرابع ابن ٢٠	...–...
٢٢	يدعإيل وتر الأول ابن ٢٠	...–...
٢٣	ذمار علي زارح الأول ابن ٢١	...–...

٢٤	يثع أمر وتر الرابع ابن سماح علي ينوف ابن ٢٠	...–...
٢٥	كرب بين الأول ابن ٢٤	...–...
٢٦	سماح علي ينوف الرابع ابن ٢٤	...–...
٢٧	ذمار علي وتر ابن ٢٦	...–...
٢٨	سماح علي ينوف الخامس ابن ٢٧	...–...
٢٩	يثع أمر بين الثالث ابن ٢٨	...–...
٣٠	يكرب ملك وتر الثالث	...–...
٣١	ذمار علي ينوف ابن ٣٠	...–...

ثانياً ملوك سبأ :

٣٢	كربإيل وتر الثاني ابن ٣١	...–...
٣٣	سماح علي زارح ابن ٣٢	...–...
٣٤	كربإيل وتر الثالث ابن ٣٣	...–...
٣٥	إيلشرح الأول ابن ٣٣	...–...
٣٦	يدعإيل بين الخامس ابن ٣٤	...–...
٣٧	يكرب ملك وتر الرابع ابن ٣٦	...–...
٣٨	يثع أمر بين الرابع ابن ٣٧	...–...
٣٩	كربإيل وتر الرابع ابن ٣٨	...–...

٤٠	يدعإيل بين السادس ابن ٣٩	...–...
٤١	سماح علي ينوف السادس ابن ٣٩	...–...
٤٢	يثع أمر وتر الخامس ابن ٣٩	...–...
٤٣	إيلشرح الثاني ابن ٤١	...–...
٤٤	ذمار علي بيِّن الأول ابن ٤١	...–...
٤٥	يدع الوتر الثاني ابن ٤٤	...–...
٤٦	ذامر علي بين الثاني ابن ٤٥	...–...
٤٧	سماح علي ينوب السابع ابن ٤٦	...–...
٤٨	كربإيل وتر الخامس ابن ٤٦؟	...–...
٤٩	كرب يهنعم ابن هام أثات	...–...
٥٠	كربإيل وتر السادس ابن ٤٩	...–...
٥١	وهب شمسم ابن هالك أمر	...–...
٥٢	وهبإيل يحظ الأول ابن ساراو	٣٦٠–٣٤٥ق.م
٥٣	أنمر يهأمن الأول ابن ٥٢	...–...
٥٤	ذمار علي زارح الثاني ابن ٥٣	...–...
٥٥	نشأكرب يهأمن ابن ٥٤	...–...
٥٦	وهبإيل يحظ الثاني	...–...
٥٧	ذمار علي بين الثالث	...–...

٥٨	أنمر يهأمن الثاني ابن ٥٦	...–...
٥٩	ياسر يهنعم الأول	...–...
٦٠	شمر يهرعش الأول ابن ٥٩	...–...
٦١	يرم أيمن ابن أوصلات رفشان	...–...
٦٢	كرب‌إيل وتر يهنعم الأول ابن ٥٦	...–...
٦٣	علهان نهفان ابن ٦١	...–...
٦٤	فرعم ينهب	...–...

ثالثاً ملوك "سبأ وذي ريدان" :

٦٥	شعرم أوتار ابن ٦٣	...–...
٦٦	إيل شرح يهذب ابن ٦٤	...–...
٦٧	يزل بين ابن ٦٤	...–...
٦٨	حيو أثطر يزع ابن ٦٥؟	...–...
٦٩	كرب‌إيل وتر يهنعم الثاني ابن ٥٧	...–...
٧٠	وتر يهأمن ابن ٦٦	...–...
٧١	ذمار علي زارح الثالث ابن ٦٩	...–...
٧٢	نشأكرب يهنعم يهرهب ابن ٦٦	...–...
٧٣	كرب‌إيل بين الثاني ابن ٧١	...–...
٧٤	ياسر يهصدق	...–...

٧٥	سعد شمس عصري ابن ٦٦	...-...
٧٦	مرثد يهحمد ابن ٧٥	...-...
٧٧	ذمار علي يهبر الأول ابن ٧٤	...-...
٧٨	ثارن يعيب يهنعم ابن ٧٧	...-...
٧٩	ذمار علي يهبر الثاني ابن ٧٨	...-...
٨٠	شمدر يهنعم	...-...
٨١	عمدن بيِّن يحقبظ	...-...
٨٢	هوثر أثار يافش	...-...
٨٣	كرب عاثت يحقبظ	...-...
٨٤	شهر أيمن	...-...
٨٥	رب شمس نمران	...-...
٨٦	العز نوفان يهصدق	...-...
٨٧	سعد أم نمران	...-...
٨٨	ياسر يهنعم الثاني	...-...

رابعاً ملوك "سبأ وذي ريان وحضرموت ويمنت" (الدولة الحميرية)

٨٩	شمر يهرعش الثاني ابن ٨٨	٢٧٥-٣٠٠
٩٠	يارم يهرهب ابن ٨٩	...-...
٩١	ياسر يهنعم الثالث ابن ٨٩	...-...

٩٢	ثعران أيفع ابن ٩١	...–...
٩٣	ذارع أمر أيمن الأول ابن ٩١	...–...
٩٤	كرب إيل وير يهنعم الثالث	...–...
٩٥	ثعران يكرب ابن ٨٩	...–...
٩٦	ذمار علي يهبر الثالث ابن ٩٥	...–...
٩٧	تعران يهأمن ابن ٩٦	...–...
٩٨	ملكي كرب يهأمن ابن ٩٧	...–...
٩٩	ذرع أمر أيمن الثاني ابن ٩٨	...–...
١٠٠	أبو كرب أسعد ابن ٩٨	...–...
١٠١	حسان يهأمن ابن ١٠٠	...–...
١٠٢	شرحبيل يعفر ابن ١٠٠	٣٧٨–٤٢٨
١٠٣	شرحبيل يقف	...–...
١٠٤	معدي كرب ينعم ابن ١٠٣	...–...
١٠٥	لحيعظات ينوف ابن ١٠٣	...–...
١٠٦	نوفيم ابن ١٠٣	...–...
١٠٧	مرثد عيلان ينوف	...–...
١٠٨	معدي كرب يعفر	...–...
١٠٩	يوسف أسأر يثأر	٥١٦–٥٢٥

الفصل الرابع

دولة معين

مملكة عربية قديمة نشأت في اليمن في الألفية الأولى قبل الميلاد، حيث ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد، فتحتها مملكة حمير في القرن الأول قبل الميلاد. وعاصمتها الأولى معين والثانية قرناو والتي تقع حالياً شرق صنعاء. بقيت من أثارهم؛ أطلال معبد للألهة عثتر (عشتار)، وبيوت مسورة ونقوش وكتابات. ويرجع أصل المعينيين من عمالقة العراق وكانوا في أعالي جزيرة العرب قبل ظهور دولة حمورابي بعدة قرون. وكان المعينيين يعملون في التجارة مع مصر وبلاد الرافدين، أُسندَ اقتصادهم على الزراعةِ وتصديرِ اللبانِ، وتوابل، والأسلحة، ومواد أخرى. وفي أقصى اتساع ملكهم امتد حكمهم على يثرب والعلا وفدك وتيماء والحجر كما هو مدون على النقش المعيني وسيطروا على معظم طرقِ التجارة في جنوب الجزيرة العربية. كان الحكم فيها ملكي وراثي. وكان يطلق على الملك لقب مزود أي المقدس.

حضارتهم : لم تستقر الأمور للمعينيين في اليمن حتى بدأوا بنقل حضارة بابل إلى بلادهم وذلك بفضل الاحتكاك والتقليد فشيدوا المعابد والقصور وقاموا بتدوين تاريخهم.

لغتهم : كانت عامية واقتبسوا الكتابة الأبجدية من الفينيقية وتنوعت حتى صارت الحرف المسند المشهور وأخذه السبئيون والأحباش.

ملوكها : يقدر عدد ملوكهم بـ (٢٦) ملك وكان الحكم وراثي، وامتدت سلطتهم إلى الجزيرة العربية وخليج فارس والبحر الأبيض المتوسط.

انهيارها : ظهرت دولة سبأ ونازعت المعينيين وقضت عليهم لأن دولة معين لم تكن دولة حرب بل دولة تجارة.

ومن خلال ما يعرف من نقوش يمكن القول أن مملكة معين ظهرت في حوالي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ربما نتيجة لضعف أصاب مملكة سبأ، وتشكلت معين من اتحاد مدن الجوف التي كانت قبل خضوعها للسيطرة السبئية تمثل ممالك مستقلة، بعد أن تمكنت مناطق الجوف بقيادة مدينة (يَثُل = براقش) العاصمة الدينية من السيطرة على طريق اللبان التجاري بمساندة حضرموت وقتبان، وبعد توحدها اتخذت مدينة قرناو عاصمة للمملكة الناشئة. ومن قرنو عاصمة الدولة المعينية اتجه أهل معين شمالاً وانطلقوا يرتادون الأسواق العالمية في فلسطين ومصر واليونان وغيرها، وقد عثر بمصر على قبر تاجر معيني نقش اسمه زيد إلا بن زيد وكان يتاجر بالمر والقرفة في مصر أيام بطليموس الثاني حوالي ٢٦٤ ق.م، وأقاموا المحطات التجارية والمستوطنات المعينية على طرق القوافل التجارية مثل قرْية في وادي الدواسر على الطريق بين نجران والبحرين أي شرق الجزيرة، ومثل ددان في وادي القرى على الطريق بين نجران وغزة.

تدل النقوش على أن مملكة معين كان لها علاقات خاصة مع مملكة حضرموت، فقد كان الملك صادق إل يتلقب بلقب ملك حضرموت ومعين، ومن بعده تلقب ابنه الملك إل يفع يثع بن صادق إل بلقب ملك معين فقط، أما في عهد الملك إل يفع ريام بن إل يفع ريام فقد عاد إلى اللقب السابق ملك حضرموت ومعين.

وكان العالم القديم يعرف المعينيين، وقد ذكرهم مؤلفو اليونان في كتبهم وسموا اللبان باسمهم، على أن تلك المصادر لا تقصر الذكر على المعينيين، وإنما تذكر معهم أيضاً في اليمن: السبئيين والحضارم والقتبانيين، وكان أول ذكر لقتبان قد ورد في نقش الملك كرب إل وتار السبئي، وكانت حينها موالية لسبأ التي خلصتها من سيطرة أوسان، على أن قتبان مثل معين استطاعت أن تخرج عن سيطرة سبأ في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن تمد نفوذها على حساب سبأ متحالفة مع حضرموت.

كانت مدينة تمنع في وادي بيحان عاصمة قتبان وهو مقر قبائلها في الأصل، وفي القرن الثالث والثاني قبل الميلاد بلغت قتبان أوج ازدهارها وشملت رقعتها مناطق أوسان القديمة حتى ساحل بحر العرب، ومدت نفوذها جنوباً لتشمل واحة الجوبة على بعد مسيرة يوم واحد من مأرب العاصمة السبئية، وتميز القتبانيون بنشاط زراعي هائل، فأقاموا مشاريع الري في الوديان، وشقوا القنوات الطويلة وحفروا الآبار وبنوا السدود، وأحسنوا استثمار موقعهم على طريق اللبان التجاري، فجنوا من الزراعة والتجارة الخير الوفير، وكانوا يُعنون بسن الشرائع ووضع القوانين التي تنظم أمورهم الاقتصادية، ولا تزال تقوم إلى اليوم وفي محل السوق القديم بهجر كحلان تمنع العاصمة قديماً مَسَلَّةٌ نقش على جوانبها تعاليم خاصة بسوق المدينة واسمه سوق شمر ويبين النقش إجمالا الرسوم المفروضة، وفئات التجار وغير ذلك.

في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ازدهرت معين ازدهاراً كبيراً نتيجة لنشاط أهلها التجاري، حيث لعب المعينيون دور الوسيط التجاري بين الممالك اليمنية والعالم الخارجي، فقد كانوا يقودون قوافلهم المحملة بالبضائع النادرة

وخاصة الطيوب التي انفرد اليمن بإنتاجها إلى مناطق العراق وبلاد الشام ومصر وبلاد اليونان، وتسهيلاً لنشاطهم التجاري أقاموا العديد من المحطات والأسواق على الطريق المعروف باسم طريق اللبان التجاري، والتي تحولت مع مرور الزمن إلى مدن وحواضر مزدهرة. مثّل المعينيون الصلة الحضارية بين الممالك اليمنية وبين اليمن وبقية دول العالم، ومن خلالهم حدث التمازج بين الحضارة اليمنية القديمة والحضارات الأخرى. وقد انعكس نشاط المعينيين التجاري على مناطقهم، حيث أقاموا المعابد الضخمة لآلهتهم الرئيسة وهي الإله (ود) والإله (نكرح) والإله (عثتر). كما أقام المعينيون عدة معابد لآلهتهم خارج أراضي مملكتهم سواء داخل اليمن أو خارجه، من تلك المعابد معبد في تمنع عاصمة قتبان وآخر في مدينة السوا (حاضرة المعافر) ومعبد في جزيرة ديلوس اليونانية. وتميزت المعابد المعينية عن غيرها بترف الزخارف المنقوشة على أعمدة المعابد، ومثال ذلك أعمدة معبد الإله عثتر ذو رصفم. وشيد المعينيون الأسوار الضخمة حول مدنهم الرئيسية مثل سور مدينة يثل (براقش حالياً) التي كانت تمثل العاصمة الدينية لمملكة معين.

لم يعرف عن مملكة معين أنها دخلت في حرب توسعية ضد أي من الممالك الأخرى، ربما حفاظاً على مصالحها التجارية، ولا تزال ظروف اختفائها عن الساحة غامضة إلى اليوم، ومن المتوقع أن تكشف الأبحاث العلمية التي تجري حالياً في عدد من المواقع الأثرية المعينية الكثير عن تاريخ المملكة، والتي اختفت في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً.

* التاريخ :

مملكة معين هي من الممالك العربية القديمة في اليمن، إلا أن النسابين العرب لم يذكروا هذه المملكة ولا أحد من ملوكها ولا اسم الملك معين وصلته مع

سبأ بل طوى كل ذلك النسيان إلى ان كشفت عن هذه المملكة العريقة الآثار المكتشفة في القرن العشرين الميلادي، عموماً فقد ظهرت مملكة معين في القرن العشرين قبل الميلاد أو القرن الثلاثين قبل الميلاد رغم إن ازدهارها كان في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد .

وليس بين الباحثين في تأريخ المعينين اتفاق على تأريخ مبدأ هذه الدولة ولا منتهاه، فالعالم "كلاسر" مثلاً يرى إن الأبجدية التي استعملها المعينيون في كتاباتهم ترجع إلى الألفية الثانية قبل الميلاد وهذا يعني إن تأريخ هذا الشعب يرجع إلى ما قبل هذا العهد.

* نظام الحكم :

اختلف تقديرات المستشرقين في تعيين البداية السياسية لدولة معين ما بين:

١. القرن ١٣ قبل الميلاد، والقرن ١١ ق.م.
٢. القرن ٦ ق.م، والقرن ٤ ق.م.

وأكثر التقديرات احتمالاً هو القرن السادس قبل الميلاد، حيث بدأت الحياة السياسية بعد انتهاء شخصية "كرب ايل وتر" السبأي.

كانت حكومة معين حكومة ملكية يرأسها حاكم يلقب بلقب "ملك"، غير إن هذه الحكومة وكذلك الحكومات الملكية الأخرى في العربية الجنوبية، أجازت أن يشترك شخص أو شخصان أو ثلاثة مع الملك في حمل لقب "ملك"، إذا كان حامل ذلك اللقب من أقرباء الملك الأدنين، كأن يكون ابنه أو شقيقه. فقد وصلت إلينا جملة كتابات، لقب فيها أبناء الملك أو أشقاؤه بلقب ملك، وذكروا مع

الملك في النصوص. ولكننا لم نعثر على كتابات لقب فيها أحد بهذا اللقب، وهو بعيد عن الملك، أي ليس من أقربائه المرتبطين به برابطة الدم. كما إننا لا نجد هذه المشاركة في اللقب في كل الكتابات، وهذا مما حملنا على الظن بأن هذه المشاركة في اللقب كانت في ظروف خاصة وفي حالات استثنائية، وأنها اختصّت بأبناء الملك أو بأشقائه، كما أنها أيضاً لم ترد في كل الكتابات، بل وردت في عدد منها هو قلة بالنسبة إلى ما لدينا الآن من نصوص. فلم تبح لنا أية كتابة من الكتابات العربية الجنوبية بسر هذه المشاركة أكانت مجرد مجاملة وحمل لقب، أم كانت مشاركة حقيقية، أي أن الذين اشتركوا معه أيضاً في تولي أعمال الحكم كلية، أو بتولي عمل معين من مهن الأعمال، بأن يوكل الملك من يخوله حمل اللقب القيام بوظيفة معينة ؟ ولم تبح لنا تلك الكتابات بأسرار الدوافع التي حملت أولئك الملوك على السماح لأولئك الأشخاص بمشاركتهم في حمل اللقب، أكانت قهرية كأن يكون الملك ضعيفاً مغلوباً على أمره، ولهذا يضطر مكرهاً إلى إشراك غيره معه من أقربائه الأدنين لإسناده ولتقوية مركزه، أم كانت برضى من الملك ورغبة منه، فلا إكراه في الموضوع ولا إجبار. وربما كانت هذه المشاركة في اللقب، في ظروف خاصة وفي حالات استثنائية، وليس من الواضح في الكتابات العربية الجنوبية أكانت مجرد مجاملة وحمل لقب؟ وماهي الدوافع التي حملت أولئك الملوك على السماح لأولئك الأشخاص بمشاركتهم في حمل اللقب.

ويظهر من الكتابات المعينية أيضاً أن الحكم في معين لم يكن حكماً ملكياً تعسفياً، ولم تكن السلطة الفعلية مركزة في أيدي الملوك، بل كان الحكم فيها معتدلاً استشارياً؛ يستشير الملوك أقربائهم ورجال الدين وسادات القبائل

ورؤساء المدن، ثم يبرمون أمرهم، ويصدرون أحكامهم على شكل أوامر ومراسيم تفتتح بأسماء آلهة معين، ثم يذكر اسم الملك، وتعلن الكتابة ليطلع عليها الناس.

وقد تعاقب على حكم معين ٥ أسر حاكمة لم تحفظ النصوص الباقية من الحكام الأوائل منهم، ويبدو أن سلطتهم بدأت بالصبغة الدينية فتلقب كل منهم بلقب (مزود) وربما يعني من يزود المعابد بقرابينها وقد بقي هذا اللقب ضمن ألقاب الحكام حتى مرحلة متأخرة. ويلاحظ أن ملوك معين، وكذلك ملوك سائر الحكومات العربية الجنوبية، كانوا يحملون ألقاباً مثل:

- "يثع" بمعنى المنقذ أو المخلص.
- "صدق" "صدوق" أي "الصادق" و"العادل" و"الصدوق".
- "ريم" "ريا م" بمعنى "العالي".
- "نبط" بمعنى "المضيء".
- "وقه" بمعنى "المجيب" و"المطيع"، وربما بمعنى "الآمر".
- "يفش"، بمعنى "الفخور" و"المتكبر" أو "المتعالي".
- "يشر" بمعنى "المستقيم".
- "فرح"، بمعنى "الوضاح"،أو "لمنير" أو "المشرق".
- "وتر"، بمعنى "المتعالي".
- "بين" بمعنى "الظاهر والبين".

وتتألف مملكة معين من مقاطعات، على رأس كل مقاطعة ممثل عن الملك، يعرف عندهم بـ "كبر"، أي "الكبير". يظهر إنه كان لا يتدخل إلا في السياسة التي تخص المسائل العليا المتعلقة بحقوق الملك وبشعب معين. ويرد

اسم الكبير بعد اسم الملك في النصوص على عادة أهل معين وغيرهم من ذكر آلهتهم أولاً ثم الملوك ثم الكبراء في كتاباتهم التي يدونونها ليطلع عليها الناس.

واستمرت معين سياسياً حتى دب الوهن في نظامها الحاكم واشتد بأس جيرانها، وبدأت قتبان فاقتطعت جانباً من أرضها، وأجبر حاكمها القتباني "شهر يجل/ يهرجب" على عقد تحالف مع معين احتفظ لنفسه فيه بالمكانة العليا لاسيما في عهد الملكين المعينيين "وقه ايل يثع" و"ايل يفع يشور الثاني"، وحاولت قتبان استخدام معين في الضغط على سبأ من ناحية الشمال ولكن هذا أثار سبأ على معين فاستغلت انشغال قتبان في مشاكلها الداخلية مع قبائل حمير فانفردت بمعين ودمرت عاصمتها قرناو واستولت على أجزاء واسعة من أراضيها قبل الربع الثالث من القرن الأول قبل الميلاد بحيث لم يذكرها المؤرخ سترابون عام ٢٤ ق.م. حينما صاحب حملة القائد الروماني أيليوس جالوس ضد الدول العربية الجنوبية، ولكن الإنكماش السياسي لم يؤدِ إلى وقف نشاط المعينيين في مجالات التجارة فظلوا يقومون بدورهم تحت طاعة دولة سبأ.

* حكومة معين :

كانت المدن حكومات، وكان لكل مدينة حكومتها الخاصة بها، وهكذا كان في استطاعتنا أن نقول أن حكومة معين هي "حكومات مدن"، فكل مدينة في معين عبارة عن حكومة صغيرة لها آلهة خاصة تتسمى باسمها، وهيئات دينية، ومجتمع يقال له: "عم"، بمعنى أمة وقوم وجماعة. ولكل مدينة مجلس استشاري يدير شئونها في السلم وفي الحرب، وهو الذي يفصل فيما يقع بين الناس من خصومات وينظر في شئون الجماعة "عم".

وكان رؤساء القبائل يبنون دوراً، يتخذونها مجالس، يجتمعون فيها لتمضية الوقت وللبت في الأمور وللفصل بين أتباعهم في خلافاتهم، ويسجلون أيام تأسيسها وبنائها، كما يسجلون الترميمات والتحسينات التي يدخلونها على البناية. وتعرف هذه الدور عندهم بلفظة "مزود". ولكل مدينة "مزود"، وقد يكون لها جملة "مزاود". وذلك بأن يكون لشعابها وأقسامها مزاود خاصة بها، للنظر فيما يحدث في ذلك الشعب من خلاف. ويمكن تشبيه المزود بدار الندوة عند أهل مكة، وهي دارة قُصَيّ بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيها في أمور السلم والحرب.

وكان دخل الحكومة من الضرائب ومن واردات الأرضين الحكومية التي تستغلها أو تؤجرها للناس بجُعل يتفق عليه. أما الضرائب فتؤخذ من التجار والزراع وسائر طبقات الشعب الأخرى، يجمعها المشايخ، مشايخ القبائل والحكام والكبراء بوصفهم الهيئات الحكومية العليا، وبعد إخراج حصصهم يقدمون ما عليهم للملك. وأما الواردات من المصادر الأخرى، مثل تأجير أملاك الدولة، فتكون باتفاق خاص مع المستغل، وبعقد يتفق عليه.

ومن الضرائب التي وردت أسماؤها في الكتابات: كتابات العقود ووفاء الضرائب والديون، ضريبة دُعيت بـ "فرعم"،أي "فرع"، وضريبة عرفت بـ "عشرم" أي "عشر"، وتؤخذ من عشر الحاصل، فهي "العشر" في الإسلام. وكان للمعابد جبايات خاصة بها، وأرضون واسعة تستغلها، كما كان لها موارد ضخمة من النذور التي تقدم إليها باسم آلهة معين عند شفاء شخص من مرض ألمّ به، وعند رجوعه سالماً من سفر، وعند عودته صحيحاً من غزو أو حرب، وعند حصول شخص على غلة وافرة من مزارعه أو مكسب كبير من تجاراته، وأمثال ذلك. ولهذا كانت

للمعابد ثروات ضخمة وأملاك واسعة ومخازن كبيرة تخزن فيها أموالها. ويعبر عن النذور والهبات التي تقدم إلى المعابد بلفظتي "كبودت" و"اكرب"، "أقرب" أي ما يتقرب به إلى الآلهة. وتدوّن عادة في كتابات تعلن للناس، يذكر فيها اسم المتبرع الواهب واسم الإله أو الآلهة التي نذر لها، واسم المعبد، كما تعلن المناسبة، وتستعمل بعض الجمل والعبارات الخاصة التي تتحدث عن تلك المناسبات مثل: "يوم وهب" و"بذماد بن يدهس"، أي "بذات يده" وأمثال ذلك من جمل ومصطلحات. وقد وصلت إلينا نصوص كثيرة من نصوص النذور، وهي تفيدنا بالطبع كثيراً في تكوين رأينا في النذور والمعابد واللغة التي تستعمل في مثل هذه المناسبات عند المعينيين وعند غيرهم من العرب الجنوبيين.

ويقوم "الناذر" أو الشخص الذي استحقت عليه الضرائب أو القبيلة بتقديم ما استحق عليه إلى المعبد، وكانت تعد "ديوناً" للآلهة على الأشخاص. فإذا نذر الشخص للآلهة بمناسبة مرض أو مطالبة بإحلال بركة في المزرعة أو في التجارة أو إنقاذ من حرب وصادف أن مرت الأمور على وفق رغبات أولئك الرجال، استحق النذر على الناذر، فرداً كان أو جماعة، ولذلك يعبر عنه بـ "دين"، فيقال "دين عثتر" أو "دين."

وقد يفوض الملك أو المعبد إلى رئيس أو سيد قبيلة أو غني استغلال مقاطعة أو منجم أو أي مشروع آخر في مقابل شروط تدون في الكتابات، فتحدد الحدود، وتعين المعالم، وينشط المستغل للاستفادة منها وأداء ما اتفق عليه من أداء للجهة التي تعاقد معها، ويقوم بجباية حقوق الأرض إن كان قد أجرها لصغار المزارعين وبدفع أجور الأجراء وبتمشية الأعمال، ويكون هو وحده المسؤول أمام

الحكومة أو المعبد عن كل ما بتعلق بالعمل، وعليه وحده أن يحسب حساب خسائره وأرباحه.

ويتعهد الكبراء وسادات القبائل والحكام عادة بجمع الضرائب من أتباعهم ودفع حصة الحكومة، كما يتعهدون بإنشاء الأبنية العامة كإنشاء المباني الحكومية وإحكام أسوار المدن وبناء الحصون والأبراج والمعابد وما شاكل ذلك مقابل ما هو مفروض عليهم من ضرائب وواجبات أو تفويض التصرف في الأرضين العامة. فإذا تمت الموافقة، عقُد عقد بين الطرفين، يذكر فيه أن آلهة معين قد رضيت عن ذلك الاتفاق، وأن المتعهد سيقوم بما اتفق عليه، وقد يضيف إليه المتعهد من جيبه الخاص. وإذا تم العمل ورضي عنه الملك الذي عهد إليه بالعمل أو الكهنة أرباب المعبد أو مجلس المدينة؛ كتب بذلك محضر، ثم يدون خبره على الحجر، ويوضع في موضع ظاهر ليراه الناس، يسجل فيه اسم الرجل الذي قام بالعمل، واسم الآلهة التي باسمها عقد العقد وتم، واسم الملك الذي تم في أيامه المشروع، واسم "الكبير" الحاكم إن كان العقد قد تم في حكمه وفي منطقة عمله.

وتعهد المعابد أيضاً للرؤساء والمشايخ القيام بالأعمال التي تريد القيام بها، مثل إنشاء المعابد وصيانتها وترميها والعناية بأملاكها وباستغلالها بزرعها واستثمارها نيابة عنها. وقد كان على المعابد كما يظهر من الكتابات أداء بعض الخدمات العامة للشعب، مثل إنشاء مباني عامة أو تحصين المدن ومساعدة الحكومة في التخفيف عن كاهلها، لأنها كانت مثلها تجبي الضرائب من الناس وتتلقى أموالاً طائلة من الشعب وتتاجر في الأسواق الداخلية والخارجية، وكانت تقوم بتلك الأعمال في مقابل إعفائها من الضرائب. وقد كانت وارداتها السنوية ضخمة قد تساوي واردات الحكومة. وتخزن المعابد حصتها من البخور واللبان والمر

والحاصلات الأخرى في خزائن المعبد، وتأخذ منها ما تحتاج إليه مثل البخور للأعياد وللشعائر الدينية وتبيع الفائض، وقد ترس مع القوافل لبيعه في البلاد الأخرى، وقد تعود قوافله محملة ببضائع اشترتها بأثمان البضائع المبيعة، ولذلك كانت أرباحها عظيمة، وكان أكثر الكهان من البيوتات الكبيرة ومن كبار الأغنياء.

* انقراض حكومة معين :

انقرضت حكومة "معين" وحلت محلها حكومة "سبأ" غير أن هذا لا يعني انقراض شعب معين بانقراض حكومته، وذهابه من عالم الوجود، إذ ورد اسم المعينين في عدد من الكتابات المعينية التي يرجع عهدها إلى ما بعد عهد سقوط حكومتهم، كما ورد اسمهم في المؤلفات الكلاسيكية التي تعود إلى القرن الأول للميلاد. وقد سبق أن ذكرت رأي المتخصصين في العربيات الجنوبية في هذا الموضوع. أما متى خفي اسمهم من عالم الوجود خفاء تاماً ؟ فذلك سؤال لا تمكن الإجابة عنه الآن، إذ يتطلب ذلك التأكد من أننا قد وقفنا على جميع الكتابات العربية الجنوبية والمؤلفات الكلاسيكية، ولا أخال أن في استطاعة أحد إثبات هذا الإدعاء. وكما ذكرنا سلفاً فقد تباينت آراء العلماء في تعيين الزمن الذي ظهرت فيه مملكة "معين" الوجود، كما تباينت في نهايتها. كذلك ذهب "البرايت" إلى أن النهاية كانت في حوالي سنة "١٠٠ ق. م.". ثم عدل عن ذلك فجعلها في النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد، بين سنة "٥٠" وسنة "٢٥" قبل الميلاد. وجعلت "بيرين" نهايتها في حوالي سنة "١٠٠ ب. م.". والذي أرجحه أن نهايتها كانت بعد الميلاد، لورورد اسمها كمملكة إلى ما بعد الميلاد.

وقد جعل "البرايت" في أحد رأييه في سقوط حكومة معين سنة "١١٥"ق.م، وهي مبدأ التقويم السبئي، هي سنة زوال حكم معين، فلأهمية هذه

الحادثة اتخذت مبدأ لتقويم يؤرخ به. وذهب آخرون إلى أن نجم معين أخذ في الأفول بين سنة "١٢٥" وسنة "٧٥ ق. م.".

وفي خلالة الفترة التي انصرمت بين أواخر أيام حكومة معين واندماجها نهائياً في مملكة "سبأ"، ظهرت حكومات صغيرة يمكن إن نشبهها بحكومات المدن، انتهزت فرصة ضعف ملوك معين، فاستقلت في شئونها، ثم اندمجت بعد ذلك في سبأ. ومن هذه الحكومات "هرم" "الهرم" ، و"نش" "نشان" ، و"كمنت" "كمنه" "كمنهو"، "كمنا" وغيرها. ويمكن اعتبار مملكة "لحيان" التي كان مركزها في "الديدان" "ددن"، أي "العلا" من الحكومات التي استقلت في أيام ضعف المعينين، وقد كانت في الأصل جزءاً من أرضي هذه المملكة يحكمها كبير.

وقد تبين من فحص الكتابات المدونة في مملكة "هرم" أن لها خصائص صرفية ونحوية تستحق العناية والدرس، ويظهر أن هذه الخصائص إنما نشأت من موقع هذه المدينة ومركزها السياسي والأحداث السياسية التي طرأت عليها، ومن الاختلاط الذي كان بين سكانها، فأثر كل ذلك في لهجة السكان. ويرى "هارتمن" أن لهجة كتابات "هرم" من اللهجات التي يمكن ضمها إلى الجمهرة التي تستعمل حرف "هـ" في المزيد مقابل حرف "س" في الجمهرة التي تستعمل هذا الحرف في الفعل المزيد.

وكان لـ "نبط علي" ولد أصبح ملك "كمنه" "كمنهو" بعد والده، هو: "السمع نبط". وقد وصلت إلينا كتابة، جاء فيها: "السمع نبط بن نبط علي ملك كمنهو وشعبهو كمنهو لالمقه ومريبو ولسبا"، أي (السمع نبط بن نبط على ملك كمنه وشعبه شعب كمنه، لألمقه ومأرب ولسبأ). وهذه العبارة تُظهر بجلاء أن مملكة "كمنو" "كمنهو" كانت مستقلة في هذا الزمن استقلالاً صورياً، وأنها كانت

في الحقيقة تابعة كومة "سبأ" ولمأرب العاصمة يدل على ذلك قربها إلى "المقه"، وهو إله السبئيين ولمأرب العاصمة، أي لملوكها ولشعب سبأ. وكان من عادة الشعوب القديمة إنها إذا ذكرت آلهة غيرها فمجدتها وتقربت إليها، عنت بذلك اعترافها بسيادة الشعب الذي يتعبد لتلك الآلهة عليها.

نقود معينية :

تعامل قدماء المعينيين مثل غيرهم من شعوب العالم بالمقايضة العينية، وبالمواد العينية دفعوا للحكومة وللمعابد ما عليهم من حقوق، وبها أيضاً دفعت أجور الموظفين والمستخدمين والعمال والزراع. وقد استمرت هذه العادة حتى في الأيام التي ظهرت فيها النقود، وأخذت الحكومات تضرب النقود، وذلك بسبب قلة المسكوكات، وعدم تمكن الحكومات من سك الكثير منها كما تفعل الحكومات في هذه الأيام.

وقد عرف المعينيون النقود، وضربوها في بلادهم. فقد عثر على قطعة نقد هي "دراخما" أي درهم، عليها صورة ملك جالس على عرشه، قد وضع رجليه على عتبة، وهو حليق الذقن متدلٍ شعره ضفائر، وقد أمسك بيده اليمنى وردة أو طيراً واسمك بيده اليسرى عصا طويلة، وخلفه اسمه وقد طبع بحروف واضحه بارزة بالمسند، وهو "اب يثع" وأمامه الحرف الأول من اسمه، وهو الحرف "أ" بحرف المسند، دلالة على إنه الآمر بضرب تلك القطعة. ولهذه القطعة من النقود أهمية كبيرة في تأريخ "النميّات" في بلاد العرب وفي دراسة الصلات التجارية بين جزيرة العرب والعالم الخارجي. ويظهر من دراسة هذه القطعة ومن دراسة النقود المشابهة التي عثر عليها في بلاد أخرى، إنها تقليد للنقود التي ضربها خلفاء الإسكندر الكبير، سوى شيء واحد، هو أن عملة "أب يثع" قد استبدلت فيها الكتابة اليونانية

بكتابة اسم الملك "اب يثع" الذي في أيامه، تم ضرب تلك القطعة بحروف المسند. أما بقية الملامح والوصف، فإنها لم تتغير ولم تتبدل، ولعلها قالب لذلك النقد، حفرت عليه الكتابة بالمسند بدلاً من اليونانية. ويعود تأريخ هذه القطعة إلى القرن الثالث أو القرن الثاني قبل الميلاد.

وقد كانت نقود "الإسكندر الكبير" والنقود التي ضربها خلفاؤه من بعده مطلوبة مرغوبة في كل مكان، حتى في الأمكنة التي لم تكن خاضعة لهم، شأنها في ذلك اليوم شأن الجنيه أو الدولار في هذا اليوم، وتلك النقود لا بد أن تكون قد دخلت بلاد العرب مع اتجار ورجال الحملة الذين أرسلهم لاحتلال بلاد العرب، فتلقفها التجار هناك وتعاملوا بها، وأقبلت عليها الحكومات، ثم أقدمت الحكومات على ضربها في بلادها بعد مدة من وصول النقود إليها. وأسست بذلك أولى دور ضرب النقود في بلاد العرب. ولا بد أن يكون نقد "اب يثع" قد سبق بنقد آخر، سبق هو أيضاً بالنقد اليوناني الذي وصل بلاد العرب، لأن درهم "اب يثع" مضروب ضرباً متقناً، وحروفه واضحة جليّة دقيقة دقة تبعث على الظن بوجود خبرة سابقة ودراية لعمال الضرب، أدت بهم إلى إتقان ضرب أسماء الملوك على تلك النقود.

* الحياة الدينية:

كان في كل مدينة معبد، وأحياناً عدة معابد خصصت بآلهة شعب معين. وقد خصص معبد بعبادة إلَه واحد، يكرس المعبد له، ويسمى باسمه، وتنذر له النذور، ويشرف على إدارته قَومه ورجال دين يقومون بالشعائر الدينية ويشرفون على إدارة أوقاف المعبد. ويعرف الكاهن والقيم على أمر الإله عندهم بـ "شوع"، وقد وردت اللفظة في جملة نصوص معينة.

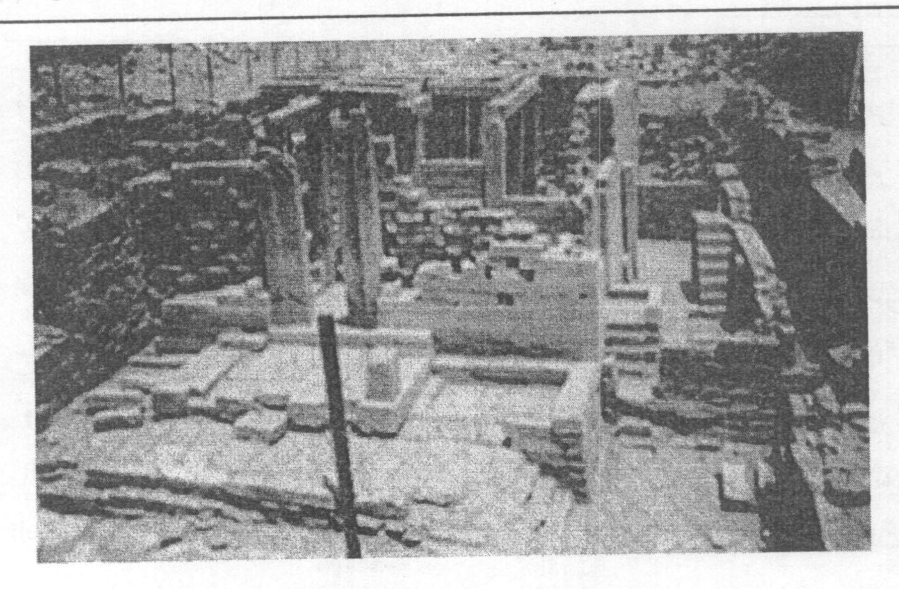
وقد تجمعت لدينا من قراءة الكتابات المعينية أسماء جمهرة آلهة معين، وفي مقدمتها اسم "عثتر" "عشتار"، ويرمز إلى "الزهرة"، ويلقب في الغالب بـ "ذ قبضم"، فيقال "عثتر ذ قبضم"، أي "عثتر القابض"، "عثتر ذو قبض"، كما ورد أيضاً "عثتر ذ يهرق" "عفتر ذو يهرق". ويهرق اسم مدينة من مدن معين، فيظهر أنه كان في هذه المدينة معبد كبير خصص بعبادة "عثتر". ومن آلهة معين "ود" و"نكرح"، وترد أسماء هذه الآلة الثلاثة في الكتابات المعينية على هذا الرتيب: "عثتر"، "ود" و"نكرح" في الغالب، وترد بعدها في بعض الأحيان جملة: "الالت معن"، أي "آلهة معين" أما "نكرح"، فيظهر إنه يرمز إلى الشمس، وهو يقابل "ذات حمم" "ذات حميم" في الكتابات السبئية. وقد ورد في عدة كتابات عثر عليها في "براقش" وفي "أبين" وفي "معين" وفي "شراع" في "أرحب" ذكر معبد سر للإلهَ "عثتر" دعي بـ "يهر". كما ورد اسم حصن "يهر" وقد خصص لـ "عثتر وقبض". وورد في كتابة أخرى اسم "يهر" على أنه بيت، وربما قصد به بيت عبادة. وورد في كتابة همدانية ذكر "يهر" على أنه بيت الإله "تالب" "تألب" إلَه همدان. وورد اسم "يهر" على أنه اسم موضع واسم شعب. وذكر "الهمداني" أن "يهر" هو حصن في "معين". ويتبين لي من اقتران "يهر" بي "عثتر"، ومن تخصيص بيت للتعبد به سمي باسمه أن "يهر" جماعة كانت تتعبد لهذا الإلهَ وتقدسه ولهذا دعي معبده باسمها، كما إنه اسم مدينة نسبت تلك الجماعة إليها.

وأما "ود"، فقد ظلت عبادته معروفة في الجاهلية إلى وقت ظهور الإسلام، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم. وقد تحدث عنه ابن الكلبي في كتابه "الأصنام". وذكر أن قبيلة "كلب" كانت تعبد له بدومة الجندل. ووصفه فقال: "كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد ذبر عليه حلتان، متزر بحلة،

مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكّب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل..". وقد نعت "ود" في بعض الكتابات بنعوت، مثل: "الاهن" "الهن" أي "الإله"، و"كهلن" "كاهلن" "كهلان"، أي "القدير" "المقتدر". وكتب اسم "ود" بحروف بارزة على جدار في "القرية" (قرية الفأو)، وذلك يدل على عبادته في هذه البقعة. ويرمز "ود" إلى القمر، بدليل ورود جملة: "ودم شهرن"، "ودم شهران"، أي "ود الشهر" في بعض الكتابات. ومعنى كلمة "شهرم" "شهر" "الشهر"، القمر. وضل هذه الآلهة المعينية ثالوثاً يرمز إلى الكواكب الثلاثة: الزهرة، والشمس، والقمر. ويلاحظ أن الكتابات المعينية الشمالية، أي الكتابات المدونة بلهجة أهل معين التي عثر عليها في أعالي الحجاز، لا تتبع الترتيب الذي تتبعه الكتابات المعينية الجنوبية نفسه في إيراد أسماء الآلهة، كما يلاحظ أيضاً أن للمعينيين الشماليين آلهة محلية لا نجد لها ذكراً عند المعينيين الجنوبيين، ولعلّ ذلك بتأثير الإختلاط بالشعوب الأخرى.



معبد الإله عثتر



معبد الإله نكرح

* مدن معين :

ومن أشهر مدن معين، مدينة "قرنو"، وهي العاصمة، وقد عرفت أيضاً، بـ"م.ع.ن" "معن"، أي "معين"، وبـ Carna و karana و Karna عند بعض الكتبة "الكلاسيكيين". وتقع على مسافة سبعة كيلومترات ونصف كيلومتر من شرق قرية "الحزْم"، مركز الحكومة الحالي في الجوف. وقد وصف خرائبها "محمد توفيق" في كتابه (آثار معين في جوف اليمن)، فقال: إنها تقع على اكمة من الطين منحدرة الجوانب، تعلو على سطح أرض الجوف بخمسة عشر متراً، وهي مستطيلة الشكل، واستطالتها من الغرب إلى الشرق وطولها ٤٠٠ متر، وعرضها ٢٥٠ متراً، ولها بابان أو مدخلان، أو مدخل ومخرج، أحدهما في جانبها الغربي والآخر في الجهة المقابلة من الجانب الشرقي، وليس لها أبواب أخرى. وسورها الذي كان يحيط بها، وقد قدّرَ ارتفاعه بخمسة عشر متراً، وقد وجد في بعض أقسامه فتحات

المزاغل التي استعملت للمراقبة ولرمي السهام، كما تعرض لبحث البناء والزخرفة في هذه المدينة، وقد حصل على تسع عشرة كتابة، نقل تسعاً منها بكتابة اليد، ونقل عشراً منها الباقية بالتصوير الفوتوغرافي.

ويقع معبد "رصفم" "رصف" "رصاف" الشهير، الذي طالما تقدم إليه المؤمنون بالهدايا والنذور وتوسلوا إليه لكي يمن عليهم بالعافية والبركة خارج سور "قرنو". ونشاهد آثار سكن في مواضع متناثرة من المدينة. وقد كانت "قرنو" "القرن" مأهولة حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ثم هجرت وتحولت إلى خراب.

وقد أشار الأخباريون إلى معين، وروى بعض منهم إنها من أبنية التبابعة، وأنها حصن، بني بعد بناء "سلحين"، بني مع يراقش في وقت واحد. ومن مدن حكومة معين "يثل"، وهي من المراكز الدينية، وعرفت به "براقش" فيما بعد. وكانت قائمة في أيام "الهمداني"، ووصف الهمداني الآثار والخرائب التي كانت بها. وقد ورد في إحدى الكتابات أن جماعة من كهنة "ود"، قاموا ببناء ثلاثين "أمه" أي ذراعاً من سور "يثل" من الأساس حتى القمة. والظاهر أن هذا العمل الذي قاموا به، هو الجزء الذي كان خصص بهم عمله على حين قام أناس آخرون، وفي ضمنهم مجلس يثل، ببقية السور.

وللأخباريين قصص عن "براقش". وقد زعم بعض منها إنها و"هيلان" مدينتان عاديتان، وكانتا للأمم الماضية. وزعم بعض آخر إنها من أبنية التبابعة فهي من الأبنية القديمة إذن في نظر الأخبارين. وقد كان يسكنها "بنو الأدبر ابن الحارث بن كعب" ومراد في الإسلام. ولهم يعود سبب تسمية "براقش" ببراقش قصص. فزعم بعض منهم إنها إنما سميت بذلك نسبة إلى كلبة عرفت ببراقش. وزعم بعض آخر إنها امرأة، وهي ابنة ملك قديم، ذهب والدها للغزو، وأودع مقاليد

بلاده إليها، فبنت مدينة براقش ومعين، ليخلد اسمها؛ فلما عاد والدها غضب، وأمر بهدمها. وزعم فريق منهم، إنها باسم براقش امرأة لقمان بن عاد. ومصدر القصص مثل مشهور هو: "على أهلها تجني براقش" و"على أهلها براقش تجني" ، وقد أشير في الشعر إليه.

و"يثل" ، هي مدين شم Athlula، Athrula المذكورة في أخبار حملة "أوليوس غالوس" على اليمن، والتي زعم إنها آخر موضع بلغة الرومان في حملتهم هذه. وزعم القائلون من المستشرقين بهذا الرأي إن لفظة "يثل" لفظة صعبة على لسان الرومان واليونان، ولذلك حرفت فصارت إلى الشكل المذكور.

ومن بقية مدن معين: "نشق"، و"رشن" "ريشان" و"هرم" "هريم" "خربة هرم"، و"كمنه" "كمنهو" "خربة كمنه"، "كمنا"، و"نشن" "نشان" وهي "الخربة السوداء" "خربة السودا" في الوقت الحاضر. وقد ورد في بعض الكتابات إن "يدع آل بين" مكرب سبأ، كان قد استولى على مدينة "نشق"، غير أننا لا نعرف اسم الملك المعيني الذي سقطت هذه المدينة في أيامه في أيدي السبئيين. ويوجد موضع عادي خرب، يعرف بـ "كعاب اللوذ" وبـ "خربة نشان"، يحتمل في رأي بعضهم أن يكون مكان "نشان" "نشن". ويعارض بعض الباحثين ذلك، ويرون إنه بعيد بعض البعد عن مكان "نشن" المعيني، ويذهبون إلى أن هذا المكان هو بقايا معبد أو قبور قديمة، وأنه يشير إلى وجود مسكن فيه قديم لا نعرف اسمه. وقد تبين الباحثين في موضع "الخربة السوداء" التي هي موضع "نشن" "نشان" إن تلك المدينة كانت مدينة صناعية، لعثورهم بين أنقاضها على خامات المعادن، وعلى أدوات تستعمل في التعدين وفي تحويل المعادن إلى أدوات للاستعمال.و "نشن" "نشان"، هي "نستم NESTUM" في كتاب "بلينيوس". ويظن أن خرائب

"مجزر"، هي من بقايا مدينة قديمة، لعلها المدينة التي سماها "بلينيوس" "مكوسم Magusum"، ويظهر من موقعها ومن بقايا آثارها إنها كانت ذات أهمية لعهدها ذاك، وأنها كانت عامرة بالناس لخصب أرضها ووفرة مياها. وفي الجوف أماكن أخرى، مثل "بيحان" و"سراقة" و"ابنه" و"مقعم" و"بكبك" و"لوق"، وهي خرائب كانت مواضع معمورة في أيام المعينيين ومن جاء بعدهم فأخذ مكانهم. وقد ذهب "كلاسر" إلى أن موضع "لوق"، هو Labecia الذي ذكره "بلينيوس" في جملة الأماكن التي استولى عليها "أوليوس غالوس". وذهب "فون وزمن" إلى أنه "لبة Labbah". ويرى علماء العربيات الجنوبية أن "نشق" هي Nesca، Nescus في كتب المؤلفين اليونان واللاتين القدماء. وهي Aska ، Asca في "جغرافيا سترابون". وقد ذكرها "سترابون" في جملة المدن التي استولى عليها "أوليوس جالوس" إبانّ حمته على اليمن.

المعينيون خارج أرض معين :

وعثر على كتابات معينية خارج اليمن، ولا سيما في موضع "العلا"، وبينها عدد من كتابات "لحيانية" متأثرة باللهجة المعينية. وقد وردت فيها أسماء معينية معروفة، شائعة بين المعينيين، مثل: "يهر" و"علهان"، و"ثوبت" و"يفعان"، كما وردت قبها أسماء آلهة معين، وذلك يدل على نزول المعينيين في هذا الموضع وفي الأرضين المجاورة أمداً، وتركهم أثراً ثقافياً فيمن اختلطوا بهم أو جاوروهم وفيمن خلفهم من خلق. وقد جاء هؤلاء المعينيون من معين بالطبع، أي من اليمن، فنزلوا في هذه الأرضين التي تقع البوم في أعالي الحجاز وفي المملكة الأردنية الهاشمية وفي جنوب فلسطين. ومنهم من تاجر مع بلاد الشام والبحر المتوسط ومصر، بدليل عثور المنقبين على كتابات معينية في جزيرة "ديلوس" من جزر

اليونان، وفي مصر: في "الجيزة" وفي موضع "قصر البنات". وظهر من كتابة "الجيزة" المؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من حكم "بطلميوس بن بطلميوس"، أن جالية معينية كانت في مصر في هذا الزمن، ولعلها من أيام حكم "بطلميوس الثاني" وكان المعينيون يتاجرون في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد بتجهيز معابد مصر بالبخور. ويرجع بعض الباحثين تأريخ هذه الكتابة إلى السنة" (٢٦٤– ٢٦٣)ق.م. وموضع "العلا" المذكور، هو موضع "ديدان" "الديدان" "علت Ulat" في التوراة. وقد قصد به فيها شعب عربي من الشعوب العربية الشمالية، يرجع نسبه إلى "كوش" كما جاء في موضع من "التكوين". وإلى "يقشان" من إبراهيم من "قطورة Keturah" في موضع آخر منه. وقد جعلت "الديدان" متاخمة لأرض أدوم Edom، وتقع في الجنوب الشرقي منها. وذكر في التوراة إن الديدانيين كانوا من الشعوب التي ترسل حاصلاتها إلى سوق "صور Tyre". ويرى أكثر الباحثين في دولة معين إن هذه المنطقة منطقة "الديدان" وما صاقبها من أرض، كانت جزءاً من تلك الدولة وأرضاً خاضعة لها، وأن ملوك معين كانوا يعينون حكاماً عليها باسمهم، وأن درجتهم هي درجة "كبر" أي "كبير" على طريقتهم في تقسيم مملكتهم إلى "محافد" أي أقسام، يكون على كل محفد أي قسيم من المملكة "كبير"، يتولى الحكم باسم الملك في المسائل العليا وفي جمع الضرائب التي يبعث بها إلى العاصمة وفي المحافظة على الأمن. وقد عثر على كتابات ذكرت فيها أسماء "كبراء" حكموا باسم ملوك معين. ومعنى هذا إن دولة معين، كانت تحكم من معين كل ما يقال له الحجاز في عرف هذا اليوم إلى فلسطين، وأن هذه الأرضين كانت خاضعة لها إذ ذاك. ولكننا لا نجد في النصوص الآشورية أو العبرانية مثل التوراة ولا في الكتب الكلاسيكية ما يشير إلى ذلك.

ولكن القائلين بالرأي المذكور يرون أن حكم سين كان في أوائل عهد معين، أي قبل أكثر من ألف سنة قبل الميلاد فلما ضعف ملوكها تقلص سلطان المعينيين عن الحجاز وبقي نافذاً في المنطقة التي عرفت بـ "معن مصرن"، "معن مصران"، أي "معين المصرية"، ثم ضعف سلطان المعينيين الشماليين عن هذه الأرض أيضاً بتغلب السبئيين على معين، ثم بتغلب اللحيانيين في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، حيث استقلوا وكوّنوا "مملكة لحيان". وقد أثارت "معن مصرن" "معين مصران"، جدلاً شديداً بين العلماء، ولا سيما علماء التوراة، فذهب بعضهم إلى أن "مصر" "مصرايم Mizraim" الواردة في التوراة ليست مصر المعروفة التي يرويها نهر النيل، بل أُريد بها "معين مصران"، وهو موضع تمثله "معان" في الأردن في الزمن الحاضر. وأن لفظة "برعو Per'o" التي ترد في التوراة أيضاً لقباً لملوك مصر، والتي تقابلها لفظة "فرعون" في عربيتنا، لا يراد بها فراعنة مصر، بل حكام "معين مصران"، وأن عبارة "هاكرهم مصريت Hagar Ham-Misrith"، بمعنى "هاجر المصرية"، لا تعني "هاجر" من مصر المعروفة، بل من مصر العربية، أي من هذه المقاطعة التي نتحدث عنها "معن مصرن" وأن القصص الوارد في التوراة عن "مصر" وعن "فرعون"، هو قصص يخص هذه المقاطعة العربية، وملكها العربي.

وقالت هذه الجمهرة: إن ما ورد في النصوص الآشورية من ذكر لـ Musri لا يعني أيضاً مصر المعروفة، بل مصر العربية، وأن ما جاء في نص "تجلات بلاسر الثالث" الذي يعود عهده إلى حوالي سنة (٧٣٤ ق.م)، من أنه عين عربياً Arubu واسمه "ادبئيل" "ادب ال" "ادب ايل Idiba'il" "حاكماً على "مصري Musri"، لا يعني أنه عينه حاكماً على "مصر" الإفريقية المعروفة، بل على هذه

المقاطعة العربية التي تقع شمال "نخل مصري" أي "وادي مصري". ويرى "وينكر"، أن "سبعة Sib'e" "الذي عينه "تجلات بلاسر" سنة (٧٢٥ ق.م.) على مصري، والذي عينه "سرجون" قائداً على هذه المقاطعة، إنما عين على أرض "مصر" العربية ولم يعين على "مصر" الإفريقية.

وقد ورد في أخبار "سرجون" أن من جملة من دفع الجزية إليه "برعو " Pir'u وقد نعت في نص "سرجون" بـ "برعو" شاروت مصري"، أي "برعو ملك أرض مصري". وورد ذكر "برعو" هذا في ثورة "أسدود" التي قامت سنة (٧١١ق.م.). وورد ذكر "مصري" في أخبار "سنحريب" ملك آشور، وكان ملك "مصري" وملك "ملوخة" قد قامة بمساعدة اليهود ضد "سنحريب"، وذلك في عام (٧٠٠ ق.م.)، وقد انتصر "سنحريب". ويرى "ونكلر" أن كل ما ورد في النصوص الآشورية عن "مصري" مثل: "شراني مت مصري Sharrani Mat Musri"، أي "ملوك أرض مصر" إنما قصد به هذه المقاطعة العربية.

ويشير هذا الرأي مشكلات، خطيرة لقائليه ولعلماء التوراة، فرأي "شرادر" و"ينكلر" وإضرابهما المذكور يتعارض صراحة مع الرأي الشائع عند اليهود وعند التوراة والتلمود والمنشأ والكتب اليهودية الأخرى في هذا الموضوع، ويتعارض كذلك مع رأي أهل الأديان الأخرى في الموضوع نفسه، ولم يلق هذا الرأي رواجاً بين الباحثين، وهم يرون أن وجود أرض عربية عند "معان" في الزمن الحاضر، تسمى "مصري" وهي تسمية "مصر" في اللغات السامية، ووجود حاكم عليها اسمه "برعو"، و"برعو" لقب ملوك "مصر"، ويقابل "فرعون" في لغتنا، لا يحتم علينا التفكر في هذه الأرض العربية، ومن الجائز على رأيهم أن يكون الآشوريون قد استولوا على هذه المقاطعة وحكموها ونصبوا حكاماً عليها على حين كانت

الحوادث الأخرى قد وقعت في مصر الإفريقية. وبناء على ذلك فليس هناك أي داع للادعاء أن الإسرائيليين لم يكونوا في مصر، وأن فرعون لم يكن فرعون مصر، بل فرعون مصري التي هي "معين المصرية"، وليستبعد أيضاً أن تكون تسمية "مصري" العربية قد أخذت من مصر، فقيل "معين مصرن" لقربها من مصر، ولتمييزها عن "معن" أي "معين" اليمن.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن "معين مصران" "معين المصرية"، لم تكن جزءاً من حكومة معين، بلى كانت مستوطنة مستقلة من مستوطنات المعينين. وذلك منذ القرن الخامس حتى القرن الأول قبل الميلاد. وأن لقب "كبر" الوارد في نصوص هذه المستوطنة لا يعني أن حامله كان موظفاً في حكومة معين بل هو مجرد لقب حمله صاحب هذه المقاطعة باعتبار أنه كبير قومه وسيدهم والحاكم عليهم. وقد بقيت هذه المستوطنة مستقلة إلى القرن الأول قبل الميلاد، وحينئذ زال استقلالها بزوال حكومة المعينين الجنوبيين.

وتعدّ الكتابات المعينية التي عثر عليها في جزيرة "ديلوس Delos=Delus" ذات أمية كبيرة كذلك، في بحثنا هذا، فإنها ترينا وصول المكلين بين الجزر اليونانية وإقامتهم فيها، واتجارهم مع اليونان. ومن جملة هذه النصوص، نص مكتوب بالمعينية وبالخط المسند وباليونانية وبالحروف اليونانية، ورد فيه: "هنا" أي "هانئ" و"زيد ايل من ذي خذب نصب مذبح ود وآلهة معين بدلث" أي: بـ "ديلوس". وورد في اليونانية: "يا ود إلَه معين يا ود". وفي هذا النص دلالة على وجود جالية معينية في هذه الجزيرة وسكناها فيها، وعلى تعلقها بدينها وبآلهتها وعدم تركها لها حتى في هذه الأرض البعيدة عن وطنها. ومن يدري؟ فلعلها كانت تتصل ببلادها، وتتاجر وتتراسل معها، وتصدر إليها حاصلات اليونان،

وتستورد منها حاصلات اليمن والعربية الجنوبية وإفريقيا والهند وتعمل مع اليونان شِركَةً أو تعاوناً في أسواق التجارة العالمية ذلك العهد.

* ملوك معين :

الملوك الذين وردت أسماؤهم في الكتابات المعينية، على الأغلب ليسوا هم كل ملوك معين، يذكر منهم :

•ايل وقه.	•وقه ايل صدق (ابنه).	•اب كري يثع.
•اب يدع يثع.	•وقه ايل روام.	•يشع ايل صدق.
•يشع ايل ريم.	•تبع كرب.	•وقه ايل يثع.
•ايل يشور الثاني.	•حفن ذرح، وهو ابنيثع.	

• يثع، وهو ابن الملك "صدق ايل" ملك حضرموت. وقد حكم في حوالي السنة "٤٠٠" قبل الميلاد.

• ريام، وهو ابن. وقد كان أيضاً ملكاً على حضرموت.

• هوف عثتر "هوفعث". "هوفعثتر"، وهو ابن ريام.

• أب يدع يثع "أبيدع يثع"، وهو شقيق هوف عثتر. وقد كان يحكم في حوالي السنة ٣٤٣ قبل الميلاد.

• وقه آل ريم "وقه ايل ريام"، وهو ابن هوفعثتر.

• حفن صدق "حفن صديق"، وشقيق وقه ايل ريام.

• حسحسة ملك يهودي ويعتقد ان قبرة في شبوة انتهى

• وقه، وقد كان حكمه في حوالي السنة٢٥٠ قبل الميلاد.

• وقه ايل صديق "وقه آل صدق".

• اب كوب يثع "أبكرب يثع" "أبيكرب يثع"، وهو ابن "وقه آل صدق". وقد ورد اسمه في كتابات "ددان" "ديدان" وذلك في الأيام اللحيانية المتأخرة.

• عم يثع نبط "عمى يثع نبط" "عميثع نبد"، وهو ابن "ابكرب يثع" "أب يكرب يثع."

• يثع ايل صدق "يغ آل صدق" "يثع ايل صديق".

• وقه آل يثع "وقه ايل صديق". وكان تابعاً للملك "شهر يجل يهرجب" ملك قتبان.

يشر، وهو ابن "وقه ايل يثع".

حفن ريام "خضم ريمم"، وهو ابن يشر.

وقه آل نبط "وقه ايل نبط".

•يشبم انتهى.

•أب يدع يثع (يثع ايل "بين"؟) ٣٤٣ ق. م.

•حفن صدق، وهو ابن وقه ايل ريام.

•عميثع نبط "عم يثع نبط" وهو ابن "ابكرب"

•تبع كرب "تبعكرب"، وهو ابن يثع ايل ريام.

•خلكرب صدق، وهو ابن أب يدع "ريام".؟

•حفن يثغ ٢٥٠ ق. م.

•صدق ٣ – وقه ايل صدق ١٥٠ ق. م.

•يشر الأول ١٠٠ ق. م.

•يثع آل صدق "يثع ايل صديق".

•وقه آل يثع "وقه ايل يثع" ٧٥ ق.م.

•خلكرب صدق. •وقه ايل صدق.

•حفن عشت، وهو ابن ريام.

•وقه آل ريام.

•يثع ايل ريام.

•وقه ايل نبط ٢٠٠ ق. م.

•أبيكرب يثع "أبكرب يثع".

•حفن ريام.

•سر الثاني.

•أب كرب يثع.

- عم يثع نبط.
- يثع ايل ريام.
- تبع كرب.
- ريام.
- هوف عثت.
- معد يكرب ملك حضرموت.
- وقه ايل ريام.
- حفن صدق.
- فش.
- يثع ايل صدق.
- وقه ايل يثع يشر شهر يكل يهركب ملك قتبان حفن ريام
- وقه ايل نبط.
- خلكرب.
- حفن يثع.
- يغ ايل حيو.
- حفن ذرح.
- حسن كان شيخ جسم (قشم).

معظم الملوك الواردة اسمائهم كانو ملوك في محافظة شبوة .

*****

الفصل الرابع

مملكة حضرموت

هي مملكة عربية قديمة، قامت في اليمن وبدأت في الألفية الأولى قبل الميلاد حتى ضمت في الدولة الحميرية. وكانت عاصمتها شبوة. وهي الوحيدة التي لا يزال اسمها باقياً على مساحة كبيرة منها.

عاصرت هذه المملكة ممالك معين وسبأ وقتبان، وقد خضعت مملكة حضرموت للسبئيين في أقدم عهودها، فقد كانت تابعة لدولة سبأ الكبيرة ثم موالية لها، وفي القرن الخامس قبل الميلاد إبان ضعف الدولة السبئية خرجت حضرموت عن سبأ كغيرها وكونت دولة مستقلة، وقد نمت قوتها تدريجياً واكتسبت أهمية فائقة، خاصة لكونها تملك أرض اللبان في ظفار وكانت عاصمتها شبوة التي تقع في أقصى غرب وادي حضرموت على أطراف مفازة صيهد، وكانت تشمل في عز ازدهارها ظفار أرض اللبان والنطاق الجنوبي الممتد حتى ساحل العرب، وتمتد شمالاً باتجاه الربع الخالي وما يحاذي العَبْر، بالإضافة إلى موطنها الأصلي وادي حضرموت، وتبرز أهمية هذه الدولة بوضوح من خلال ذكرها وذكر عاصمتها في المصادر الكلاسيكية، إذ تذكر أن شبوة عاصمة حضرموت كانت مركزاً هاما لتجارة اللبان، ودخلت عندما ضعفت تحت حكم الدولة الحميرية الثانية، وقضى الحميريون عليها في منتصف القرن الرابع الميلادي. وقد عاش أهلها على الزراعة والتجارة، حيث كانت تُصدّر اللبان والبخور والمر براً وبحراً.

* التسمية :

ذكر اليونانيون و الرومان حضرموت بشئ من التحريف، ذكرها إراتوستينس باسم لاتيني هو : (Chatramotitae)، ونبوفراستوس باسم لاتيني هو : (Hadramyta) وذكرها كتبة العهد القديم باسم عبري هو : (חֲצַרְמָוֶת) Hazar maveth، وحرفياً تعني "فناء الموت"؛ وهو الابن الثالث من أبناء يقطان. ويعتقد أن كتبة التوراة تأثروا بالأساطير الإغريقية عن حضرموت وكونها "وادي الموت" الذي يتجنب أصحاب السفن المرور عبر سواحله، وكان ملوك حضرموت يفرضون الضرائب على الممرات البحرية والبرية الخاضعة لهم، وكانت العقوبة على من يحاول الإلتفاف أو العبور من طرق أخرى هي الموت، وكانت هذه السياسة سبب الأسطورة وراء "وادي" أو "فناء" الموت التي ارتبطت بأذهان الإغريق والرومان ومن خالطهم، ودافعاً لأليوس جالوس حاكم مصر الروماني لغزو اليمن ومحاولته التي بائت بالفشل لإسقاط حضرموت وسبأ، وسهلت للحميريين الإنقضاض على كلاهما.

ويبدو أن البلدانيين العرب أخذوا من التوراة هذا المعنى فقالوا إن منطقة حضرموت سميت نسبة إلى (حضرموت بن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح)، وأن اسمه الحقيقي هو عامر ولقب بحضرموت لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل فلقب بذلك. وحضرموت حسب النصوص العربية الجنوبية القديمة اسم أرض وقبيلة مثل السبئيين. كان يحكمهم أول الأمر كهنة يسمى أحدهم "مكرب" وتعني (المقرب من الآلهة)، ومن المكربيين الذين عثر على أسمائهم في النصوص "يرعش بن أبيشع"، والذي بنا سوراً حول حضرموت لحمايتها من غزو الأعداء والحميريين تحديداً، وكلف بإنشاء السور

رجل مقرب من هذا المكرب يدعى "شكم سلحن بن رضون" (شكيم سلحان بن رضوان) الذي إستغرقه بناء السور ثلاثة أشهر وبني في القرن الخامس قبل الميلاد، كان الهدف من بناء الأسوار وأبراج "يذان" و"يذقان" و"يكن" هو منع المارة من دخول حضرموت دون إشراف الجنود الذي أشار إليهم النص باسم "أسدم". تولى الحكم بعد المكرب "يرعش" ابنه "علهن" كما تظهر النصوص اسمه "علهن بن يرعش". ولا يعرف على وجه الدقة ما إذا كان آخر المكربيين في حضرموت لأن الحضارم تركوا لقب "مكرب" وتلقب زعمائهم بلفظة "ملك". وقد جعل المؤرخ فيلبي؛ الملك "صدق إيل" أول ملوك حضرموت بعد المكاربة.

* نشأتها :

ليس هناك إتفاق بين الباحثين عن مبدأ قيام هذه المملكة قبل سقوطها بيد السبئيين وأقدم رحلة إستكشافية كانت في موضع يقال له "الحريضة" بحضرموت حيث عثر المنقبون على آثار لمعبد الإله سين يعود للقرن السابع أو الخامس قبل الميلاد. وحضرموت إسم قبيلة مثل سبأ وكان عليهم مكرب قائم بشئونهم وأول كتابة حضرمية مكتشفة على رأي الباحثين هي كتابة الملك "يهرعش بن أبيشع" وتعود للقرن الخامس قبل الميلاد وتحكي بناء سور لحماية حضرموت من الحِميَّريين. ظهرت هذه المملكة في منطقة حضرموت في الشرق الجنوبي لليمن، (في جنوبي شبه الجزيرة العربية إلى الشرق من اليمن) على ساحل بحر العرب، في منطقة واسعة تحيط بها رمال كثيفة تُعرف بالأحقاف، واشتهرت بوجود مدينتيّ تريم وشبوة، حيث أقيمت حولهما قرى وقلاع عديدة. عاصمتها مدينة (ميفعة) ثم انتقلت إلى العاصمة مدينة (شبوة)، ويرجح أن (شبوة) التي تأسست في القرن الثاني قبل الميلاد، تعني (شب) أو (ملح)، إذ تكثر في هذه المنطقة مناجم الملح

الذي يعد السمة الاقتصادية الرئيسة لهذه المنطقة، كما مارسوا الزراعة، وأنشأوا لهذا الغرض القنوات والسدود للإفادة من مياه الأمطار في ري مزروعاتهم، فضلاً عن ممارستهم للتجارة التي هي الأخرى درت عليهم أموالاً طائلة، ومن آلهة حضرموت الشهيرة الإله (سن) ومعبده في مدينة (مذاب)، وتشير بنايات المعابد إلى تأثرها بشكل كبير بطرز البناء في بلاد ما بين النهرين.

اختلف الباحثون في المدة التي بدأت بها هذه المملكة، ويرجح أن تكون بداية هذه المملكة في بداية القرن ١١ق.م أو قبل ذلك بقليل، ويبدو أن هذه المملكة كانت خاضعة لمملكة معين قرابة الثلاث قرون، انتهت نحو سنة ٦٥٠ق.م، ثم اندمجت بمملكة سبأ من ٥٩٠ق.م . ١٨٠ق.م، ثم استقلت وبقيت حتى عام ٣٠٠م. وقد مرت مملكة حضرموت بمرحلتين: مرحلة المكاربة التي امتدت إلى عام ١٠٢٠ ق.م، تلتها مرحلة الملوك، وأول ملوك حضرموت هو (صدق ايل)، الذي عين ولديه (اليفع يثع) ملكاً على معين، و(شهر علن) ملكاً على حضرموت، مما يعني تبعية مملكة معين لمملكة حضرموت في هذه الفترة، ثم حدث العكس، إذ اندمجت مملكة حضرموت بمملكة معين وأصبحت تابعة لها حتى عام ٦٥٠ق.م، وكان الملكان (الشرح ايل) و(رب شمس) آخر ملكان لحضرموت، إذ خضعت بعدها لحكم مملكة (حمير) في عام ٣٠٠م..

نظام الحكم مشابه لما كان في باقي الممالك اليمنية، حيث الملكية وراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء أو الأخوة، مع إضفاء قدسية على الملكية، ويوجد مجلس شيوخ يساعد الملك في حكمه وربما كان يحد من سلطاته بقانون أو أعراف أشبه ما تكون بالدستور، في حين يوجد حكام منتخبين في باقي المدن يساعده مجلس شيوخ المدينة.

سياستهم كانت قريبة من سياسة الممالك الأخرى وهي السيطرة على الأراضي الخصبة وعقد تحالفات مع القبائل الجبلية وتلك المطلة على السواحل. بنى الحضارم ميناء خور روري القديم المتواجد في ظفار ضمن سلطنة عمان حالياً. منذ حملة كربئيل وتر كانت حضرموت تابعة لسبأ إلا أن نص يعود للعام ٢٠٠ بعد الميلاد يشير إلى ثائر إسمه "يدعئيل بن رب شمس" خرج على السبئيين في شبوة وجمع قبائل خولان وبنو كلب وقبيلة يام وانتصروا، إلا أن السبئيين أحرقوا المدينة بالكامل قبل إنسحابهم، وهذا النص هو أقدم النصوص الذي يشير إلى قبيلة يام وبنو كلب. ولم تذكر نصوص المسند اليامييين من قبائل همدان كما هو وارد في كتب النسابة وأهل الأخبار بل يظهر أنهم من حضرموت. واقعة انتصار "يدعئيل بن رب شمس" هذا كانت خلال الحرب الأهلية بين "ذي ريدان" (حِميَّر) وسبأ وكان الحضارم طرفاً فيها. لم يحتفل "يدعئيل بن رب شمس" بنشوة النصر طويلاً حتى سقطت حضرموت بيد "شمر يهرعش" مؤسس مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت. وبذلك كانت نهاية حكم مملكة حضرموت على يد الملك الحميري شمر يهرعش في القرن الميلادي الثالث وانضموا إلى مملكة سبأ وذو ريدان.

* تاريخها :

البت في تاريخ حضرموت القديم أمر صعب لأن الكتابات المكتشفة أقل بكثير من نظيرتها السبئية والحميرية. يُعَد وادي حضرموت الكبير هو الموقع الذي ظهرت فيه مملكة حضرموت في وقت متقارب مع ظهور مملكة قتبان، وامتدت أراضيها لتشمل ما يعرف حالياً بالمهرة وإقليم ظفار الغني بأشجار اللبان شرقاً وفي أقصى اتساع لها غرباً وصلت السيطرة الحضرمية إلى وادي المعسال جنوب مدينة

رداع. سيطرت مملكة حضرموت لفترة طويلة على مناطق انتشار شجرة اللبان المادة الأساسية في صناعة البخور والطيوب، ومثل إنتاج اللبان وتسويقه مورداً أساسياً لمملكة حضرموت إلى جانب الإنتاج الزراعي الضخم الذي يأتي من استغلال أراضي وادي حضرموت الخصبة.

وتدل النقوش المكتشفة حديثاً على أنَّ صراعاً قوياً وقع بين مملكة حضرموت وجارتها قتبان، تعرضت فيه مدن كثيرة في حضرموت للدمار على أيدي القوات القتبانية. وعلى الرغم من ذلك نجد كل من قتبان وحضرموت تقدمان دعماً للمكرب الملك السبئي كرب إل وتر في حربه الواسعة التي قضى فيها على مملكة أوسان في القرن السابع قبل الميلاد.

وتؤكد النقوش وجود علاقة خاصة بين مملكة حضرموت ومملكة معين الناشئة أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حيث نجد أكثر من ملك يحكم المملكتين معاً لأن بعض ملوك معين كانوا ملوكاً على حضرموت وبعض الحضارم كان ملكاً على معين. فيظهر ذلك أن حضرموت كانت على اتصال وثيق ومتين بمعين وأقوى من علاقتها بالحميريين والسبئيين. ففي نص يعود إلى ٩٣٥ ق.م، ورد اسم ملك يدعى "شهر علن بن صدق إيل" كان ملكاً حضرموت إلى جانب ملك معيني آخر يدعى " أب يدع يثع" وكانوا إخوة تقربوا لإلهتهم "عثتر ذو قبضم" (عثتر ذو قبض) و"ود" (ود المشهور في الميثولوجيا العربية قبيل الإسلام) و"نكرح"، وذكر نفس النص العلاقات القوية التي كانت تربط حضرموت بمعين. وتشير النصوص تعود إلى عهد هذا الملك إلى معركة نشبت بين قبيلتين تابعتين له هما "مذي" و"مصران" ودون النص رجل يدعى "سعد بن ولج بن ذو ضفجن" وذكر أن ملوك حضرموت ومعين كانا من أسرة تدعى "ذو يفعن" (آل يفعان).

وتشير بعض النصوص كذلك إلى أسماء ملوك هم "يدع آل بين" و"السمع ذبيان" و"يدع أب غيلان" وغيلان هذا أكثر وضوحاً وتفصيلاً ممن جاء قبله من الملوك حسب الكتابات المكتشفة، وقد تحالف "يدع أب غيلان" مع أحد ملوك سبأ وهو الملك الهمداني "علهن نفهن" ضد الحميريين وانتصر عليهم الحلف في موقع "ذات عرمن" (ذات العرم). تولى الحكم بعد "غيلان" ملك يدعى "العزيلط"، ويشير نص آخر يعود لعهد الملك نفسه إلى توجهه إلى حصن يقال له "أنود" لتتويج نفسه ملكاً على حضرموت، كتب النص زعيمان من زعماء حمير. وذكر حصن "أنود" هذا عدة مرات ويشير إلى نفس المناسبة وهي تولي أحد الملوك الحكم ويظهر أنه كان أحد الأماكن المقدسة لديهم، ونص النقش هو "العزيلط ملك حضرموت بن عمذخر سارن دلن أنود هلقب" وتعني (العزيلط بن عمذخر ملك حضرموت سار إلى أنود ليتلقب)، ويظهر أنه كان معاصراً لملك سبأ "ثارن يهنعم" كما يشير النص إلى رجلان مبعوثان من عنده لتهنئة ملك حضرموت. ويعتقد بعض الباحثين أن "العزيلط" كان لقبا أكثر مما هو اسم لوروده في نقوش ملوك حضارم آخرين وورد في كتابات تشير إلى ملك باسم "العزيلط" استقبل وفوداً تجارية من الهند وتدمر وآراميون ومن قبيلة اسمها "قريشم". ولا يدرى إن كانت "قريشم" هذه هي قبيلة قريش صاحبة مكة فلم يذكر النص موطنها، فإن كانت فهذا النص يعتبر النص الأركيولوجي الوحيد الذي يشير إليها قبل الإسلام. وتكمن أهمية النص في الإشارة إلى علاقة ممالك اليمن القديمة بغيرها من دول العالم القديم عن طريق ميناء قنا الذي يبعد عن المكلا قرابة ١٢٠ كيلومتر.

وذكر اسم ملك حضرمي هو "يدع ايل بن رب شمس" من قبيلة ذكرها النص باسم "يهبر" وأنه كان من "أحرر يهبر" (أحرار يهابر) ويعود النص إلى سنة

١٨٠ – ٢٠٠ للميلاد. ويظهر من نصوص أخرى تعود إلى عصر الملك نفسه أنه كان متحالفاً مع مملكة قتبان ضد سبأ وذكرت أسماء القبائل المشاركة في الحرب وهي "ذرحن" (ذرحان) و"مرثد" من طرف سبأ و"خولن" (خولان) و"خصبح" و"مفحى" و"يام" و"كلب" في طرف ملك حضرموت. وورد كذلك نقش جاء فيه :"رب شمس خير اسدم بن يدع آل بين" أي (رب شمس أمير جنود أو أسود يدع آل بين) مما يظهر قيادة هذا الملك للجيش الذي حارب السبئيين في شبوة.

كانت حضرموت تتطلع دوماً إلى مد نفوذها نحو الغرب، ولم يعيقها إلا وجود مملكة قتبان؛ لذلك كانت حضرموت طرفاً رئيسياً في الصراع الذي دار في منتصف القرن الثاني للميلاد وأدى إلى انهيار قتبان، وسيطرت حضرموت على معظم الأراضي القتبانية. وفي أواخر القرن الثاني للميلاد تحالف يدع أب غيلان ملك حضرموت مع الملك السبئي علهان نهفان وهو التحالف الذي ضم ملك الحبشة وكان موجهاً ضد الريدانيين. وتم تعزيز التحالف بمصاهرة سياسية بين الأسرتين الحاكمتين في سبأ وحضرموت. وبعد أن حقق التحالف الجزء الأكبر من أهدافه وهو كسر شوكة الريدانيين؛ تعرضت مملكة حضرموت لثورة عرفت باسم ثورة أحرار يهبئر، الأمر الذي جعل الملك السبئي شاعر أوتر يرسل قواته لمناصرة صهره إل عز يلط (العزيلط) ملك حضرموت وتم لهما القضاء على الثورة وإعادة ملك حضرموت إلى منصبه. لم يمضِ وقت طويل حتى ساءت العلاقات بين الملكين وأرسل الملك شاعر أوتر قواته من جديد ولكن هذه المرة لمهاجمة أراضيها وإسقاط ملكها واستعادة أخته (ملك حلك)، وبالفعل نجحت تلك القوات في اقتحام العاصمة شبوة واستعادت أخت الملك وأسرت زوجها إل عز يلط ملك حضرموت واقتادته إلى العاصمة السبئية مارب ليلاقي حتفه هناك. بعد ذلك

سيطرت أسرة حضرمية جديدة من أحرار يهبئر على الحكم بزعامة يدع إل بين بن رب شمس، وفي عهد الملك الريداني كرب إل أيفع وقعت معركة بين قواته وبين قوات إل ريام يدم ملك حضرموت بن يدع إل بين حقق فيها الريدانيون نصراً كبيراً.

كانت تلك المعركة آخر ما وصلنا من معلومات عن مملكة حضرموت، حيث تختفي أخبارها حتى نهاية القرن الثالث حين أرسل الملك الريداني شمر يهرعش قواته الى حضرموت واستطاعت تلك القوات من اسقاط الحكم القائم وضم أراضي حضرموت إلى سلطة الريدانيين وعاصمتهم ظفار.

* الديانة :

كان الحضارم وثنيين يتعبدون للإله سين الذي كان إلهاً للبابليين والآشوريين كذلك، وكانوا الوحيدين دون السبئيين والقتبانيين والحميريين ممن قدس هذا الإله وجعله كبيراً للآلهة، لأن السبئيين والحميريين قدسوا المقه وذو سماوي من بعده، وهو مالم يظهر في حضرموت قبل إندماجهم في مملكة سبأ وذو ريدان على يد الملك الحميري شمر يهرعش الذي أنزل الخراب على كثير من المدن وأحرقها كما جرت عادة ملوك اليمن القدامى مع أعدائهم. إلا أنهم أشتركوا مع غيرهم من ممالك اليمن القديم في تقديس عدد من الأصنام هي "عثتر" و"ذات حميم" و"ذات حشول" وذات حشول وحميم كانوا إناثاً. وورد نص يشير إلى تقديم الملك "يدع إيل بن رب شمس" أضحية في معبد "علم" في شبوة عبارة عن ٣٥ ثور و ٨٢ خروف و ٢٥ غزال و ٨ فهود إلى الإله سين شكراً له على النجاح الذي حققه في طرد السبئيين من شبوة وإعادة إعمار المدينة من جديد بعد أن أحرقتها سبأ. ولم تذكر النصوص الحميرية حضرموت في جملة من اعتنق اليهودية في عهد يوسف آزار يثأر فقد ذكرت همدن (همدان) وكدت (كندة) ومذحجم

(مذحج) ضمن من تهودوا وانضموا إلى ذو نواس الحميري في معاركه ولم تذكر حضرموت. لكن حضرموت آمنت بالمسيحية عند اعتناق الملوك الحميريين الذين وحدوا اليمن لها في القرن الميلادي الرابع، ولم يتركوها وكانوا ممن تعرض لمجازر ذو نواس والقبائل المذكورة التي كانت معه.

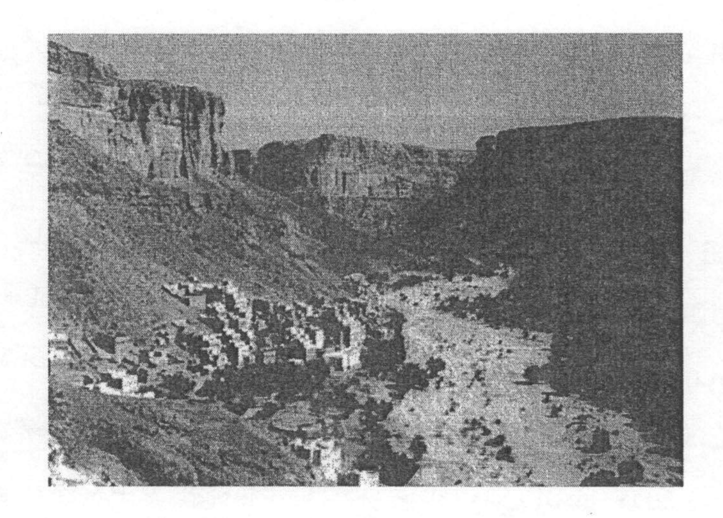
* السقوط :

انتهى حكم مملكة حضرموت في القرن الميلادي الثالث على يد شمر يهرعش وبقيت ضمن ممالك "ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن وتهامة والمرتفعات" إلى القرن الميلادي السادس عند سقوط مملكة حمير على يد مملكة أكسوم بدعم من ملك القسطنطينية جستين الأول. عاد بعض الاستقلال للحضارم بعدها إلا أنهم لم يسلموا من اعتداءات أعراب قبيلة كندة التي كانت تستوطن المناطق ما بين مذحج وحضرموت (شرق مأرب والجوف حالياً)، وتوغلت قبيلة "بني جبلة بن عدي" التي ينتمي إليها الأشعث بن قيس في حضرموت وسيطروا على أجزاء منها وبقيت الأمور سجال بين "جبلة بن عدي" هؤلاء وحضرموت حتى الإسلام ودخلت حضرموت الإسلام بعد الكتاب الذي تلقوه من النبي محمد عليه الصلاة والسلام. -كان وائل بن حجر الحضرمي كبير الأقيال حينها في حضرموت وقد دخل في الإسلام وتبعته حضرموت ثم دخلت في دولة الخلفاء الراشدين والخلافات التي تبعتها- وقد جاء في الكتاب الذي كتب بلهجتهم ما يلي :

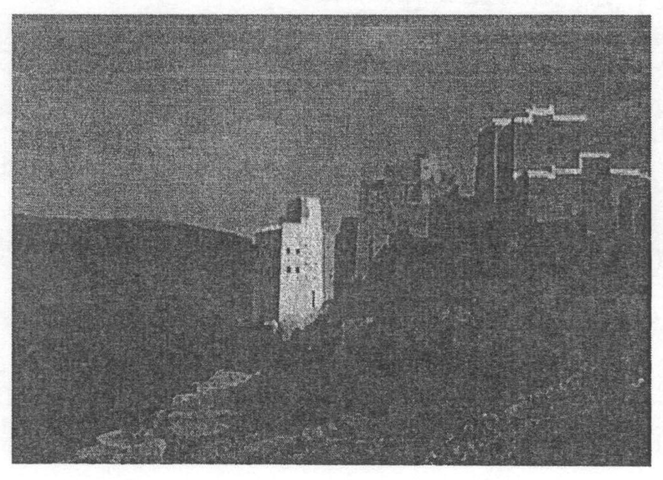
" بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة الأرواع المشايب بحضرموت، في التيعة شاة غير مقورة الألياط ولا ضناك، وأنطوا الثبجة، وفي السيوب الخمس، ومن زنى ممبكر

فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً، ومن زنى ممثيب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله تعالى، وكل مسكر حرام، وائل بن حجر يترفل على الأقيال.





قرية الكهيربا بوادي دوعن/حضرموت



قرية الهجرين بوادي دوعن/حضرموت

الفصل الخامس

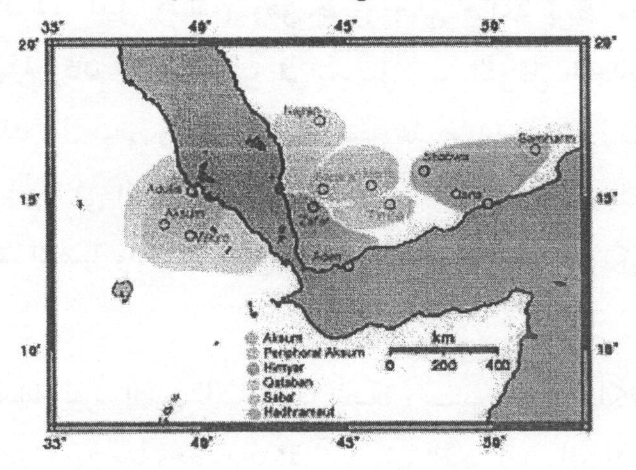
مملكة قتبان

هي مملكة عربية قديمة قامت في اليمن في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد . كانت عاصمتهم تمنع، أما إله القتبانيين القومي فهو "عم". وحسب بعض الافتراضات المشكوكة فيها كان أول ملوكهم يدعى يدع أب ينوف.

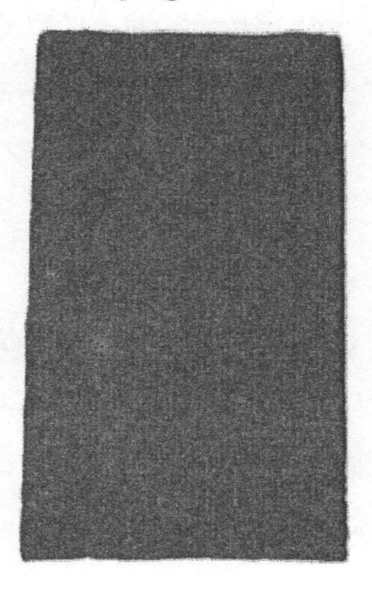
يعد نقش النصر من أقدم المصادر التي تحدثنا عن مملكة قتبان، وفيه كانت قتبان شريكاً لمملكة سبأ في حربها ضد أوسان، (عدن وماحولها حالياً) المتقدمة اقتصادياً والتي كان من نتائجها سقوط أوسان وسيطرة قتبان تدريجياً على معظم أراضيها. وقد ظهرت قتبان في أول الأمر في وادي بيحان، وامتدت أراضيها من وادي بيحان شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً، ومن أنحاء مدينة ذمار شمالاً، إلى البحر العربي جنوباً، وكانت مدينة "تمنع" هي عاصمة المملكة. وتفيد أحدث الأبحاث التي أجريت على نقش قتباني اكتشف حديثاً، أن مملكة قتبان خاضت حرباً ضد مملكة حضرموت. وفي تلك الحرب ادعى القتبانيون أنهم دمروا أكثر من ثلاثمائة مدينة تابعة لحضرموت وهو رقم مبالغ فيه.

وبعد تحالفها مع سبأ ضد أوسان، كانت قتبان هدفاً لحملة سبئية في القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً، سيطر السبئيون خلالها على العاصمة تمنع ثم انسحبوا منها بعد أن سلموها لأحد الأشخاص المتعاونين معهم. وفي القرن الثاني قبل الميلاد ترك الريدانيون وهم من أصول قتبانية مناطقهم قرب العاصمة وانتقلوا إلى

قاع رعين جنوب ذمار، وعلى الرغم من عدم معرفة الدوافع الحقيقية لذلك الانتقال إلا أن احتمال وجود صراعات داخل مملكة قتبان وارد.



مملكة قتبان (باللون الأزرق الفاتح) في القرن الثالث الميلادي.



نقش من عهد الملك شهر هلال، ابن يدع إب ذبيان (سنة ٣٧٠ ق.م.)

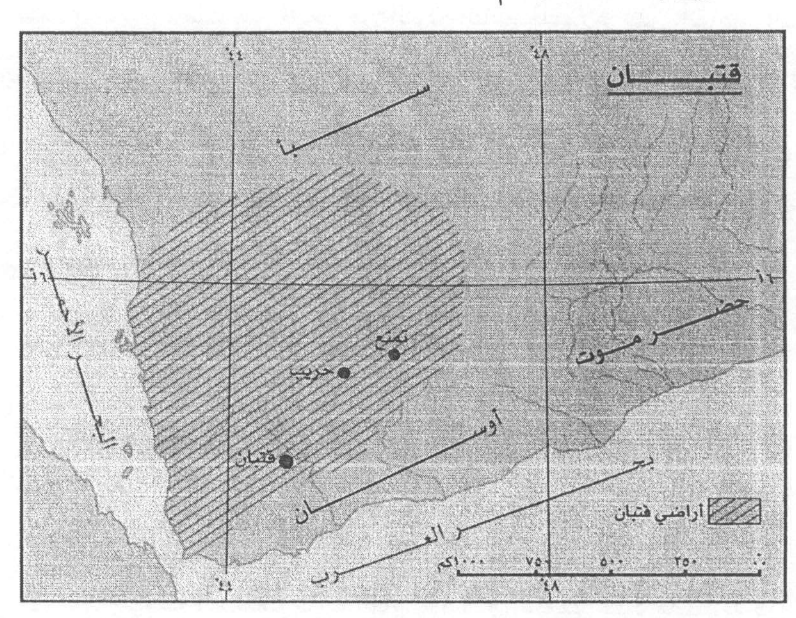
اشتهر القتبانيون في مجال العمارة وخاصةً بناء المدن والمنشآت العامة وخاصةً الطرق، حيث يذكر أحد النقوش من القرن الثاني قبل الميلاد أن المكرب يدع أب ذبيان شق نقيل (مبلقة) وهو طريق جبلي صاعد يربط مناطق قتبان بالمناطق السبئية وكان له دوراً كبيراً في تسهيل سير القوافل التجارية المحملة بالبضائع. كذلك تدل مباني ومعابد العاصمة تمنع على مهارة فائقة في مجال البناء. كما أبدع القتبانيون في المجال الحرفي وخاصة صناعة التماثيل بمختلف أنواعها، وسك العملات الفضية والذهبية والتي كانت تحمل اسم القصر الملكي (حريب) في تمنع.

ومع بداية القرن الثاني للميلاد بدأ الضعف ينتشر داخل مملكة قتبان بعد تحولها مركز لصراع بين سبأ وحضرموت في منتصف القرن الثاني للميلاد. واتجهت مطامع أعدائها في سبأ وحضرموت إليها، ومن أجل السيطرة على أراضيها تحولت تلك الأراضي إلى مسرح للمعارك بين حضرموت وسبأ في منتصف القرن الثاني للميلاد؛ لتسقط قتبان في أيدي أعدائها وسيطرت حضرموت على معظم أراضي قتبان ووصل النفوذ الحضرمي إلى منطقة المعسال جنوب مدينة رداع.

* أهم الحكام :

- ورو إل
- شهر يجال الأول
- حوفيعم يهنعم الأول
- يدع إب يجال الأول
- يدع إب ينوف يهنعم
- حوفيعم يهنعم الثاني
- شهر يجال يهرجب
- يدع إب ذبيان يهنعم
- شهر غيلان الأول
- شهر هلال الأول
- شهر غيلان الثاني
- يدع إب ذبيان يهرجب

- شهر يجال الثاني
- شهر هلال الثاني
- شهر هلال الثالث
- شهر يجال يهرجب الثاني
- حوفيعم يهنعم الثالث
- شهر يجال يهرجب الثالث
- ورو إل غيلان يهنعم
- فرع كرِب الثاني
- يجال يهرجب
- فرع كرب الثالث
- شهر هلال يهقبض
- نبط يهنعم
- مرثد



*****

الفصل السادس

مملكة حمير

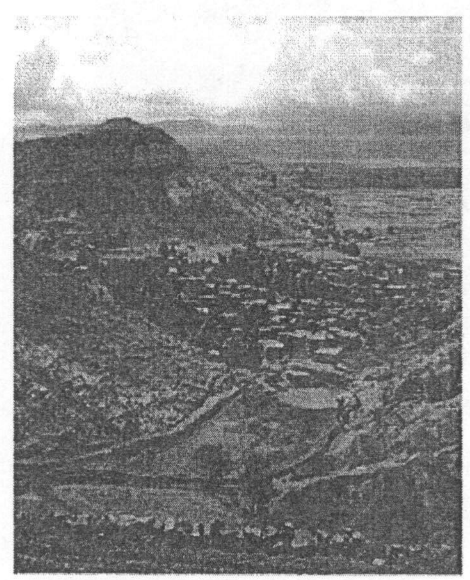
مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات والتهائم أو مملكة حِميَّر (١١٠ ق.م -٥٢٥/٥٢م) خط المسند (𐩢𐩣𐩺𐩧) هي مملكة عربية قامت في اليمن في القرن الثاني للميلاد على أنقاض الممالك القديمة مثل سبأ وحضرموت وأوسان. نشأت في ظفار يريم واستطاعت القضاء على ممالك اليمن القديم الأربعة وضمها وقبائلها في مملكة واحدة هي آخر مملكة يمنية قبل الإسلام وكانت لهم علاقة وثيقة بمملكة كندة عن طريق تحالف بينهم يعود للقرن الثاني قبل الميلاد.

الحميريين بالأصل قبائل سبئيّة، اعتنقت الديانة اليهودية. كانت تنتشر في مناطق ريمة – تعز – اب، وعاصمتهم ظفار في محافظة إب.

لا زالت معارف الباحثين ضئيلة عن تاريخ هذه المملكة السياسي وتاريخ اليمن القديم بشكل عام؛ فالمُكتَشف يمثل نسبة ضئيلة للغاية وعثر على غالبه بظاهر الأرض. ظهرت المملكة قرابة العام ١١٠ ق.م وهي فترة مضطربة في تاريخ اليمن تزامنت مع ظهور أقيال إقطاعيين وضعف السلطة المركزية المتمثلة بمملكة سبأ، سبب ظهور الإقطاعيين كان زوال الهيمنة اليمنية على تجارة البحر الأحمر مما دفع الأقيال لإلغاء طبيعة الحكم الإتحادية وإستبدالها. كانت الغلبة في نهاية الحرب لصالح أقيال حِميَّر بعد قرن ونصف من النزاع ضد همدان ومملكة

حضرموت. عكس أسلافهم فإن الإخباريين بعد الإسلام كانوا يعرفونهم؛ فقد سقطت دولة الحميريين قبيل الإسلام إلا أنهم خلطوا الكثير واعتمدوا كعادتهم على القصص والمخيلة الشعبية في تدوين هذا التاريخ واستطاع علم الآثار الحديث إعادة كتابة تاريخ هذه المملكة.

أحد أبرز آثار الحميريين عبر تاريخ اليمن هو إقدامهم على توحيد آلهة اليمن القديم في إله واحد هو رحمن، كان الحِميَّريين موحديين في بدايتهم ثم تحولوا لليهودية واعتنقوا الإسلام في القرن السابع الميلادي. كان إقتصاد الحِميَّريين يعتمد على الزراعة والتجارة بالبخور واللبان والصمغ، وتمتلئ كتاباتهم القديمة عن التجارة. وأقاموا عدداً من السدود الصغيرة بالإضافة لترميمهم سد مأرب القديم. مرت المملكة بعدة تحديات لعل أبرزها كان في بدايات القرن السادس للميلاد من استقلال زعماء القبائل ودخولهم في حروب ضد بعضهم البعض أضعفت الحِميريين كثيراً.

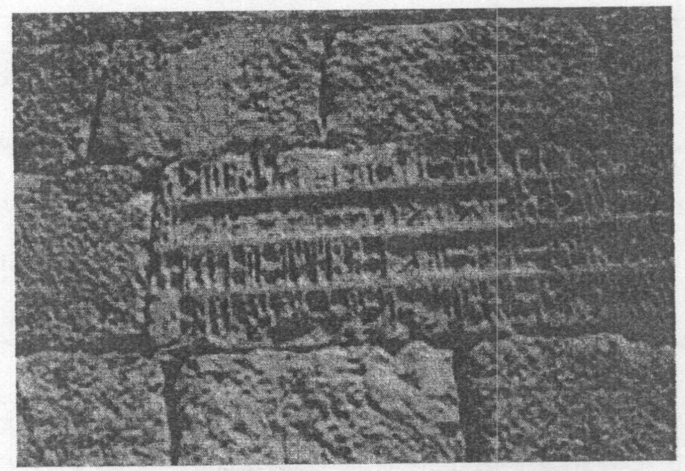


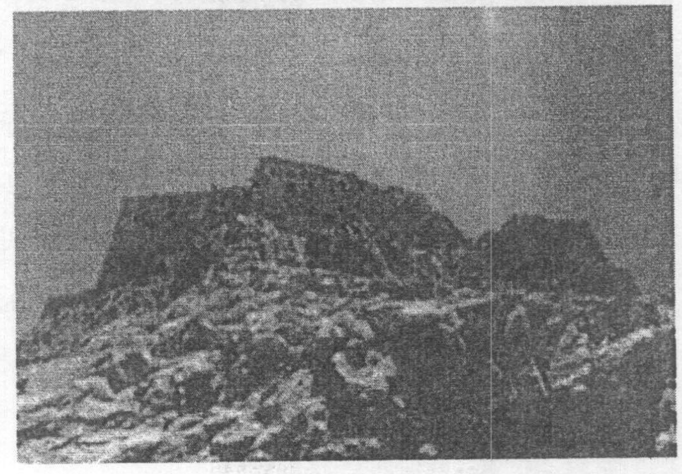
ظفار يريم، موطن الحِميَّريين

ينتمي الريدانيون إلى أصول قتبانية،

حيث ينسبون إلى جبل ريدان

بالقرب من مدينة تمنع عاصمة قتبان.





آثار حميرية في قرية يكار

* بداية تاريخها :

يبدو أنهم نزحوا إلى منطقة رعين في قاع الحقل إلى الجنوب الغربي من مدينة يريم في فترة ما من القرن الثاني قبل الميلاد، وفي موقعهم الجديد شيدوا قصر ريدان على جبل مرتفع ليكون مقراً لهم، وحول القصر قامت حاضرتهم ظفار بالقرب من قرية منكث. لا يوجد حتى الآن أي أدلة أثرية أو نقشية توضح

أسباب نزوح الريدانيين من مناطقهم الأصلية، ولكن الموقع الجديد يدل على خبرتهم الواسعة في مجال العمارة المحصنة مستفيدين من الطبيعة الجغرافية للمنطقة التي تتميز بالقيعان الزراعية الخصبة والجبال المرتفعة شديدة الوعورة.

منذ وصولهم صار الريدانيون يتلقبون بلقب (ذو) وهي مرتبة أعلى من القيالة وأقل من الملك، وشملت أذوائيتهم كافة القبائل الحميرية، والتي صارت تدور في فلكهم وبدعم من قبائل حمير ناصب الريدانيون حكام سبأ العداء الذي تطور إلى حروب متتالية كان ملوك سبأ يوجهونها نحو المناطق الحميرية لإخضاعها لسلطتهم، وعلى الرغم من الدمار والتخريب الذي كان يلحق بالمدن والمناطق الحميرية، إلا أنهم كانوا يعيدون بناء الأسوار والحصون من جديد بعد كل هجوم سبئي.

وتعد نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي البداية الفعلية للمنافسة الريدانية للأسرة الملكية السبئية الأصلية في مأرب، حيث ادعى الملك الريداني "ياسر يهصدق" في نقوش عهده أنه ملك سبأ وذي ريدان، ويبدو أن وصول نفوذه إلى مدينة (ضاف) في الطرف الشمالي لقاع جهران أسفل نقيل يسلح كان سبباً في اتخاذه للقب الجديد (ملك سبأ وذي ريدان). وتذكر النقوش التي سجلت في عهده، قيام بعض أتباعه بإنشاء عدة حصون في مناطق حميرية مختلفة منها على سبيل المثال تحصين مدينة بينون.

توالى عدة ملوك من الجانب الريداني الحميري بعد الملك ياسر يهصدق، حيث تولى الحكم الملك "ذمار علي يهبر الأول "و"ابنهثأران يهنعم الأول" ملكي سبأ وذي ريدان، وكان لهما دور في الصراع بين القوى المتصارعة في النصف الأول من القرن الثاني للميلاد، وخاصة حين قامت قبيلة شداد الموالية لهما

بمهاجمة ونهب قصر سلحين القصر الملكي الرسمي للدولة في العاصمة مأرب. وبعدهما تعرضت المناطق الحميرية لضغوط شديدة نتيجة للتحالف الثلاثي الذي ضم سبأ وحضرموت والحبشة ضدها، حيث تختفي أسماء الملوك من الجانب الريداني في عهد أسرة يريم أيمن التبعية الهمداني.

وبعد سقوط قتبان في نهاية القرن الثاني الميلادي وتقسيم أراضيها بين مملكة سبأ ومملكة حضرموت، حدث في حوالي ٢٢٠ ميلادية أن تعرضت العاصمة الريدانية ظفار (منكث) لهجوم واحتلال من قبل القوات الحبشية التي كانت تتواجد في المناطق الجنوبية من اليمن منذ تحالف الملك السبئي "علهان نهفان" مع الملك جدرت ملك الحبشة، وقد تم إخراج تلك القوات بواسطة قوات من قبيلة جرت.

وفي حوالي ٢٣٠م كان يتزعم الريدانيين الملك "شمر يهحمد" ملك سبأ وذي ريدان، المعاصر للزعيم السبئي "إل شرح يحضب" وأخيه "يأزل بين" ملكي سبأ وذي ريدان، وجرت بينهما معارك عديدة، وتم عقد اتفاق مؤاخاة بينهما ثم تم نقضه، وكانت النقوش التي يدونها السبئيون تشير دوماً إلى تحالف شمر ذو ريدان مع الأحباش، وهو ما يمكن أن نسميه بمصطلحات اليوم بالحرب الإعلامية.

وتزعم الجانب الريداني بعد "شمر يهحمد" الملك "كرب إل أيفع" ملك سبأ وذي ريدان وعاصر أيضاً الملكان "إل شرح" يحضب وأخوه "يأزل بين"، وخاض ضدهما حروباً متعددة تشبه كثيراً من حيث الأسباب والنتائج تلك الحروب التي خاضها سلفه. كما خاض حرباً أخرى ضد قوات حضرمية في مناطق كانت تتبع سابقاً مملكة قتبان في منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً.

وعلى الرغم من ادعاء السبئيين تحقيق الانتصارات الكاسحة في معاركهم ضد الريدانيين، إلا أن الواقع يؤكد وجود مبالغات كبيرة في النقوش السبئية، كما أن الأحداث التالية تبين استمرار الملوك من الجانب الريداني حيث ظهر الملك "ياسر يهنعم الأول" في حوالي ٢٦٥ للميلاد، وعاصره من الجانب السبئي الملك "نشأ كرب يأمن يهرحب" ملك سبأ وذي ريدان. وعند ظهور الملك ياسر يهنعم الأول كان الريدانيون يعانون من وضع صعب للغاية، نتيجة للحصار الذي فرضه الأحباش على العاصمة الريدانية ظفار، الأمر الذي جعل أول مواجهة يخوضها الملك ياسر يهنعم ضد الأحباش، حيث استطاع في المرحلة الأولى زحزحة قواتهم من حول العاصمة نحو الجنوب، وفي المرحلة الثانية خاض ضدهم حرباً طاحنة دارت معظم أحداثها في مدينة عدن وما حولها، وتمكن الملك الريداني من إخراج القوات الحبشية ومطاردتها في البحر، كل ذلك في حوالي سنة ٢٦٥ للميلاد.

وبعد أقل من خمس سنوات صار الملك "شمر يهرعش" ولياً للعهد ومشاركاً لأبيه في الحكم، وتمكن الملكان من حسم حرب الثلاثة قرون بين السبئيين والريدانيين بين عامي ٢٦٥ - ٢٧٠ للميلاد سلماً، وذلك بانتقالهما من مدينة ظفار إلى مدينة مأرب ومن القصر ريدان إلى القصر سلحين، وقيامهما بتقديم القرابين للإله المقه في معبد أوام. وبذلك تنتهي مرحلة الصراع بتوحيد الكيانين السبئي والريداني في كيان واحد بزعامة الريدانيين.

* الأصول :

الحِميريين قبائل سبئية كانت تقطن في "إب" وكانوا متحالفين مع قبائل مملكة قتبان (حلفاً) وفق نصوص المسند فهم من أبناء الإله "عم" رغم أن الحِميَّريين لم يشيروا لهذا الإله في كتاباتهم.

ذكرهم اليونان بأنهم شعب كثير العدد وعلى صلات حسنة بالإمبراطورية الرومانية وعاصمتهم "سفار" (ظفار يريم). موطنهم مدينة ظفار يريم في محافظة إب حالياً. وقد سماهم السبئيون "ذو ريدان" أي أنهم كانوا أذواء على مخلاف أو حصن ريدان وكانوا يتبعون مملكة قتبان. كتابات الإخباريين والنسابة – هي كتابات يجب أن تقرأ بحذر شديد– ذكرت "حميراً" وأن اسمه الحقيقي كان "العرنج" ولكن لارتدائه حلة حمراء سُمي بحمير، وخرافات مشابهة أنه ابن لسبأ وأول من تتوج بالذهب وعاش ثلاثمائة سنة وماشابهها من أقوال لا دليل ولا سند يدعمها على الإطلاق، فكتابات النسابة وأهل الأخبار إن جانبت كبد الصواب أو اقتربت منه؛ فإن ذاكرة من نقلوا عنهم لا تتجاوز القرن السادس الميلادي، بينما أول ظهور للحميريين حسب المكتشف من نصوص المسند يعود إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ، لذلك لا يمكن الاعتماد على كتاباتهم فلا هم نقلوا من مصادر مدونة ولا كلفوا أنفسهم بقراءة نصوص المسند أو حتى كتابات اليونانيين والبيزنطة، فقد زعموا أن حميراً اسم علم من الأعلام وأنه ابن "سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"، ويتمادى بعضهم فيصل سلسلة النسب المزعومة إلى الشخصية التوراتية آدم. فسلاسل الأنساب العربية ظهرت بعد الإسلام والغالب عند باحثي العصر الحديث أنها أسطورية وخرافية.

وصف المؤرخون المسلمون الملوك الحميريين بالـ"تبابعة" وإدعوا أن "تُبَّع" كان لقبهم، والحقيقة أنه لم تُكتشف كتابة واحدة يشير فيها الحميريون إلى ملوكهم بهذا اللفظ بل كانوا يستعملون لفظة "ملك"، وأقرب كلمة لها في النصوص القديمة هي كلمة "ذي بتع". ويبدو أن من الإخباريين من كان على دراية بها فحرّفها إلى "تبع". وعلى كل حال فـ"ذي بتع" في نصوص خط المسند تشير إلى جزء من قبيلة

همدان لا الحميريين، وقد حصر جميع المؤرخين المسلمين المُلك في اليمن القديم للحميريين ومرد ذلك أن حِميَّر كانت آخر مملكة يمنية "جاهلية".

* مصادر التاريخ :

مثلهم مثل باقي ممالك اليمن القديم، فإن كتابات خط المسند تعد أوثق المصادر التي تحكي تاريخهم، وكان للمستشرقين الأوروبيين الصدارة في إعادة إحياء هذا التاريخ وكتابته من جديد وأولهم المستشرق الدنماركي كارستن نيبور الذي كان أول أوروبي يلفت انتباه الأوروبيين لوجود قلم قديم في اليمن سماه بالـ"قلم الحميري"، وعدد من الأطباء الفرنسيين الذين بفضل علاجهم لبعض مشايخ القبائل حصلوا على حمايتها وتجولوا في أرجاء اليمن مصحوبين بحماية القبائل وقاموا بنسخ العديد من الكتابات القديمة في القرن التاسع عشر بالإضافة لضباط إنجليز مثل جون فيلبي وجيمس ويلستيد الذي كان له الفضل الأول باكتشاف ونسخ أحد أهم الكتابات المتعلقة بمملكة حمير، وهي الكتابة المتعلقة باليهودي يوسف أسأر أو "ذو النواس الحِميّري". لم تكن هناك أبحاث على أيامهم عن اللغة الصيهدية فلم يستطيعوا قراءتها إلا أن بدأ اليهود بدراسة هذا التاريخ وأبرزهم إدوارد جلازر، وجوزيف هاليفي، فمعرفة هؤلاء باللغة العبرية ودراساتهم حول اللغات سامية ساعدتهم على قراءة النصوص وترجمتها وقد اضطر كثير منهم لدراسة اللهجات اليمنية لمساعدتهم على ترجمة وفهم بعض المصطلحات. وتاريخهم أكثر وضوحاً إلى حد ما من تاريخ باقي الممالك العربية الجنوبية القديمة ومع ذلك فإن الكثير لايزال غامضاً فكل مانُسخ من كتابات نُسخ في القرن التاسع العشر في وقت كانت اليمن بلا حكومة مركزية والسلطان الأول والأخير كان للقبائل بل بعض هؤلاء الباحثين قُتل خلال مسعاه لنسخ بعض

الكتابات، واضطر إدوارد جلازر للإدعاء أنه تركي وتنكر جوزيف هاليفي على هيئة متسول لا حول له ولا قوة ليقي نفسه تحرشات القبائل مع ذلك استطاعوا دراسة ما يقارب الأربعة آلاف كتابة قديمة وعدد كبير من التماثيل وجزء منها لا يعرف مقداره إتجه معهم إلى أوروبا. فالقبائل كانت تنظر بكثير من الريبة لهؤلاء المستشرقين وللأسف فإن البعثات الأثرية الحديثة تتعرض لنفس المضايقات مما يمنع الباحثين من سرد تاريخ المملكة بشكل واضح رغم أن كثيراً من هؤلاء المستشرقين أبدى وأظهر في منشوراته شغفاً وتعلقاً كبيراً بهذا التاريخ ولا زال معظم تاريخ الحميريين غامضاً ومربكاً كمعظم تاريخ اليمن القديم.



كتابة حميرية وهي تلك التي يسميها علماء العربية الجنوبية "سبئية متأخرة " ويظهر اختلاف واضح في الأسلوب والشكل بينها وبين الكتابات السابقة لخط المسند

أقدم النصوص المكتشفة عن حِميَّر حتى الآن هو نص حضرمي يشير إلى بناء سور حول وادي لبنة بحضرموت، مهمة السور كانت إعاقة الحميريين من التعرض لقوافل مملكة حضرموت بين شبوة وميناء قنا وحجزهم عن تجاوز أراضي مملكة حضرموت نحو الساحل ويعود تاريخ النص لعام ٤٠٠ ق.م (القرن الخامس). كون الحِميَّريين حكومتهم على أواخر القرن الثاني قبل الميلادي في

وقت ضعفت فيه مملكة سبأ كثيراً فاكتسح الحِميَّريين المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن اليوم وأتخذوا من ظفار يريم عاصمة لهم.

أول "قَيْل" – (من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الأعظم)- للحميريين كان "شمر ذو ريدان" الذي خاض معارك عديدة ضد "إيلي شرح يحضب" وتحالف مع كل عدو للسبئيين إلا أنه لم ينتصر وإضطر في نهاية المطاف لمصالحة ملك سبأ بل إنضم كقائد في جيوشه، كانت حِميَّر منقسمة فمنهم من كان محالفاً لسبأ، ومنهم من بقي مستقلاً لا يعترف بحكومة السبئيين التي كانت ضعيفة في تلك الفترة فظهرت أربع سلالات ملكية في اليمن، حاشد وبكيل وسلالتان من حِميَّر؛ كل قيل منهم يلقب نفسه بلقب "ملك سبأ وذو ريدان" استمر الإضطراب لمدة قرن ونصف من الزمان وظهر وفق بعض التقديرات إثنا عشر قيل حِميَّري قبل أن يتمكن الحِميَّريين من تثبيت ملكهم عام ٢٧٥ للميلاد بقيادة شمَّر يهرعش. شمر هذا هو إبن ياسر يهنعم الثاني ولكلا الملكين ذكر في كتابات الإخباريين فزعموا أن إسمه "ياسر أنعم" و"ناشر النعم" وقالوا أنه ملك بعد بلقيس التي قالوا عنها أنها إبنة إيلي شرح يحضب والدلائل الأثرية لا تثبت أي من هذه القصص فياسر يهنعم عاش في النصف الأول من القرن الثالث بعد الميلاد وبينه وبين بلقيس والملك سليمان الشي الكثير. كان شمر يهرعش أول من أضاف كلمة "يمنت" أو "يمنة" إلى لقبه الملكي ولم تُكتشف كتابة قبل هذا العهد تشير إليها ومن "يمنت" هذه ظهر إسم اليمن.

السبب في ظهور "اليمن" في الكتابات الرسمية هو أن الحميَّريين ألغوا الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به القبائل والمناطق أيام مملكة سبأ فوحدوا البلاد بسلطة مركزية لا تعترف بإستقلالية الأقاليم، من أول المعارك التي خاضها شمر

كانت معركة في تهامة في مكان إسمه "بيش" (محافظة بيش) في منطقة جازان حالياً، وكان قائد الحملة ضابط برتبة مقتوى إسمه "أبو كرب" وذكر أنه حارب قبائل "عك" و"سهرة" و"حرة" و"صحار"، وختم النص بأن شكر إلهه إل مقه وقدم تمثالين من الذهب لإنه تمكن من قطع رؤوس المتمردين، ثم سير حملة أخرى بقيادة مقتوى آخر من خولان إتجاه حريب في مأرب ثم إتجه نحو منطقة خيوان قرب صنعاء ثم وادي أملح في صعدة ثم نحو عسير مرة أخرى فأسر الخولانيون ٤٦ محارباً وسبوا ٢٤٠٠ إمرأة وطفل وغنموا ٣١٦ رأساً من الإبل، ثم خاض معركة مع همدان وآل "ذي بتع" من حاشد. وختم صاحب النص بتقديم صنم إلى الإله إل مقه؛ أن منّ عليه بتقوية دعائم سد مأرب إثر أمطار غزيرة هطلت كادت لتدمر السد. هدأت الأمور لفترة وأُكتشفت نصوص عديدة لسواد الناس تشكر الآلهة على وفرة الحصاد وهي دلالة على هدوء سياسي ساد السنين الأولى لشمر يهرعش .

في النصف الثاني من أيام شمر يهرعش، شن ملك المناذرة إمرؤ القيس بن عمرو حملة توسعية فغزا نجد وأخضع قبائل بني أسد ونزار حتى وصل نجران التي سماها إمرؤ القيس بن عمرو هذا بـ"مدينة شمر" ويقصد شمر يهرعش، وذكر ملك المناذرة أنه هزم مذحج ومعد فيها. يتضح من النصوص المكتشفة في هذه الفترة أن على شبه الجزيرة العربية ثلاث ملوك هم امرؤ القيس بن عمرو (الأول) ملك مملكة الحيرة، وملك اسمه مالك ولا يعرف اسمه الكامل كان ملك مملكة كندة وشمر يهرعش ملك الحِميَّريين. كان قائد حملة المناذرة رجل يدعى "نشدئيل" فتجمعت قوات شمر في صعدة وجمع معه جمعاً كبيراً من خولان فتوجه نحو أراضي مملكة كندة واشتبكت القوات الحميرية مع قوات

المناذرة في تلك الأرض، والغالب أن المقصود بأرض كندة في النص كان مكان يسمى اليوم بالأفلاج في جنوب نجد. لم تكتشف كتابة بعد عن مصير قائد المناذرة المدعو "نشدئيل" هذا، ولكن أُكتشفت كتابة عن تقدم الحِميَّريين ويعاونهم أعراب من مملكة كندة ومذحج نحو الإحساء والقطيف وأراضي وصفها صاحب النص بأنها تابعة لتنوخ، وذكر قائد الأعراب أن القطيف تابعة للفرس. قوّت هذه الحملة من إرتباط مملكة كندة ومذحج بالحِميَّريين وكثر ذكرهم في الكتابات اللاحقة حتى أصبحوا ركيزة أساسية في حملات مملكة حِميَّر ضد أعدائها، فكندة ومذحج كانوا أعراباً أشداء إستعملهم الحميريين لتخويف أعدائهم وختم قائد هؤلاء الأعراب النص بعودته إلى نجران.

يبدو أن الحضارم استغلوا إنشغالهم بالمناذرة ليعلنوا تمردهم وبالفعل أكتشف نص عن أقيال من حضرموت يدعون "رب شمس" و"شراحيل" طردوا الحامية الحميرية من شبوة وهي عاصمة حضرموت القديمة فباغتتهم قوات تابعة للحميريين من شبام وأنزلت خسائر فادحة بالحضارم بقيادى حميري يدعى "سعد ذي جدن" كان كبيراً على كل أعراب سبأ كندة ومذحج وأعراب حمير "باهلة" و"حرام" ولم يرد عن تمرد حضرمي. بعدها استغلت أطراف؛ التمرد في حضرموت لتتمرد هي بدورها، فدون شمر يهرعش كتابة يصف فيها تمرد من سماهم بـ"دود خولان "في صعدة ونجح في قمع التمرد ثم توجه نحو أراضي سنحان وقمع خروجهم كذلك ثم توجه شمالاً نحو جيزان، وذكر أن هناك قبيلة إسمها "حرة" تمردت عليه فقمع التمرد هناك، ورد نص عن عمليات نهب قامت بها عدة قبائل من مذحج لا زالت موجودة إلى اليوم وهي بنو الحارث بن كعب والنخع وقبيلة "جرم" نسبها الإخباريون إلى قضاعة وبعضهم إلى طئ، قامت هذه القبائل الثلاث

بقيادة رجل مذحجي يدعى "سداد بن عمروبنهب" مدينة مأرب فأرسل شمر يهرعش قواتاً لتعقب الجناة ونجحت القوات بالقبض عليهم وإعدامهم.

توفي شمر يهرعش وحكم بعده إبنه "ياسر يهنعم الثالث" وكان عهده سيئاً فأستقل الأقيال مستغلين ضعف الملك فدامت الفوضى قرابة الأربعين سنة حتى ظهر الملك "ذمار علي يهبر" الذي تمكن من تثبيت دعائم الدولة من جديد إلا أن تصدعاً أصاب سد مأرب في عهده. لم يكتشف الباحثون الكثير عن ذمار علي يهبر سوى تمثاله وحكم بعده إبنه "ثارن يهنعم". وفي هذه الفترة أورد الرومان أن يهودا في العربية السعيدة منعوهم من مزاولة التبشير وبالفعل يلاحظ أن الإله إل مقه اختفى في الشواهد المكتوبة بخط المسند.

يعاني الباحثون من فجوة وعدم وضوح في هذه التواريخ ولعل مزيداً من الإكتشافات كفيل بحل الإرتباك. ظهر ملك حميري يدعى "أبو كرب أسعد" وهو (أسعد الكامل) ويعد من أقوى ملوك المملكة الحِميَّرية وأطولهم حكماً فقد حكم منفرداً لمدة خمسين سنة. مهد طريقاً جديداً للقوافل المتجهة نحو العراق عبر نجد وأكتشف جون فيلبي كتابة له في موقع "مأسل جمح" في محافظة الدوادمي بالسعودية حالياً. حكم بعده ملك يدعى "حسان يهأمن" ويذكر الإخباريون أن حسان هذا هو من أفنى قبائل طسم وجديس في اليمامة، ولم تُكتشف كتابة بالمسند عن أي من هذا ولكن أُكتشفت كتابة تشير إلى معارك لحسان يهأمن ضد المناذرة بمعاونة مملكة كندة. حكم بعد حسان يهأمن إبنه "شرحبيل يعفر" وأكتشفت كتابة مهمة عن تصدع آخر أصاب سد مأرب وعكس النصوص السابقة يذكر هذا النص أن قبائل ارتحلت عن مواطنها خوفاً من الموت ولكنه لم يذكر أسمائها. ويرجح عدد من المستشرقين سبب تصدع السد

لكارثة طبيعية قد تكون زلزالاً ثم حكم "شرحبيل يكف" وهو من الملوك القلائل الذين دانوا بالمسيحية في اليمن وكان الحميريين يشيرون للسيد المسيح بلفظة "كرشتس" وهي مأخوذة من اليونانية. أشرك شرحبيل أبنائه الثلاث في الحكم وهم "نائف" (نايف) و"لحيعة" و"معد يكرب" و"لحيعة" هذا هو (لحيعة بن ينوف ذو شناتر) في كتابات الإخباريين. وأكتشت كتابة تشير إلى "هرج" وكلمة هرج تعني الحرب أو الفوضى فكانت تلك بداية تضعضع ملك الحِميَّريين إلى سقوطهم نهائياً عام ٥٢٧ ميلادية، لا يعرف سبب الحرب وذُكر أن قائد التمرد رجل يدعى "مرثدئيل" (مرثد إيل) لقب نفسه باللقب الملكي الطويل الذي يلقب ملوك مملكة حمير به أنفسهم وهو "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات والتهائم" (توجد فجوة هنا فليس من الواضح ما كان مصير "مرثدئيل" هذا؟) وتوسعت رقعة القتال فشملت قبائل كندة ومذحج وقبائل أخرى في أيام أخر ملوك حمير وهو الملك "معد يكرب يعفر" وذلك عام ٥١٦ ميلادية.

تقلص سلطان الحميريين وانتشرت المعارك والحروب في أرجاء المملكة وظهر الملك يوسف أسأر يثأر الحميري وكان يلقب بملك كل الشعوب يتضح من اسمه أنه كان يهودياً من يهود اليمن. شن الملك يوسف الحميري حملات عسكرية على الأحباش الغزاة في ظفار يريم وهدم كنيستهم ثم توجه نحو المخا وقضى على الأحباش هناك ثم توجه نحو نجران وقد ناصرته قبائل همدان ومذحج وكندة ومراد وبيت ذي يزأن سادة بني شرحئيل. وخلال حملاته العسكرية قتل يوسف اثنا عشر ألف من الأحباش وأسر أحد عشر ألف وتسعين أسير من الغزاة الأحباش وغنم مئتي ألف رأس من الإبل والبقر والضأن وذكر في كتابته أنه رابط في تهامة في مكان وصفه بـ"حصن المندب" على البحر

من جهة الحبشة ولا شك أنه يقصد باب المندب. بحلول العام ٥٢٧م أرسل الإمبراطور جستنيان الأول مدداً للغزاة الأحباش في اليمن لكنهم باءوا بالفشل.

* نظام الحكم :

نظام الحكم ملكي وراثي .

* الدين :

كان الحميريين موحدين يعبدون ايل (الإله) ويطلقون عليه اسم رحمن، تظهر النقوش اعتناقهم الديانة اليهودية.

في العصر النبوي كان الحميريين في اليمن يهودِ الديانة مما سهل اعتناقهم الإسلام، ارسل الحميريين وفد للقاء النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك في رمضان وفي الطريق مات أحدهم نتيجة الصوم ومشقات الطريق وعند وصولهم ليثرب ولقاءهم النبي محمد عليه الصلاة والسلام قال لهم بلغتهم (ليس من امبر امصيام في امسفر) ويعني ليس من البر الصيام في السفر. (وقد شاركت القبائل الحميرية بشكل فعال في الفتوحات الإسلامية من الصين حتى الأندلس).

* اللغة :

هي لغة قبيلة حمير اليمنية، وهي لغة مشتقة من اللغة السبئية، ويوجد بعض كلماتها في القرأن الكريم. وهي لغة يمنية قديمة استعملت في جنوب الجزيرة العربية في القرن السابع قبل الميلاد. ولا تزال مستعملة من قبل أفراد قبائل خولان الحميرية في منطقة جازان وصعدة.

* ملوك حمير :

١ •كرب إل يهنعم

٢ • عمدان يهقبض

٣ • عمدان بيان

٤ • شمر يهنعم

٥ • ثأران يأوب، ح.٢٠٠ م.

٦ • شمر يهرعش، ح.٣٠٠ م.

٧ • ياسر يهنعم الثاني، ح.٣٠٠-٣١٠

٨ • ذمار علي يهبر، ح.٣١٠-٣١٥

٩ • ثأران يهنعم، ح.٣١٥-٣٣٥

١٠• ملك-كرب يهنعم الأول، ح.٣٣٥-٣٤٥

١١•كرب إل (وطر) يهنعم الثالث، ح.٣٤٥-٣٦٠

١٢• ملك غير معروف ؟

١٣• حسن ملكي-كرب يهنعم الثاني، ح.٣٧٥-٤١٠

١٤• أبو كرب أسعد، ح.٤١٠-٤٣٥



"نحت نافر" لفص خاتم
عليه كتابات بالعبرية
وجد في ظفار يريم يعود إلى
القرن الثاني بعد الميلاد

الفصل السابع

مملكة اكسوم :

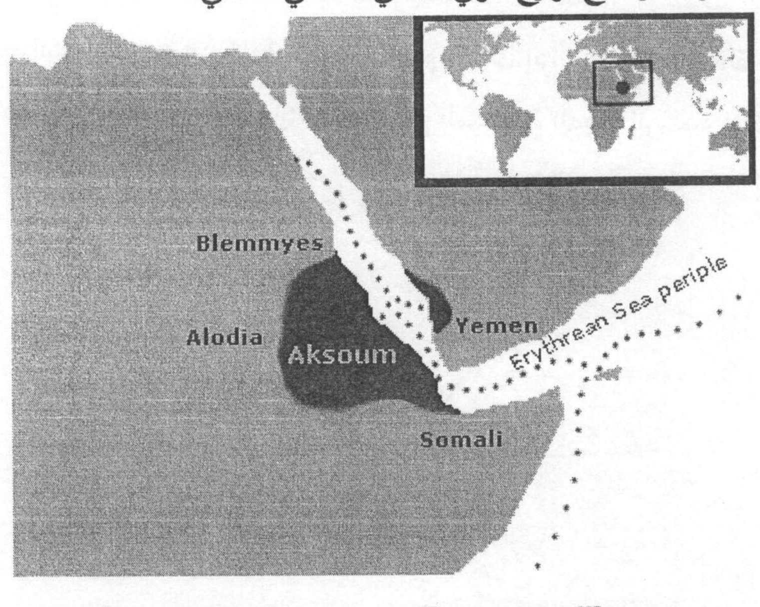
أكْسُوم من الممالك القوية في شرقي إفريقيا، فيما يعرف الآن بإثيوبيا. تعرف عاصمتها أيضًا بأكسوم، وتقع في نفس موقع مدينة أكسوم الحالية في إثيوبيا. استمدت المملكة أهميتها في نحو عام ٥٠ م. وبلغت أوج قوتها بين القرن الرابع والسابع الميلاديين. ولايملك العلماء معلومات مؤكدة حول بداية نشأة أكسوم.

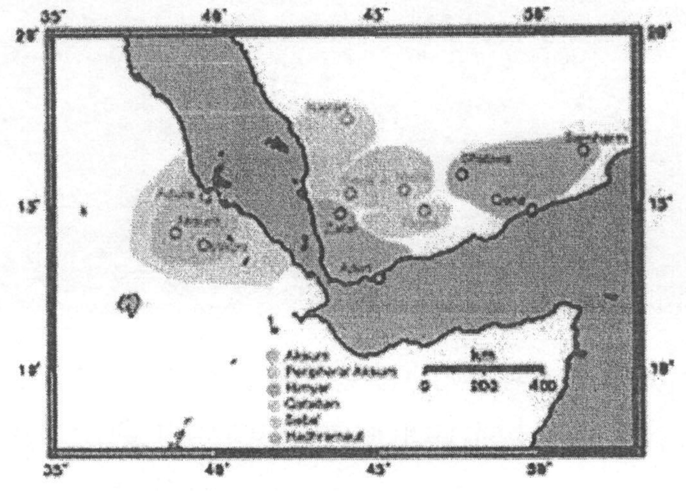
* الأصول :

تُعرف سابقاً باسم الحبشة والتي كان مقرها في مدينة أكسوم على سفح جبال عدوة شرق إقليم تجراي، إثيوبيا. تأسست مملكة أكسوم عام ٣٢٥ ق.م بقيادة السلالة السليمانية التي ترجع حسب بعض الأساطير إلى الملك سليمان وملكة سبأ. وفي القرن الرابع الميلادي اعتنق "إيزانا" ملك إثيوبيا المسيحية فأصبحت كنيسة إثيوبيا كنيسة الدولة. أما في القرن السابع الميلادي فبدأت مملكة أكسوم في الأفول أمام إنتشار الإسلام.

إن هذه المملكة كانت من أثرى الحضارات القائمة في أفريقيا في ذلك العصر. وقد تم التنسيق بينها وبين القوى الحاكمة بحرياً في منطقة بحر القلزم حالياً، وتجارتها كانت نشطة ضمن نطاق شبه الجزيرة العربية وميناء زيلع حالياً في الصومال. وكان عرش أكسوم بمنطقة تيجراي حيث التقارب الثقافي بين تجراي؛

والتجراي لغة سامية حامية نتيج مزيج اللغات هناك حيث نجد الكثير من المفردات التي تعتبر عربية. وكما هو المعروف أن تاريخ أكسوم متداخل مع الثقافة العربية حيث أن عيزانا هو نتاج تزاوج عربي حبشي بالمعني الحالي.





أكسوم وحكمها في القرن الثالث الميلادي.

* الإمبراطورية :

غزت أكسوم، في أوج قوتها، الممالك الأخرى الواقعة على البحر الأحمر، وعلى النيل الأزرق، كما شيّد ملوك أكسوم الحصون والقصور والنُّصُب المصنوعة من الجرانيت، التي تتميز كلها بالفخامة. هزم الملك إيزانا (عيزانا) في القرن الرابع الميلادي دولة مروي. واشتهر إيزانا بأنه جعل المسيحية الديانة الرسمية لأكسوم.



مملكة أكسوم في حوالي سنة ٤٠٠م مملكة أكسوم الموضحة باللون الأصفر في الخريطة كانت تحتل الأرض التي تغطيها الآن إرتريا وشمال إثيوبيا وأجزاء من السودان وجيبوتي فبعد انتصارها على جارتها مملكة كوش عام ٣٥٠م سيطرت أكسوم على الطرق البرية والبحرية

* العلاقات الخارجية والاقتصاد :

يعود الفضل في ثراء وقوة أكسوم إلى مينائها عدول الواقع على البحر الأحمر؛ فقد كان هذا الميناء مركزًا تجاريًا عالمياً يقع بالقرب مما يعرف الآن بمصوع. وكان يرد لهذا الميناء الذهب والعاج والمواد الخام من كوش والأجزاء الأخرى من قلب إفريقيا. ويتم الاتجار في هذه السلع مع تجار مصر واليونان وروما وبلاد فارس والهند وسيلان. وكانت منتجات أكسوم التجارية تشتمل على التوابل والصمغ العربي الذي يدخل في صناعة الحلويات والأدوية والغراء.

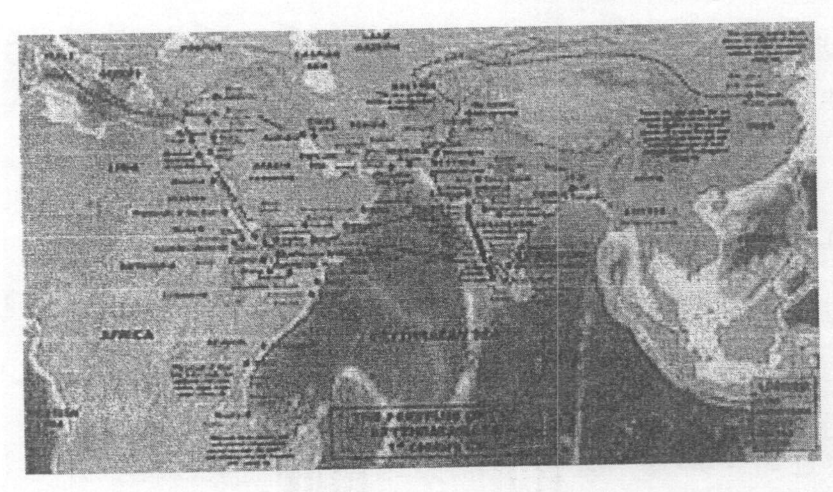
أصاب أكسوم الانحطاط عقب غزو الفرس للجزيرة العربية في أواخر القرن السادس الميلادي. وكانت أكسوم قبل هذا الفتح قد حكمت جنوبي الجزيرة العربية. وضع الفرس العراقيل أمام أكسوم للاستمرار في التجارة مع الممالك الواقعة على البحر الأحمر والجزء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

فتح المسلمون، في القرن السابع الميلادي بلاد الفرس وأوقفوا بذلك هجرة المستوطنين من جنوبي الجزيرة العربية إلى أكسوم.

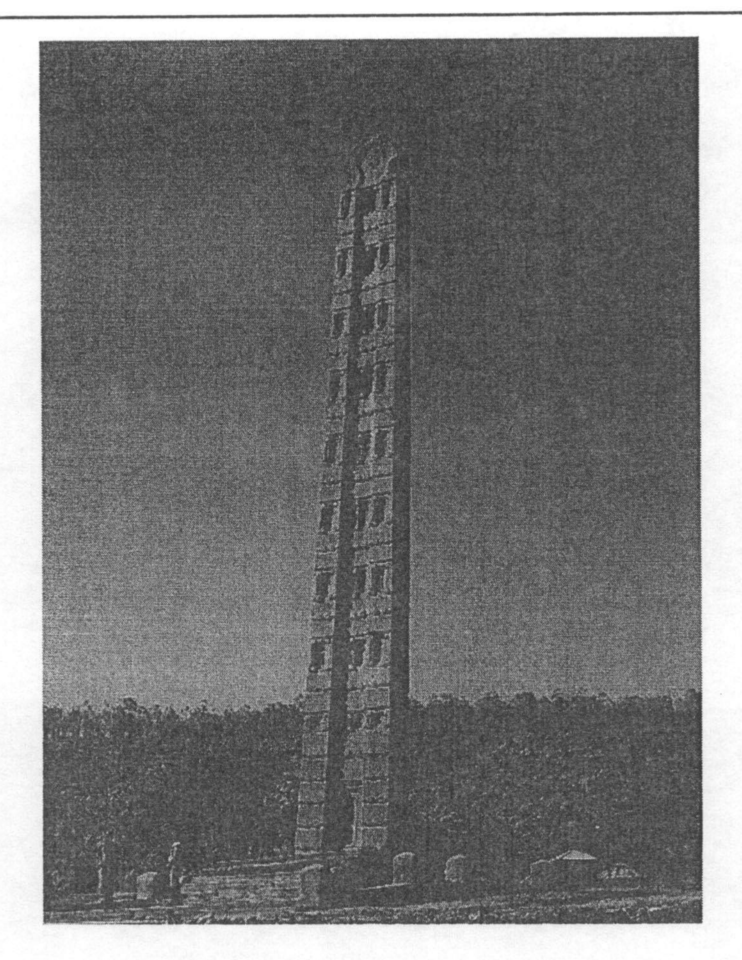
* الديانة والإنجازات الثقافية:

انتشر الدين الإسلامي بسرعة في الجزيرة العربية وشمالي إفريقيا، ونتج عن ذلك أن أصبح النصارى في أكسوم محاطين بشعوب غير نصرانية. حارب الأكسوميون بين القرن السابع والعاشر الميلاديين المسلمين والشعوب المحيطة بهم، ورغم أن أكسوم فقدت القوة والأرض إلا أن ثقافتها بقيت وازدهرت فيما بعد في إثيوبيا.

وفي عهد الإسلام تمت حروب كثيرة بين الإمام أحمد حاكم الصومال ذو النفوذ في ذلك الوقت، مما دعا الملكة حاكمة الحبشة طلب العون من عمانويئل البرتغالي حيث كان الأسطول البرتغالي قوياً في ذلك الوقت وقد تم في ذلك الوقت قطع الإمدادت من جهة البحر ومن الداخل على جيش الإمام أحمد. وكذلك الصراعات الداخلية في اليمن فساهم في هزيمته بالحبشة ومن ثم تداخل التاريخ الإسلامي مع التاريخ الحبشي. وتوجد في القرآن الكريم سور روايات عن النجاشي وأصحاب الفيل، والقصة مؤرخة منذ ذلك التاريخ. والنجاشي كان عرشه بدباروة حالياً تابعة لإرتريا أيضاً ويوجد بسواحل إرتريا أقدم مسجد بني بإرتريا خارج البقاع المقدسة واسمه رأس مدر.

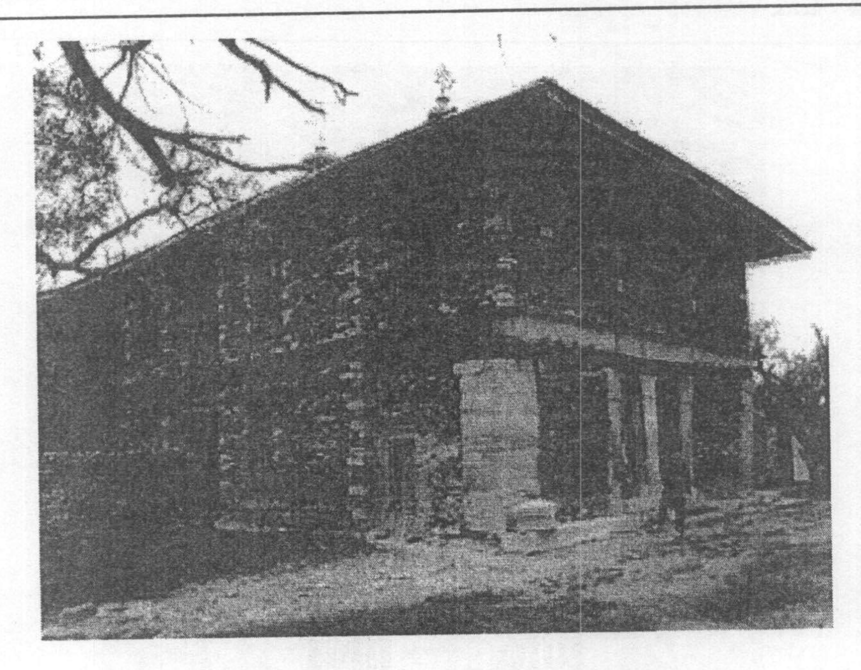


أكسوم كانت شريكاً هاماً في التجارة الدولية من القرن الأول الميلادي (بريبلوس من البحر الأحمر) حتى حوالي الجزء المتأخر من الألفية الأولى عندما خضعت لاضمحلال طويل المدى تحت ضغوط من مختلف القوى الإقليمية الإسلامية المتحالفة ضدها.

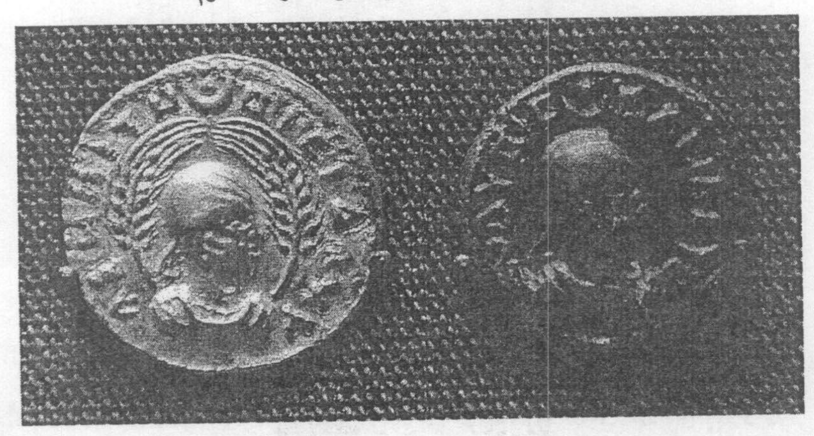


مسلة أكسوم، رمز الحضارة الأكسومية

تقع آثار مدينة أكسوم القديمة على مقربةٍ من حدود إثيوبيا الشماليّة وفي قلب إثيوبيا القديمة يوم كانت مملكة أكسوم الدولة الأعظم بين الإمبراطوريّة الرومانيّة في الشرق وبلاد فارس. وتشمل الآثار الكثيرة، التي تعود إلى الحقبة الممتدة من القرن الأوّل إلى القرن الثالث عشر، نصباً عموديّة منحوتة من حجرٍ واحد ومسلاّت عملاقة وقبورا ملكيّة وآثار قصور قديمة. وبعد وقت طويلٍ على تآكل سلطة إثيوبيا السياسيّة قرابة القرن العاشر، استمر الأباطرة يتوافدون إلى أكسوم لتنصيبهم فيها.



العمارة النموذجية – دير ديبرا دامو. أكسوم



عملات الملك إنديبس 235-227 م .المتحف البريطاني .العملة اليسرى مكتوب عليها باليونانية" ,"AXWMITW BACIΛEYC" ملك أكسوم". العملة اليمنى مكتوب عليها باليونانية."ENΔYBIC BACIΛEYC, "King Endybis :



المنسوجة المصرية ستارة أو السراويل الصوفية، التي هي نسخة من حرير ساسانيمستورد، الذي بدوره يعتمد على لوحة جدارية للملك خسرو الثاني يقاتل القوات الإثيوبية الأكسومية في اليمن، القرن الخامس أو السادس.

المراجـع

- توحيد اليمن القديمة. الصراع بين سبأ، حمير وحضرموت الأول من القرن الثالث من العصر المسيحي. باريس، ١٩٩٠
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي
- الأسطورة والتراث لسيد القمني
- تاريخ اليمن القديم لمحمد عبد القادر بافقيه
- رحلتي إلى بلاد أرحب وحاشد لإدوارد جلازر

- (Werner Daum, Ursemitische Religion. Stuttgart: W. Kohlhammer, (1985
- Hermann von Wissmann : The History and Geography of Old South Arabia (Collection Eduard Glaser No. III. Austrian Academy of Sciences, (1964) philosophical-historical class, Proceedings Volume. Böhlaus, Vienna
- Arabia and the Bible, James A Montgomery,Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1934
- L'unification du Yémen antique. La lutte entre Saba', Himyar et le Hadramawt de Ier au IIIème siècle de l'ère chrétienne. Paris, 1990 (Bibliothèque de Raydan)-

الفهـــرس